الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

زارة التعليم العالي والبحث العلمي




جامعة أبي بكر بلقايد
-تلمسان-

كلية: العلوم الإنسانية والإجتماعية
- قسم التاريخ-

الوفود بالمغرب الإسلامي

وأثرها في الحياة الإقتصادية والإجتماعية

مابين القرنين السادس والعاشر الهجرية

أطروحة مُقدّمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في تاريخ المغرب الإسلامي الوسيط

من إعداد الطالب:
خثير قويدري

تحت إشراف:
../ مبخوت بودواية

لجنة المناقشة	الجامعة الأصلية	الصفة
أ.د. نصر الدين بن داود	أستاذ التعليم العالي جامعة تلمسان	رئيسا
أ.د. مبخوت بودواية	أستاذ التعليم العالي المركز الجامعي النعامة	مشرفا
د. يماني رشيد	أستاذ محاضر- - جامعة تلمسان	عضوا
د. سي عبد القادر عمر	أستاذ محاضر- - جامعة تلمسان	عضوا
د. عبد الكريم شباب	أستاذ محاضر- - جامعة سعيدة	عضوا
د. سكاكو مريم	أستاذ محاضر- - جامعة سعيدة	عضوا

السنة الجامعية: 1442-1443 / 2021-2022-

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

زارة التعليم العالي والبحث العلمي





جامعة أبي بكر بلقايد -تلمسان-

كلية: العلوم الإنسانية والإجتماعية - قسم التاريخ-

الوفود بالمغرب الإسلامي

وأثرها في الحياة الإقتصادية والإجتماعية

مابين القرنين السادس والعاشر الهجرية

أطروحة مُقدّمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في تاريخ المغرب الإسلامي الوسيط

من إعداد الطالب: خثير قويدري

تحت إشراف: ../ مبخوت بودواية

لجنة المناقشة	الجامعة الأصلية	الصفة
أ.د. نصر الدين بن داود	أستاذ التعليم العالي جامعة تلمسان	رئيسا
أ.د. مبخوت بودواية	أستاذ التعليم العالي المركز الجامعي النعامة	مشرفا
د. يماني رشيد	أستاذ محاضر- - جامعة تلمسان	عضوا
د. سي عبد القادر عمر	أستاذ محاضر- - جامعة تلمسان	عضوا
د. عبد الكريم شباب	أستاذ محاضر- - جامعة سعيدة	عضوا
د. سكاكو مريم	أستاذ محاضر- - جامعة سعيدة	عضوا

السنة الجامعية: 1442-1443 / 2021-2022-


بسم الله الرحمن الرحيم
﴿يَوْم نحْشُر الْمُتَّقِين إلَى الرَّحْمَن وَفْدًا﴾

شكـر وتقـديـــر

الحمد لله حمدا يليق بجلال وجهه وجزيل عطائه ، الحمد الذي وفقنا لدراسة هذا الموضوع، رغم تشعب مادته.

ومن باب " من لا يشكر الناس لا يشكر الله" أتقدم بالشكر الجزيل ،للمشرف ، فضيلة الأستاذ الدكتور : **مبخوت بودواية .** لقبوله الإشراف على هذا العمل ، ولصبره وتحمله لي طيلة مدة البحث .

كما لا يفوتني أن أشكر لجنة المناقشة ، الذين تجشموا عناء قراءة هذه الأطروحة ، وتقييمها وتقويمها.

وفي الأخير، أشكر كل من ساعدني من قريب أو بعيد في هذه الأطروحة، وأخص منهم عمال مكتبة جامعة تلمسان والمكتبة الوطنية ومكتبة جامعة قسنطينة.

الطالب:خثير قويدري

إهـــــــداء

إلى روح والدي الكريمين.

إلى كل وافد لا يفد إلا بخير.

إلى كل من ساعدني من قريب أو من بعيد.

إلى أعز أصدقائي الذين لازمتهم فكانوا عونا لي: حبيب- تجاني -نور الدين - محمد - عبد الوهاب- عزيز- مبارك....

أهدي هذا العمل المتواضع.

سائلا المولى عز وجل أن أكون وإياهم مشمولين بقوله تعالى:

﴿يَوْم نَحْشُرُ الْمُتَّقِين إلى الرَّحْمَن وَفْدًا﴾

الطالب: خثير قويدري


مقدمــــة

مقدمة

1 أهمية الموضوع:

تعتبر قضية الهجرة وانتقال الأفراد والجماعات من منطقة لأخرى ،ظاهرة قديمة ومتجددة، لا سيما في حال الإحساس بضرورة التغيير والتعبير عن الذات. ففي المغرب الإسلامي في العصر الوسيط عموما، شهدت الحضارة الإسلامية عدة تنقلات لمراكز القوة والثقافة والحضارة. من المشرق إلى المغرب ثم إلى الأندلس، ثم عودة مرة أخرى إلى المغرب الإسلامي.

وتحتل قضية انتقال الوفود أفرادا وجماعات حيزا مهما في مجال الهجرة والإنتقال ونقل الثقافة ومعالم الحضارة بكل مكوناتها،وما ينجم عنها من تأثير إجتماعي وإقتصادي وثقافي. فكان لإنتقال الأندلسيين إلى المغرب الإسلامي سواء للرحلة أو الإستقرار الأثر الإيجابي بالغ الأهمية في الحياة العامة. لاسيما وأن بلاد المغرب الإسلامي أصبحت ملاذا هنيئا وآمنا لعدد كبير من الوفود الأندلسية أفرادا وأسرا وجماعات إما عن طريق الرحلة أو الهجرة الطوعية الإختيارية، أو التهجير القسري الذي فرضته ظروف الأندلس السياسية والأمنية.

وبحلول القرن ال7ه/13م حظي الوافدون الأندلسيون باستقبال مميز رسميا وشعبيا. خاصة من قبل الزيانيين والحفصيين والمرينيين، وبذلوا لهم كل مراسيم الإستقبال الحسن والكريم. بما في ذلك تمكينهم من الإستقرار بتوفير مناصب العمل حسب كل فئة7وطابع العمل الذي برعت فيه من جهة حتى لا يشعروا بالغربة وأ م عبء على المجتمع، ومن جهة أخرى حتى يستفيد المجتمع من مهاراتهم وحذقهم في شتى العلوم والفنون.

❖ **أسباب اختيار الموضوع :**

- المساهمة في إثراء المكتبة بموضوع الدراسة الشامل لأدوار وآثار الوافدين من علماء وفقهاء وتجار وفنانين وأدباء.

- التعرف على ظروف انتقال الوافدين من مختلف المناطق الى بلاد المغرب الإسلامي ،خاصة الأندلسيين ومراحل إرتحالهم، ومناطق عبورهم واستقرارهم.

– الرغبة في التعرف على الآثار السياسية والإجتماعية والعلمية والحضارية للمواهب الوافدة إلى بلاد المغرب الإسلامي.

– الوقوف على مدى ما يمكن أن تحدثه تلك التفاعلات الإجتماعية والحضارية الناتجة عن إنصهار الحضارتين الأندلسية والمغربية في بوتقة واحدة.

❖ أهداف الموضوع:

– تبيان العلاقات والصلات الثقافية والفكرية والحضارية المتأصلة في العدوتين الأندلسية والمغربية.

– الوقوف على التراث والجهد الذي ساهم به العلماء الوافدين إلى حواضر المغرب الإسلامي، وتتبع بصمات أعمالهم في نشر العلوم والمعارف والفنون وتطوير العمران، خاصة الأندلسيين منهم.

–إبراز الدور الحضاري والإجتماعي والإقتصادي لفئات المجتمع الأندلسي الوافدة والمستقرة بحواضر ومدن المغرب الإسلامي، بما فيهم أهل الذمة، الذين عملوا على تنمية التجارة وإزدهارها.

ومن هذا المنطلق رأينا أهمية إختيار هذا الموضوع، لدراسة التفاصيل الممكنة، التي تساعدنا على فهم الواقع الذي قدمت فيه تلك الوفود، ومسارها ومآلها وآثارها. ورأينا أن نبني هذا الموضوع على الإشكالية الرئيسية الآتية:

ما هو دور وتأثير الوفود القادمة إلى بلاد المغرب الإسلامي عامة ؟

وانبثقت عنها إشكاليات فرعية ما يلي:

- كيف تمت عمليات الهجرة والوفود أفرادا وجماعات سواء على المستوى الرسمي أو الشعبي؟
- ماهو دور الوافدين على المستوى السياسي والإداري؟
- ماهي الأدوار الاجتماعية والاقتصادية التي قاموا ا في بلاد المغرب الإسلامي؟
- كيف تفاعل المجتمع مع الوفود عامة و مع الأندلسيين خاصة ؟ وما مدى إندماجهم وانصهارهم وتقديمهم للخدمات الإجتماعية في المغرب الإسلامي؟
- ما مدى تأثيرهم الثقافي والعلمي والحضاري والعمراني في المجتمع المغربي في العصر الوسيط؟
- ما مدى تفاعل العلماء الوافدين ، الأندلسيين خاصة في المغرب الإسلامي مع الحياة العلمية؟

- ➢ إلى أي مدى تمت الإستفادة من العلماء والصناع والحرفيين والزراع الوافدين من الأندلس واستقطا م؟
- ➢ كيف كانت ظروف الإستقبال و ظروف الإندماج في المجتمع المغربي؟ وهل كان التفاعل والترحاب م رسميا أم شعبيا؟

❖ **الدراسات السابقة:**

نظرا لقلة الدراسات المتخصصة عن موضوع الوفود الأندلسية المهاجرة إلى بلاد المغرب الإسلامي، وتأثيرها المباشر في السياسة والإقتصاد والفكر (7هـ-10هـ /13-16م). ولكن –حسب علمي- لا توجد دراسات شاملة للموضوع في بلاد المغرب الإسلامي، باستثناء بعض الدراسات الجادة المتعلقة بموضوع تأثير المهاجرين بصفة عامة، سواء فيما تعلق بالمغرب الأوسط أو الأدنى أو الأقصى. أو تلك التي تتناول جانبا خاصا من تلك الجوانب. ونذكر منها على سبيل المثال الأندلسيون وتأثيراتهم الحضارية بالمغرب الأوسط لمحمد سعيداني، وهي أطروحة جادة أبرز فيها المؤلف الأثر الأندلسي الحضاري في المغرب الأوسط. ورسالة ماجستير لعبد المجيد قدور عن هجرة الأندلسيين إلى المغرب الأوسط ونتائجها الحضارية خلال القرنين (10-11هـ/16-17م). ورسالة ماجستير أخرى للباحثة مريم بوعامر: الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأدنى ودورها في الإزدهار الحضاري ما بين القرن 7-9هـ/13-15م.ورسالة دكتوراه للدكتورة مريم سكاكو :المجالس العلمية السلطانية لبلاد المغرب الإسلامي ودورها في التواصل الفكري من القرن(7-9هـ/13-15م) .

فرأيت خوض غمار هذا الموضوع محاولة لإثراء جوانبه، ولملمة جزئياته. ورأيت ان يكون عنوان هذا الموضوع:

الوفود في المغرب الإسلامي ودورهم الاجتماعي والإقتصادي ما بين القرنين السادس والعاشر الهجريين (6-10هـ/ 12-16م). ونظرا لطبيعة الموضوع المتشعبة، فقد اقتضى البحث توسيع الدراسة بما يجعل إلماما وإحاطة بالموضوع أكثر فأكثر. إذ لم أكتف بدراسة أثر الوفود الإقتصادي والإجتماعي، بل تجاوزت ذلك إلى محاور رأيت أنها أساسية لفهم أغوار وأعماق

الموضوع، فاستغرق البحث أيضا الجانب السياسي والاداري والعمراني والعلمي، لما كان لتلك الوفود التي عرفتها بلاد المغرب الإسلامي من آثار بارزة في هذه المجالات.

❖ **عرض الخطة:**

ولمعالجة هذا الموضوع، رأيت تقسيم الموضوع حسب الخطة الآتية :

مقدمة وفصل تمهيدي تم التطرق فيه إلى معاني كلمة الوفود وأهم المصطلحات التي تقترب من هذا المعنى. وأهم المراحل والوجهات التي قدمت منها الوفود ، خاصة من العدة الأندلسية إلى بلاد المغرب الإسلامي، والدوافع التي كانت وراء ذلك. أما الفصل الأول فتناولت فيه الدور السياسي والإداري للوفود الأندلسية ، خاصة الأعلام الذين وظفوا في مناصب مهمة مثل الوزارة والكتابة والحجابة.

وفي الفصل الثاني، تطرقت إلى أهم ما قام به الوفود الأندلسيون في المجتمع المغربي، وتأثيرهم الإيجابي، وتفاعلهم مع طبقات المجتمع الجديد. وصعوبة الإندماج لدى البعض الآخر، وبقائهم محافظين على عوائدهم.

وفي الفصل الثالث، ركزت الإهتمام على الجانب الإقتصادي، حيث كان للوافدين الأندلسيين دورا فعالا في تنمية جوانب الزراعة والصناعة والحرف وغيرها، وأتقنوها نظرا لما كانوا عليه من خبرة ومهارة جلبوها معهم من الأندلس.

وفي الفصل الرابع، تطرقت الى الدور العلمي للنخب الوافدة من الأندلس، وما كان لهم من أثر في بناء وعمارة المساجد والزوايا والمدارس، وتأليف الكتب وتنشيط المكتبات وتثقيف الناشئة وتكوين العلماء. حتى غدت حوضر المغرب الإسلامي تشبه المدن الأندلسية بما تزخر به من علماء أندلسيين كثر حركوا الحياة الثقافية.

وفي الفصل الخامس، تناولت الأثر العمراني للوفود الأندلسية، بما بنوا من تحف معمارية سواء دينية (مساجد ، زوايا..) أو مدنية(منازل، قصور، حدائق) لونكت بصمتهم واضحة ، تأثر ا سكان بلاد المغرب الإسلامي قاطبة. وفي الأخير خاتمة ، تلخص أهم النتائج التي توصل إليه البحث، وعرض الإستنتاجات مما سبق ذكره .

❖ **المنهج:**

اعتمدت المنهج التاريخي التحليلي المناسب لسرد الأحداث ووقائع انتقال الوفود ووفادتهم. وتسجيل مشاهداتهم، وذكر إبداعاتهم المختلفة في الحياة العامة. والمنهج الوصفي لوصف حركة تنقل الوفود ومناطق نزولهم، والسكنات والمساجد التي بنوها بأساليب أندلسية بديعة. والمنهج الإحصائي في حال ذكر أعداد العلماء والأعلام الوافدين الذين نزلوا بحواضر المغرب واستقروا ا. وفي حال شح المادة اعتمدت المنهج الإستقرائي الإستنتاجي لربط الأحداث بأسبا ا ونتائجها.

❖ **عرض المصادر والمراجع:**

ا/ المصادر:

***كتب التاريخ العام:**

-**بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد** لأبي زكرياء يحي بن خلدون(ت723هـ/1332م) حيث ركز في الجزء الأول على التعريف بالعلماء والزهاد والعباد الأندلسيين الذين اتصلوا بالسلاطين الزيانيين. وكيف استخدموهم في بلاطهم وأفادوا من مهاراتهم الوزارية والكتابية. وفي الجزء الثاني أورد المؤلف جملة من أهل الفن والأدب والثقافة من الذين اتصلوا بالسلطان الزياني أبي حمو موسى الثاني. غير أن هذا المصدر لا يتوسع إلى حواضر المغرب الأخرى غير تلمسان.

-**العبر وديوان المبتدأ والخبر** لعبد الرحمن بن خلدون(ت808هـ) 1 ويعتبر هذا المصدر من أهم الكتب التي دونت معلومات مهمة لا تتوفر عند غيره. خاصة في مجال الأخبار التفصيلية عن الجاليات الأندلسية الوافدة إلى المغرب الإسلامي. وأخبار الدويلات الإقليمية التي نشأت بعد سقوط الدولة الموحدية(الحفصية والزيانية والمرينية). أما ما يتعلق بالأخبار التاريخية عن المغرب الإسلامي ودوله الإقليمية، وتفاصيل الوفود الأندلسية فوقعت ضمن الجزء607 من هذا الكتاب.

-وقد أفاد البحث من **مقدمة ابن خلدون** كثيرا خاصة في الجانب السياسي والإداري أو ما يتعلق بالوزارة والكتابة والحجابة والعمارة.

-**عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة** ببجاية لأبي العباس أحمد بن أحمد الغبريني(ت704هـ/104م) ويعتبر هذا المصدر كنزا يحوي تراجم عدد كبير من العلماء الأندلسيين

الوافدين إلى بجاية خاصة في العهد الحفصي. غير أنه لا يذكر التأثيرات الحضارية لهؤلاء الأعلام خارج حاضرة بجاية.

-**نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** لشهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني(ت1041هـ)، إذ يعتبر من أخص المصادر التي عنيت بتراجم الأعلام الأندلسيين الوافدين على بلاد المغرب والمشرق بصفة عامة. فهو يذكر عنهم تفاصيل حياتهم، وتأثيرهم الثقافي والحضاري أينما حلوا.

تاريخ الدّولتين الموحدية و الحفصية لصاحبه محمد بن إبراهيم اللؤلؤي الزركشي(ت 887 هـ/1482م)) وقد تضمّن تاريخ الدّولة الموحدية، والدولة الحفصية، أفادني في بعض الجوانب السياسية والثقافية والإقتصادية.

-**البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** لأبي العباس أحمد بن محمد بن عذاري المراكشي(ت أواخر ق7هـ/13م) والذي يعتبر من أهم مصادر تاريخ المغرب من الفتح الإسلامي حتى عام 667هـ/1269م. واعتمدت منه على القسم المتعلق بالموحدين.

-**البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان،** لأبي عبد الله بن محمد بن أحمد الملقب بابن مريم الشريف التلمساني، وهو مصنف ترجم فيه المؤلف لأكثر من 180علما من أعلام العلماء والأولياء سواء منهم الوافدين من الأندلس أو من كانوا من حواضر المغرب الإسلامي ونزلوا بتلمسان. ويحتوي على معلومات مهمة تتعلق بالأعلام الوافدين.

-" **جذوة الاقتباس فيمن حل من العلماء بمدينة فاس** "للمؤرخ أحمد بن محمد ابن أبي العافية المكناسي ثم الفاسي المعروف بابن القاضي(ت 1211 هـ 1111 /م)وهو كتاب تراجم للعلماء الذين نزلوا مدينة فاس واستقروا فيها من بلاد المغرب الإسلامي وحتى من الأندلس، بالإضافة إلى العلماء الذين أنجبتهم مدينة فاس في مختلف العصور حيث يتضمن القسم الأول من هذا الكتاب التعريف بمدينة فاس منذ عهد الأدارسة وتاريخ بناء جامع القرويين من خلال ذكر خطباء منبره ويترجم هذا القسم لثلاثمائة وتسع وسبعين شخصية سياسية وعلمية وأدبية مشهورة أما القسم الثاني من هذا الكتاب فيترجم لستمائة وست وأربعين شخصية سياسية وثقافية أيضا، وهو كتاب مهم جدا لأنه

يؤرخ لدور عدد كبير من علماء المغرب الأوسط الذين زاروا مدينة فاس خلال القرنين السابع و الثامن الهجريين (13 و 14 م).

-**الفارسية في مفاخر الدّولة الحفصية** لصاحبه أبي العبّاس أحمد بن الحسين بن علي ابن الخطيب ابن قنفد القسنطيني، أيام حكم بني حفص في عهد السلطان الحفصي أبي فارس عبد العزيز (796-839هـ/1394-1434م) حيث ذكر محاسنهم، و منجزاتهم .

-" **نيل الابتهاج بتيريز الديباج** "لأحمد بابا التنبكتي(ت 1036 هـ /1627 م)وهو كتاب يترجم لفئة من الناس تجمعها صفة الإهتمام بالدراسات الدينية والعربية وتتميز تراجم هذا الكتاب بدقة الوصف وإمتاعه مع قدرة فائقة على إيراد التفاصيل في تراجم من عاصرهم المؤلف، وتضمن هذا الكتاب ترجمة لثمانمائة واثنتين من علماء وفقهاء المذهب المالكي خاصة أولئك الذين برزوا في بلاد المغرب الإسلامي مع ذكر بعض علماء بلاد المشرق وقد أورد هذا المؤلف ترجمة مستفيضة لعلماء المغرب الأوسط خلال الفترة المدروسة.

❖ **كتب الرحلة والجغرافيا:**

-**كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي**(ت 626 هـ 1228 /م)من أهم المعاجم الجغرافية للعالم الإسلام يحتوي على معلومات قيمة عن الجانب التجاري والصناعي وحتى الثقافي للأماكن المترجم لها. إذ يعتبر هذا الكتاب مدونة متكاملة تعطي معلومات مهمة ووافية أفادتنا في كثير من الأحداث التاريخية.

-**الرحلة المغربية** للرحالة أبي عبد الله العبدري(ت688هـ/1290م): وتعتبر مصدرا مهما في تاريخ وجغرافية بلاد المغرب الإسلامي العلمي والإقتصادي.

-**رحلة التيجاني**(ت8هـ/14): وتعتبر من مصادر الرحلة في تاريخ إفريقية الحفصية، حيث تضمن كثيرا من مظاهر الحضارة والتجارة السائدة بكثير من مدن إفريقية ، بما في ذلك أهم الوفود الأندلسية التي زات أو استقرت بإفريقية في العهد الحفصي.

-**رحلة عبد الباسط بن خليل المصري**(ت920هـ/1514م) المعروفة بالروض الباسم في أخبار العمر والتراجم. وقد عبر في الجزء الذي خص به بلاد المغرب عن تأثر الوضع الإجتماعي والإقتصادي والثقافي بالتهديد الأمني داخليا وخارجيا.

-**وصف إفريقيا** للوزان المعروف بجان ليو أو ليون الإفريقي (ت957هـ /1550م)، والتي تعتبر موسوعة تاريخية جغرافية، تقدم لنا تقارير اقتصادية وحضارية عن المدن التي عاينها من بلاد المغرب الإسلامي.

ب / المراجع:

ـ **الأندلسيون وهجراتهم في المغرب(16-17م)** لمحمد رزوق: وهو كتاب مهم جدا تناول فيه المؤلف أهم الهجرات وظروفها ، وأهم الجاليات التي استوطنت في المغرب الإسلامي بصفة عامة والمغرب الأقصى بصفة خاصة، وما كان لهم من أدوار حضارية في الإدارة والزراعة والصناعات والحرف ومواهب علمية وفنية كبيرة.

ـ **تلمسان في العهد الزياني** للدكتور عبد العزيز فيلالي، و هو كتاب يقع في جزأين يتناول بالدراسة و التحليل تاريخ مدينة تلمسان في العهد الزياني. وهو مؤلف في غاية الأهمية ذلك أنه يرصد تاريخ هذه المدينة من جوانب مختلفة سياسية و اقتصادية و ثقافية و إجتماعية و عمرانية ، و هو بذلك يعتبر مرجعا مهما لهذه الفترة .

-**تاريخ الدولة الزيانية** للدكتور مختار حساني، وهي دراسة جادة جدا تناولت مختلف تفاصيل الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية والثقافية التي سادت في دولة بني زيان، التي كانت محطة مهمة لنزول واستقطاب الوفود الأندلسية واستقرارهم ومساهمتهم في الإشعاع الثقافي والحضاري. والكتاب في الأصل أطروحة دكتوراه.

– **النشاط الإقتصادي في بلاد المغرب في ق6 هـ 12 /م** :لصاحبه عز الدين أحمد موسى، والذي أفادنا كثيرا فيما يخص الحياة الاقتصادية أيّام الموحدين، وأواخر حكم المرابطين، وعن تحوّل الطّرق التجارية البرية منها والبحرية. ودور أشياخ الموحدين وكيف أن الوافدين الأندلسيين قد سلبوهم ونازعوهم مكانتهم في البلاط الموحدي. وغيرها من الموضوعات الاقتصادية التي أثر فيها الوافدون الأندلسيون، ومساهمتهم في تطوير الإقتصاد المحلي.

ـ **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي بجزأيه** لصاحبه :روبار برنشفيك، والذي تمّت ترجمته عن اللغة الفرنسية، تناول تاريخ إفريقية الحفصية، أورد معلومات قيمة، وتحليلات عن الحياة الإقتصادية والإجتماعية لإفريقية في العهد الحفصي، بما في ذلك معلومات قيمة عن الوفود الأندلسية ودورها الإجتماعي والإقتصادي في تونس حاضرة إفريقية.

ـ **اليهود في المغرب الإسلامي** للدكتورة فاطمة بوعمامة، وهي دراسة قيمة عن أثر اليهود سواء الوافدين أو المستقرين في بلاد المغرب الإسلامي، في شتى مجالات الحياة السياسية والإجتماعية والإقتصادية.

ـ **تاريخ الغرب الإسلامي** لإبراهيم القادري بوتشيش، حيث أفادني في العلاقات التي أقامها الوافدون خاصة منهم التجار اليهود والمسيحيون، وما أفادوا به من إقامة العلاقات التجارية والتواصلية بين العدوتين.

ج/ الأطروحات والرسائل الجامعية:

– أطروحة دكتوراه: سكاكو حورية :**التحولات الإقتصادية في بلاد المغرب بداية من القرن السادس الهجري حتى أواخر القرن العاشر(12–716)** وهي دراسة قيمة استفدت منها بصفة خاصة فيما يتعلق بدور الوفود الأندلسية في الجانب الإقتصادي خاصة.

– أطروحة دكتوراه علوم، في تخصص تاريخ الغرب الإسلامي تاريخ وحضارة، للباحثة آمال سا لم عطية **السفارات في المغرب الإسلامي خلال القرنين 7–8هـ/13–14م**. وهي دراسة قيمة جدا تناولت الوفود من جانب سياسي ودبلوماسي ،أمدتنا بمادة علمية فيما يخص مهام الوفود الرسمية وحضورهم في بلاط ملوك بلاد المغرب في فترات مختلفة .

–أطروحة دكتوراه: **الأندلسيون وتأثيراتهم الحضارية في المغرب الأوسط**، للباحث محمد سعداني، وهي دراسة ذات قيمة كبيرة، أجاد فيها الباحث وأفاد بمعلومات غزيرة عن تأثير الوفود الأندلسية في الجانب الحضاري والعمراني.

- أطروحة دكتوراه:**بيوتات العلماء بتلمسان من القرن 7هـ/13م الى القرن 10هـ/16م** للباحث نصر الدين بن داود استفدت منها في الفصل الخاص بالنخب الوافدة الى تلمسان

-أطروحة دكتوراه: **العلاقات التجارية والثقافية بين المغرب الأوسط والسودان** الغربي للدكتور مبخوت بودواية، أفدتني كثيرا في العمائر الأندلسية في المغرب الإسلامي ، ورحلات التجار وإقامتهم، ودور العلماء والنخب العلمية الوافدة من الأندلس.

-رسالة ماجستير: **هجرة الأندلسيين إلى المغرب الأوسط ونتائجها** الحضارية لعبد المجيد قدور، وهي رسالة قيمة جدا ، أجاد فيها الباحث ، وبذل جهدا معتبرا، وقدم فيها معلومات وافية اعتمدنا فيها في أحايين متعددة لما تضمنته من معلومات لما لها من صلة بفصول البحث .

-أطروحة دكتوراه: **المجالس العلمية السسلطانية لبلاد المغرب الإسلامي ودورها في التواصل الفكري من القرن(07- 0هـ/13-15م)**للدكتورة سكاكو مريم ، أفادتني كثيرا في مآثر الوفود العلمية وأخلاقهم ومكانتهم لدى مختلف فئات المجتمع ببلاد المغرب الإسلامي أنذاك.

د/ المقالات والدوريات:

ـ الهجرة الأندلسية إلى المغرب الإسلامي ونتائجها الإجتماعية والحضارية الجزائر كنموذج لعبد المجيد قدور وقد اشتمل على تأثيرات الأندلسيين في الحياة الإجتماعية والحضارية بالمغرب الأوسط .

- **سلاطين بني مرين في مدينة تلمسان تشييد العمائر واستقطاب العلماء أي علاقة؟**، لمريم سكاكو أفادني في بلورة دور النخب الوافدة الى تلمسان.

ـ الحياة الاقتصادية في المغرب الأوسط في العهد الزياني للأستاذ الدكتور مبخوت بودواية، ويعتبر دراسة دقيقة و قيمة جدا في هذا المجال.

- **إسهامات علماء تلمسان الفكرية في الأندلس من خلال كتاب الإحاطة لإبن الخطيب**،للدكتور رشيد يماني والتي سلط الضوء فيها على أثر علماء تلمسان في الأندلس.

- **دور أهل الذمة بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني** (7-10هـ/10-13م) لنميش سميرة وهي رسالة ماجستير في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي في العصر الوسيط استفدت منها كثيرا في خاصة ما تعلق بأهل الذمة ودورهم في الدولة الزيانية .

❖ الصعوبات:

صادفتني أثناء عملية البحث بعض الصعوبات، ألخصها في النقاط الآتية:

- تداخل المادة العلمية المتعلقة بالتأثير الإيجابي للوفود خاصة فيما تعلق بالجانب الإقتصادي والإجتماعي. مما تطلب الرجوع إلى كتب الرحلة والجغرافيا والتراجم والسير.

- ندرة الأخبار التاريخية عن الطرق والممرات التي سلكتها الوفود من والى بلاد المغرب، ومناطق وظروف نزولهم قبل وصولهم إلى الحواضر. مما استدعى الربط المنطقي والإفتراضي لكثير من الحالات حتى توائم المنهج التاريخي التحليلي.

- صعوبة فهم الواقع الجديد الذي أفرزته الكيانات الجديدة (موحدون، زيانيون، حفصيون، مرينيون) وعلاقة ذلك بتفسير الهجرة الأندلسية ونموها في تلك المناطق.

- صعوبة إدراك المستوى المعيشي الحقيقي للوافدين، واستفادتهم من السياسات الإقتصادية، والإندماج الإجتماعي.

ولا ندعي أننا أكملنا بحثنا في هذا الموضوع، وإنما يبقى متاحا لمزيد من البحث والدراسة والمعالجة بحسب ما استجد من معلومات عديدة، خاصة وأن الموضوع متشعب ، ويمكن أن تدرس جزئية منه على شكل دراسة مستقلة موضوعيا.

وهنا أنوه بجهود المشرف الأستاذ الدكتور : **مبخوت بودواية** لقبوله الإشراف، ولدوره الفعال في إخراج هذا العمل، فله جزيل الشكر والتقدير، وللجنة القراءة أسمى عبارات الإحترام والتبجيل على تجشمهم عناء قراءة هذا البحث وتقييمه وتقويمه.

الطالب:خثير قويدري

الفصل التمهيدي:
الإطار المفاهيمي والتاريخي لمصطلح الوفود

13

1/الوفد :

الوفد لغة :الواو والفاء والدال، أصل صحيح يدل على الإشراف والطلوع. [1] يقال :وفد فلان على القوم أو على الأمير، يفد وفدا ووفادة وإفادة فهو وافد أي قدم أو وخرج إلى ملك أو أمير. والوافد يجمع على وفد وجمع الجمع وفود، وأوفد ووفد، والاسم منه الوفادة، يقال: أوفدته فوفد، وأوفد على الشيء فهو موفد أي أشرف، والإيفاد هو الإشراف والرفعة والإسراع[2].

وقد ورد مصطلح الوفد في قوله تعالى :﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾[3] .وفي الحديث:﴿ وأَجيزُوا الْوفَد بِنَحْوِ مَا كُنْتُ أُجيزهُم﴾ [4] .

ب .الوفد اصطلاحا :الوفد هو جماعة مختارة للتقدم في لقاء ذوي الشأن، وهم أيضا القوم يجتمعون ويردون البلاد أو الذين يقصدون الأمراء والملوك يستنجزون حاجة من الحوائج، والوفد أيضا الركب المكرمون [5]. كما في قوله تعالى:﴿ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا﴾ .

ثانيا: المصطلحات التي تدل على معنى الوفود:

1/السفير:

ا/ **السفارة لغة** :مصدر من الفعل سفر، وهي بكسر السين وهي النيابة يقال: "سفرته بين القوم أي اصطلحت.

وعرفها أبو فارس والزمخشري على" أنها تدل على الإنكشاف والجلاء، لأن الناس ينكشفون عن أماكنهم . والسفر بين القوم سفارة إذ أصلح لأنه أزال ما كان هناك من عداوة وخلاف "[6] .

---

[1] ابن فارس أحمد بن الحسن: معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، المجمع العلمي العربي الإسلامي، دار الفكر لطباعة والنشر،ج 6 "129.

[2] ابن منظور:لسان العرب، مج1 "454طبعة دار المعارف،ص 4881.

[3] سورة مريم الآية85.

[4] أبو مسلم النيسبوري: صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1 2000 1 72685.

[5] عنان عبد الرحمن: السفارة ودورها في تدعيم العلاقات الدولية، رسالة ماجستير في الشريعة والقانون، قسم الشريعة، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 1429-1430هـ/2008-2009 9 620.

[6] ابن فارس: معجم مقاييس اللغة ج3 : 82 .

وفي لسان العرب سفر أيضا بمعنى أضاء وأشرق [1] . وذلك وردت اللفظة في القرآن الكريم في قوله تعالى:﴿وُجُوه يَوْمَئِذٌ مُسْفِرَة [38] ضَاحِكَة مُسْتَبْشِرَة ﴾[2] .

وتطلق السفارة على مقام السفير أي الدار التي يقيم فيها، وتجمع على سفارات، والسفرة هم الملائكة، جمع سافر وهو في الأصل الكاتب، سمي به لأنه يبين الشيء .بأيدي سفرة كرام بررة ويوضحه، ومنه قوله تعالى:﴿بأيدي سفرة، كرام بررة﴾[3] .

والسفارة هي أيضا النيابة، وأصلها في اللغة الإصلاح، وقد استخدمها العرب بمعنى الرسالة؛ أي التوجه والإنطلاق إلى القوم بغية التفاوض، فقد جاء في معجم مقاييس اللغة أن السفير: "هو الشخص الذي يمشي بين القوم في الصلح أو بين رجلين" [4] .

ب/السفير اصطلاحا:

هو المبعوث الدبلوماسي الأعلى درجة في مراتب المبعوثين الدبلوماسيين، يرأس ويدير البعثة الدبلوماسية المسماة السفارة، يعين من قبل رئيس الدولة، ويعتمد لدى رئيس دولة أجنبية، ويتولى تمثيل دولته وحماية الرعايا الوطنيين، وتنمية العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية والثقافية والعلمية [5] .

2/ الرسل.

أ .**الرسول لغة** :أصل الرسل في اللغة هو الإنبعاث والتؤدة، ومنه الرسول المنبعث، وتصور منه تارة الرفق فقيل: على رسلك، إذا أمرته بالرفق، وتارة الإنبعاث، فاشتق منه رسول .ويقال :راسله مراسلة فهو رسيل والجمع مراسيل وتراسل القوم :أرسل بعضهم إلى بعض رسولا أو رسالة، والرسالة في الأصل :الكلام الذي أرسل إلى الغير، وخصت عند العلماء بالكلام المشتمل على قواعد علمية في موضوع واحد، وأرسلت فلانا :بعثته برسالة يؤديها، فهو مرسل ورسول، الرسول على وزن فعول بمعنى مفعول.[6] .

---

1 ابن منظور: لسان العرب، مج1 : 20252323.

2 سورة عبس الآيتان 38-39.

3 عبس، الآيتان 15-16.

4 ابن فارس: معجم مقاييس اللغة،ج 3 82163 .

5 أحمد سعيفان :قاموس المصطلحات السياسية والدستورية والدولية، عربي إنجليزي فرنسي،مكتبة ناشرون لبنان2004 202 .

6 الجوهري إسماعيل بن حماد: الصحاح- تاج اللغة وصحاح العربية—ج4 : 1709 مادة:رسل.

ويطلق الرسول على من أمره المرسل بأداء الرسالة في عقد أو أمر آخر كتسليم المبيع وقبض الثمن، فهو يبلغ الرسالة فقط، وليس وكيلا ولا يضيف العقد إلى نفسه[1] . وعرفه بعضهم، فقال: هو رجل يرسل بين ملكين في أمور خاصة من عقد صلح أو هدنة أو فداء أو تحالف، فيمثل المرسل كأنه هو ويتكلم باسمه[2] .

3/ المبعوث:

المبعوث اصطلاحا :يظهر معنى المبعوث والرسول بمعنى واحد، وهو كل من أمره المرسل بأداء الرسالة في عقد أو أمر آخر، كتسليم المبيع وقبض الثمن، فهو يبلغ الرسالة فقط، وليس وكيلا ولا يضيف العقد إلى نفسه [3] .

***البعثة** : ومعنى البعث الرسول والجمع بعثان وهم القوم المبعثون المشخصون ويقال بعث الجند ببعثهم بعثا أي وجههم وبعث البعير فانبعث أي حل عقاله فأرسله وبعثه بمعنى أرسله فانبعث[4] .

وقد وردت كلمة البعث في قوله تعالى(:هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ) [5] .

ثالثا: الدوائر الرسمية المختصة بشؤون البعثات والمراسلات: وقد اختصت عدة دوائرة رسمية بهذه المهام نذكرمنها:

1/ ديوان الرسائل:

وهو الدائرة الرسمية التي تشرف على مراسلات الخليفة في أول الأمر مع الولايات والأمصار. وفي بعض الأحيان مع الدول الأخرى التي تفاوض في بعض الشؤون السياسية والاقتصادية.[6]

وللتعرف أكثر على واجبات كاتب ديوان الرسائل في العهد العباسي، فهي صياغة الرسائل السياسية المهمة

---

1 التهانوي :كشاف اصطلاحات الفنون، دار الكتاب الجديد1983،بيروت ج1 :73-76.

2 صلاح الدين المنجد :النظم الدبلوماسية في الإسلام، ،مكتبة لبنان، ج11 ص13.

3 عنان عبد الرحمن : السفارة ودورها في تدعيم العلاقات الدولية، رسالة ماجستير في الشريعة والقانون، قسم الشريعة، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 1429-1430هـ/2008-2009م 613.

4 ابن منظور، المصدر السابق، مج11 ج44 ص30 .

5 سورة الجمعة، الآية02 .

6 عبد العزيز الدوري: النظم الإسلامية، مركز دراسات الوحدة العربية : 11 بيروت 2008ص170.

والأوامر الإدارية. وإعدادها وتحريرها بأسلوبه الخاص نيابة عن الخليفة. كالرد على الرسائل الواردة إلى مركز الخلافة من الأقاليم المنضوية تحت حكم الخلافة الإسلامية، وفضلا عن ذلك المكاتبات الرسمية التي تحدد علاقات الدولة الإسلامية أنذاك(العهد العباسي) مع الشعوب المجاورة.

2/ ديوان البريد:

أنشيء لتنظيم الاتصالات وضروب التنقل وآلات التنقل ، بين العاصمة وأجزاء الخلافة، ولنقل الأخبار الدينية والسياسية والادارية من ولاية إلى أخرى [1]. لذلك كان صاحب البريد من أهم الموظفين عند المنصور. فلم يكن يوليه إلا للمقربين من مواليه أو ممن يثق بهم. والواقع أن مهمة رجال البريد لم تكن مجرد التجسس وإبلاغ الأخبار إنما كانوا يستطلعون أسعار السلع ويوفون الخليفة بها وقد تعددت مهامهم وكثرت أعدادهم في الولايات ، وجميعهم يخضعون لصاحب البريد المركزي في بغداد[2].

3/ الدبلوماسية :

الدبلوماسية مصطلح لاتيني مشتق من الكلمة اللاتينيةDiploma والتي تعني وثيقة رسمية، حيث كانت مراسلات الملوك وأوامرهم وبلاغاتهم ومفاوضاتهم تدون في وثائق محكمة ثم تطوى في سجلات خاصة، وقد اكتسبت الكلمة شهرة عالمية للدلالة على الكفاءة والجدارة، ولا تزال مستخدمة بشكل واسع في الحقل الأكاديمي للدلالة على الوثائق التأهيلية التي يحصلها المتخرجون من الجامعات في إطار اختصاص معين، وهي تستخدم اليوم بكثرة في الحقل الأكاديمي العربي بعنوان دبلوم الإختصاص[3] .

وأُطلقت اللفظة في روما على تصريحات المرور للرسل باسم مجلس الشيوخ أو الإمبراطور، ثم اتسع اللفظ ليشمل الوثائق الرسمية الأخرى. وفي أواخر القرن السابع عشر أطلقت الدبلوماسية على إدارة الشؤون الشؤون السياسية، ودراسة المخطوطات وتحليل المعاهدات والإحاطة بالعلاقات الدولية، و تطلق كلمة الدبلوماسي على مبعوثي الدولة الذين يتولون مهمات خاصة إلى الخارج[4] .

الدبلوماسية لغة :

---

[1] فاروق عمر فوزي: تاريخ النظم الإسلامية دار الشروق،عمان،2009 ص330.

[2] حسن أحمد محمود و أحمد ابراهيم الشريف: العالم الإسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي، بيروت، ط5 ص120.

[3] محمد حبش :الإسلام والدبلوماسية، قراءة في القيم الدبلوماسية في الإسلام، 1434هـ/2013 aspire 14.

[4] قاسم خضير عباس:المبادئ الأولية في القانون الدبلوماسي، دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط11 2009 ص 17-18.

كلمة دبلوماسية من أصل يوناني ، وكان يقصد بها في اللغة اليونانية القديمة الوثيقة الرسمية المطوية مرتين والصادرة عن الرؤساء السياسيين للمدن التي كان يتكون منها المجتمع الاغريقي[1] .

الدبلوماسية اصطلاحا :

عرفت الدبلوماسية على أنها المفاوضات التي تدور بين ممثلي دولتين بقصد حل مشكلة قائمة بينهما ، أو بقصد التمهيد لإبرام اتفاق دولي بينهما[2] . وينصرف مدلول كلمة دبلوماسية عند أغلب الفقهاء إلى فن إدارة العلاقات الخارجية للدولة. أي ممارسة الدولة لسياستها الخارجية عن طريق المفاوضات وغيرها من الوسائل السلمية دونما حاجة للإلتجاء إلى الحرب[3] .

ومن أدق وأشمل التعاريف في نظري هو تعريف الفقهاء " على أنها علم العلاقات والمصالح المتبادلة للدول. أو فن التوفيق بين مصالح الشعوب. أو علم وفن المفاوضات" [4] وأن الدبلوماسي هو الشخص الذي تبعثه دولته في مهمة من المهام، فيسعى لإنجازها عن طريق المباحثات، وغيرها من الأساليب الدبلوماسية مع ممثلي دولة أخرى، أي أن الدبلوماسي هو وكيل حكومته يمثلها لدى دولة أخرى في جميع المفاوضات الهامة[5] ".

حيث كان السلاطين والملوك يبعثون بالسفراء الذين كانوا يُعتبرون الممثلين الرسميين لدولهم منذ العهود اليونانية والرومانية، وقد عرف العرب نظام السفارة بينهم وبين غيرهم من القبائل والأمم والشعوب المجاورة، بوصفها وسيلة وليس ثمة بديل عنها للخروج من عزلتهم في شبه الجزيرة العربية، ولتبادل المنافع مع جيرانهم، خصوصا في الشرق والشمال[6] .

وكانت تسمى عادة آداب الملوك، أو الأحكام السلطانية، أو السياسة الشرعية، ومن أهم هذه الأعمال: كتاب السير الكبير للإمام محمد بن الحسن الشيباني وشرحه للإمام السرخسي، وكتاب الخراج للقاضي أبي يوسف، وكتاب :رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة لابن الفراء، وكتاب الأحكام

---

1 عبد العزيز سرحان: قانون العلاقات الدبلوماسية والقنصلية،القاهرة، 1986، ص3.

2 المرجع نفسه : 4.

3 عنان عبد الرحمن: السفارة ودورها في تدعيم العلاقات الدولية، ،ص8.

4 عبد العزيز سرحان: المرجع السابق : 5.

5 محمد عزيز شكري :المدخل إلى القانون الدولي ، الناشر دار الملايين، 2016 ص319 .

6 عبد الرحمن محمد: الدبلوماسية الاسلامية ،ص33.

السلطانية للماوردي، وكتاب السياسة الشرعية لابن تيمية، وكتاب مآثر الأناقة في معالم الخلافة للقلقشندي، وكتاب الإبريز المسبوك في كيفية آداب الملوك للقاضي ابن الأزرق الأندلسي، وله أيضاً كتاب تخيير الرياسة وتحذير السياسة، وكتاب أخلاق الملوك للجاحظ[1] .

رابعا: الشروط المعنوية لاختيار الوفد/ السفير:

1/صفات اختيار الوفود والسفراء:

إن الوفد أو السفير واجهة لدولته ، ولابد لهذه الواجهة أن تكون لائقة من جميع الوجوه، تروق للناظرين. وتقنع المحاورين، تحسن التصرف في كل موقف بما يتطلبه. تتزود بحسن المخبر والمظهر في كل حال. وهذا يتطلب منا دراسة صفات هؤلاء الوفود التي كان المسلمون يراعونها في اختيار وفودهم[2] .

1-1/ الصفات الجسمية لإختيار الوفد/ السفير:

ا/ حسن الإسم والوجه :

اسم الوفد أو المرسول أول ما يسأل عنه المرسل إليه. وأهم ما يصل الى أذنه وأسرع ما يتبادر في ذهنه وفكره عن محتوى الوفادة والسفارة. فالعامل النفسي مهم جدا في الانطباع الذي يتركه الاسم قبل كل شيء. لذا كان رسول الله صلع الله عليه وسلم يحرص على تسمية مرسوليه تسمية حسنة. وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال:"إذا أبردتم إلي بريدا فاليكن حسن الوجه حسن الإسم"[3] .

وقالت الحكماء:" ثلاثة تدل على ثلاثة: الهدية على المُهدي، والكتاب على الكاتب، والرسول على المرسل"[4] .

ب/حسن الهيئة والقد :

ومما جاء عن أبي حمو الزياني أنه قال في وصف هيئة السفير : " أن يكون السفير مليح الهيئة والصورة، فيه

[1] محمد حبش: الاسلام والدبلوماسية،(aspring press) 2013 ص18.

[2] سليمان الرحيلي: السفارات الإسلامية إلى الدولة البيزنطية،مكتبة التوبة،الريا3 0 1414هـ،ص30.

[3] البخاري: الجامع الصحيح موقع archive.org. الحديث رقم 259 .

[4] ابن الفراء أبو علي الحسين بن محمد: رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة، تح صلاح المنجد، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1366هـ/1947: ص13.

محاسن مشهورة "[1] .

وقال أيضا أبو الفراء" : يستحب في الرسول تمام القد وعدالة الجسم، حتى لا يكون قميئا ولا ضئيلا .وإن كان المرء بأصغريه، مخبوءا تحت لسانه .ولكن الصورة تسبق اللسان، والجثمان يستر الجنان وذلك ماورد في قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: " يُؤذن لكم، فيُقدم أحسنكم اسما، فإذا دخلتم قدمنا أحسنكم وجها، فإذا نطقتم ميزتكم ألسنتكم ... وكانت أعين الملوك تسبق إلى ذوي الرواء من الرسل؛ وإنما توجب ذلك في رسلها لئلا تُنفذ واحدا إلى أمة، وفدا إلى جماعة، وشخصا إلى شخوص كثيرة .فاجتهدوا في أن يكون ذلك الواحد وسيما جسيما يملأ العيون المتشوقة إليه فلا تقتحمه، ويُشرف على تلك الخِلق المتصدية له فلا تستصغره"[2] . والمعنى أن يجتمع في الشخص نظافة الجسم والملبس، والتناسق في ألوان ملابسه ونوعيتها وملاءمتها لأذواق الناس وعاداتهم [3] . وقد ورد عن ابن الفراء قوله: " ينبغي أن يجمل السفير بكل ما أمكن، والعامة ترمق الزي أكثر مما ترمق الكفاية والسداد، وكانوا يعتنون بذلك، حتى أن إمبراطور بيزنطة دهش من كثرة تجمل سفير المعتصم إليه "[4] .

والملاحظ أن سفراء المغرب الإسلامي قد تعارفوا عرفا دبلوماسيا باعتبار هذه الصفات واشتراطها فيمن يتقلد السفارة. لذا لم يخرجوا عن هذا الإطار لأنها الصفات المتعارف عليها في تلك الفترة، على الرغم من عدم وجود إشارات تبين الملابس التي ارتداها السفراء، وعلى الأرجح لا تخرج عن العُرف المتبع في تلك الفترة[5] .

---

1 أبو حمو موسى الزياني: واسطة السلوك في سياسة الملوك، تحقيق وتعليق محمود بترعة، دار النعمان للطباعة والنشر، دار الشيماء، الجزائر، 2012 .243

2 ابن الفراء: رسل الملوك، ص20.

3 سهيل حسين الفتلاوي: الديبلوماسية الإسلامية دراسة مقارنة بالقانون الدولي المعاصر ،دار الثقافة للنشر، عمان الأردن ص181.

4 ابن الفراء: المصدر السابق : 9.

5 آمال سالم عطية:السفارات في المغرب الإسلامي خلال القرنين 7-8هـ/13-14م، أطروحة دكتوراه علوم، في تخصص تاريخ الغرب الإسلامي تاريخ وحضارة، جامعة مصطفى اصطنبولي معسكر، الجزائر، 1436-1437هـ/2015-2016 ص22.

1-2/ الصفات الأخلاقية والسياسية:

ا/ الكفاءة والأمانة:

لا يختلف مبدأ تعيين السفراء في الإسلام عن تعيين أي من موظفي الدولة وخبرائها، ذلك بالإعتماد على الكفاءة والأمانة، وهي العبارة التي وردت في القرآن الكريم في سياق اختيار الموظفين على لسان يوسف عليه السلام إذ قال لملك مصر :﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأرضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾يوسف55 وعلى لسان ابنة شعيب إذ قالت عن نبي الله موسى :﴿إنَّ خير مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأمْين﴾القصص26 وأوصى السلطان أبو حمو موسى ابنه مبينا له صفات رسوله قائلا:" أن يكون صادق القول محافظا على الأسرار، كاتما لجميع الأخبار"[1]

ب/ الفهم وسرعة البداهة:

أن يكون عارفاً بثقافة البلاد التي يسافر إليها، ولا يجوز إرسال مبتعثين. دون أن تكون لهم معرفة كافية بالبلاد التي يستخدمون فيها، وفي هذا السياق نستأنس بقول رسول الله لزيد بن ثابت :﴿تأتيني كتب بالسريانية فأحب أن أعرف ما فيها فتتبع لي السريانية فتعلمها، فقال زيد فتتبعتها فأتقنتها في سبعة عشر يوماً﴾ [2] .

كما يشتر أن يكون "حاد البصر، ذكي القلب ، يفهم الايماء ويناظر الملوك على السواء، فإنه إنما ينطق بلسان مرسله. فإذا ذكروه عرف ،وإذا نُظر إليه لم يحتقر"[3] . وأما الماوردي فيقول: "فلا يختار لرسالته إلا ...حاضر البديهة ذكي الفطنة فصيح اللهجة جيد العبارة[4] .

ج/ الإستقامة والصلاح:

أن يكونَ من المعروفين بالصالح والإستقامة، لأن السفير صورة الأمة، وسلوكه ليس شأناً خاصاً يختار فيه ما يشاء إنه يمثل أمته ومن حق الأمة أن تخضعه لحملات مراقبة ومتابعة تتناسب مع حجم المسؤولية

---

[1] أبو حمو: واسطة السلوك ص243 .

[2] محمد حبش: الإسلام والدبلوماسية،ص61.

[3] ابن الفراء: رسل الملوك،ص9.

[4] الماوردي أبي الحبيب الحسين: الأحكام السلطانية والولايات الدينية ت أحمد مبارك البغدادي،ط1،الكويت1989 ص25.

التي ستلقى عليه[1] . أما ابن الفراء فيقول: "اختر لرسالتك في هدنتك وصلحك ومهماتك ومناظرتك والنيابة عنك، رجلا حصيفا. بليغا نبها قليل الغفلة منتهز الفرصة، ذا رأي جزل وقول فصل، ولسان سليط"[2] .

د/ البصيرة والعفة:

يقول ابن رضوان: "فيجب عليك أن تختاره أرفع من بحضرتك عقلا وبصيرة وهيئة وأمانة، مجنبا لجميع الريب، فإن وجدته كذلك، فأرسل به وفوض إليه، بعد أن تعرف غرضك، ولا توصيه بما يأتي به .وإن لم يكن بهذه الصفة فليكن أمينا ثقة يقظا[3] .

هـ/الشجاعة وقوة الشخصية: يقول ابن الفراء:" والرسول –الموفد- محتاج من الإقدام والجرأة إلى مثل ما يحتاج إليه من الوقار والرزانة. لأنه ليس على كل الطبقات يشتد ، ولا لكلها يلين. وربما لم يسعه إلا أن يصدع بالرسالة على ما فيها ، فمن لم يكن جريئا حرفها، وأخل بها وأفسد معانيها"[4] .

و/الكياسة وحسن السياسة: ينبغي أن يكون ذا فطنة وبصيرة نافذة، ودراية ظاهرة ، ودهاء وذكاء ثاقب، يتصرف بحنكة ودراية حسب المواقف التي تعرض له في الدولة الموفد إليها ، دون أن يحيد عن مباديء دولته ومواقفها. يجمع بين سياسة اللين والشدة المبطنة باللين، ولربما يحتاج في بعض المواقف أن يجيل الحق في شخص الباطل والباطل في شخص الحق دون أن يفقد الحق جوهره والباطل معناه. في دهاء ودراية بما يتطلبه كل موقف[5] .

---

1 محمد حبش: الاسلام والدبلوماسية،ص61.

2 ابن رضوان المالقي: الشهب اللامعة في السياسة النافعة، تحقيق علي سامي النشار، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1984 ص 346 .

3 ابن رضوان المالقي: الشهب اللامعة ص347.

4 ابن الفراء: رسل الملوك،ص12.

5 سليمان الرحيلي: السفارات الإسلامية إلى الدولة البيزنطية،ص31.

22

1-3/الصفات العلمية والثقافية:

ا/العلم والفصاحة والبيان:

وأما الماوردي فيقول: "فلا يختار لرسالته إلا رائع المنظر كامل المخبر، صحيح العقل حاضر البديهة ذكي الفطنة فصيح اللهجة جيد العبارة. ظاهر النصيحة موثوق بدينه وأمانته مجربا منه. حسن الإستماع والتأدية كتوما للأسرار عفيفا عن الأطماع غير منهمك في الهوامش والسكر والشرب[1] .

يقول أبو حمو عن السفير "فصيح اللسان حسن العبارة والبيان "[2] . "جهر الصوت ،حسن البيان، جيد العبارة ، حافظا لما يتبلغ ليؤديه على وجهه. ولا يمنعه الصدقَ عن سلطانه رغبةُ يقدمها فيمن يتوجه إليه. ولا مهانة يستشعرها في نفسه" [3] .

2/ الممنوعات المتعلقة بالوفود أثناء سفارتهم:

من تاريخ الوفود والسفرات وحلهم وترحالهم ، يمكننا أن نستخلص جملة واجبات عليهم التحلي بها . وبعض الموانع التي تحرم عليهم لأنها تفسد عليهم سفارتهم وأهمها:

-عدم قبول أية هدية من الدولة أو المدينة التي يوفد إليها في مهمة دبلوماسية وهنا تظهر لنا الحيطة الكبيرة التي كان يحيط بها الإغريق الوظيفة الدبلوماسية. وخوفهم الشديد من أن يؤدي اتصال الدبلوماسيين بالسلطات الحاكمة في الخارج الى التآمر على مصالح دولهم[4].

- يمنع منعا باتا التعرض لشخص الممثل والوفد الدبلوماسي. حيث غدا هذا مبدأ معروفا ومطبقا في القانون الدبلوماسي في عهد الإغريق[5].

-نهي المرسول- الوفد- عن تعدي ما أرسل به، وخير له أن يخطيء برأي المرسل، من أن يصيب برأيه[6]. وهذا ما يبين أهمية جانب الأمانة في التبليغ والنقل الذي يقوم به الوفد. فلا يحصل بذلك تأويلا لمهمته ولا تصبح السفارة مجرد قضية شخصية أو نفسية يتفاعل معها الموفد أو يجحف في إسدائها كما هي إذا لم

---

1 الماوردي: نصيحة الملوك، تحقيق محمد خضير، مكتبة الفلاح، الكويت،ط1 1983 276.

2 أبو حمو موسى الثاني: المصدر السابق، ص 243.

3 ابن الفراء: المصدر السابق : 11.

4 سرحان:قانون العلاقات الدبلوماسية،ص13.

5 المرجع نفسه.

6 ابن الفراء: رسل الملوك،ص9.

توافق مزاجه وهنا قد يفسد مغزى السفارة، ويخرج عن موضوعها. وهذا أمر غير مقبول في العرف الدبلوماسي عبر التاريخ.

-نهي المرسول -الوفد- عن الوهم بالرسالة أو التحريف فيها ، وإلا أَصبح هو نفسه أحوج إلى رسول ثان[1] والمراد أن ينفي الوفد كل أوهامه التي قد يلصقها بموضوع السفارة وأن يتجرد من كل عاطفة أو رأي تجاه الموضوع وأن يبلغه بلسان من أوفده وفهمه. لا كما بلسانه وفهمه هو.

-يمنع على المرسول –الوفد- منعا باتا الكذب والخيانة في موضوع ما أرسل به. كان أردشير بن بابك يقول:" كم من دم سفكه الرسول بغير حله. وكم من جيوش قد هلكت ، وعساكر قد انتهكت، ومال قد انتهب، وعهد قد نقض بخيانة الرسول وأكاذيبه" [2] .

3/مراسيم استقبال الوفود والسفراء:

فقد استقبل النبي صلى الله عليه وسلم سفراء الملوك والقبائل الوافدين عليه وأكرم وفادتهم ووفر حمايتهم، فاستقبل سفير النجاشي وسفير المقوقس، وكان الوفد فيهما حميمياً كما استقبل خرخسره وبابويه سفيري كسرى القادمين من عند واليه على اليمن الملك باذان على الرغم من أن الرسالة التي جاءا بها كانت تنص على أن يحضرا رسول الله إلى كسرى ليقتله" [3] .

ومع ذلك فقد استقبل رسول الله السفيرين وتلطف في إبلاغهما الرسالة والدعوة، واستمع إلى رسالتهما ولم يبطش بهما على الرغم من لؤم الرسالة التي يحملانها، وذلك إقراراً لمبدأ حصانة الرسل. وبعد أن استقبلهما أسبوعين في المدينة حملهما رسالة رد لباذان والي فارس على اليمن، ثم أعطى خرخرسه محفظة فيها ذهب وفضة كان قد أهداها له بعض الملوك، فخرجا من عنده حتى قدما على باذان" [4] .

وعرف العباسيون نظام المراسم واستقبال الرسل والإحتفاء بهم .إذ كانوا يخصون السفير ومرافقيه باستقبال حافل على الحدود ومرافقته حتى دخول العاصمة، حيث يجد بانتظاره شخصية سامية، وينزل

---

1 ابن الفراء: رسل الملوك،ص9.

2 المصدر نفسه .25.

3 محمد حبش: الإسلام والدبلوماسية،ص49.

4 المرجع نفسه.

ومرافقه في قصر الضيافة، وقد جرت العادة على أن يستقبل السفير من قبل وزير مكلف بالمهمة(الوزير مرتبة أدخلها الفرس للدولة العباسية) يحدد معه موعد لمقابلة الخليفة(أمير المؤمنين) وعندما يحظى بمقابلة أمير المؤمنين يقدم له كتاب(سيده)رئيس دولته ومن ثم الهدايا التي يحملها له[1] .

4/حركة الوفود والسفراء في الحضارة الاسلامية:

لقد قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم خلال حياته الكريمة فقهاً دبلوماسياً غنياً من خلال بناء علاقات مسؤولة مع الملوك حول الجزيرة العربية، كما عقد أوثق الصلات بزعماء القبائل في جزيرة العرب، وحمل معهم مسؤولية التعاون لبناء الدولة على أرض الجزيرة العربية بعد أن عاش العرب قروناً نهباً لكل طامع، يتناوب على استعمارهم الشرق الفارسي والغرب الرومي، وتمكن عبر كفاح دبلوماسي صاحبته إرادة حقيقية في بناء الدولة بكل الوسائل المتاحة من قدراتسياسية[2] .

ولذلك فقد اكتفى الخلفاء فيما بعد بإرسال الرسل لإبلاغ مواقف محددة ضد المستبدين من قادة العجم والروم، وقد اشتهر أولائك السفراء بالشجاعة والذكاء والوضوح، واشتهر منهم ربعي بن عامر والنعمان بن مقرن، والمغيرة بن شعبة، والأشعث بن قيس، وفرات بن حبان، وعطارد بن حاجب، وحنظلة بن الربيع، وعمرو بن معد يكرب[3] .

كما اهتم عمر بن الخطاب بالرسل وانشأ ديواناً لهذه المهمة يتضمن تمحيص الرسائل التي تأتيه بواسطة الوفود [4] .

وخصص عثمان بن عفان مبالغ معينة من بيت المال لإستقبال الرسل الأجانب وتغطية نفقات إقامتهم .وعلى الرغم من التطور الذي يشهده القانون الدولي في الوقت الحاضر إلا أن الدولة لا تتحمل نفقات إقامة البعثات الأجنبية في بلدها[5] .

---

[1] سعيد أبو عباه: الدبلوماسية تاريخها ومؤسساتها أنواعها وقوانينها،دار الشيماء،ط1 2009 ص188.

[2] محمد حبش: المرجع السابق : 33.

[3] محمد حبش: المرجع السابق : 36.

[4] سعيد أبو عباه: المرجع السابق ص31.

[5] نفسه.

وكانت الوفود في حالات الهدنة والصلح تأخذ أخبارا عن حالة الأسرى . فكان يسمح لحاملي تلك الرسائل بزيارة معسكراتِ اعتقال الأسرى؛ ليتأكدوا من حُسن معاملتهم، وليتعرفوا على كلٍّ منهم[1] .

ومع تطور العلاقات السياسية والاقتصادية لدول المغرب الإسلامي مع جيرانها من الدول، ظهرت الحاجة إلى وضع قواعد خاصة لتنظيم الرسل والسفراء[2] .

ويتم هذا وفق مراسيم حيث يتم إرسال من يستقبل السفراء من طرف سلاطين المغرب الإسلامي، فقد استحدثوا منصبا خاصا في الدولة تتلخص مهام صاحبه في السهر على استقبال الوفود[3] .

" ففي المغرب الإسلامي يتم استقبال السفير(الموفد) في قصور السلاطين، لمدة ثلاثة أيام وبعدها يتم استدعائه من طرف السلطان لمعرفة سبب سفارته، فكان ذلك مدعاة لهيبة الدولة وعظمتها في نفوس ملوك وسلاطين الدول الأخرى، حتى إذا عادوا إلى أوطانهم تحدثوا بما رأوا"[4] .

كما عرفت الدولة الإسلامية وسلاطين المغرب الإسلامي نظام الاعتماد، "فكان الخليفة يزود السفير بوثائق تصدر عن ديوان الإنشاء، وفيها التعريف بالسفير والغرض من سفارته، وكانت أوراق الإعتماد هذه تكتب باللغة العربية، وأحيانا يحمل السفير ترجمة بلغة البلد الذاهب إليه[5] .

5/إكرام الوفود وإحسان وفادتهم:

ورد في كتاب زهرة البستان:" جاءه رسول من المولى أبي حمو الملك الحازم، فاعد له خير دارٍ للكرامة، واحتفل به احتفالا يليق بالإمامة، ثم و جه من وجوه حضرته من يليق للقائه، وعمِل على راحته واحتفائه"[6] .

---

[1] محمد حبش: المرجع السابق : 38.

[2] آمال سالم عطية: السفارات: ص 22.

[3] عمر راكة: علاقات الدولة الموحدية بالإمارات الإسلامية والممالك المسيحية في الأندلس، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2010-2011 .- ص117 .

[4] المرجع نفسه7922.

[5] أحمد عزاوي: العلاقات بين العالمين الإسلامي والمسيحي في العصر الوسيط من خلال نصوص عربية للمراسلات واتفاقيات السلم والتجارة، ط11 مطبعة .الرباط، المغرب، 2011 ج11 ص137 .

[6] مجهول: زهر البستان ونزهة الأذهان الناشر الدار الدوليةللإستثمارات الثقافية،2005 ج 2 72 1331.

ويضيف:" فأكرمهما أجمل إكرام، وقابلهما بما تقابل به الأرسالُ أُولي الإكرام. وعندما سلما عليه أقبل عليهما إقبال السار، وقال مرحبا برسولي خير الملوك الأحرار"، ثم إنه استحضرهما بعد ثلاثة أيام، وعمل لهما مجلسا حفيلا لذلك"[1].

المبحث الثاني: الهجرة، دوافعها ومراحلها.

كانت الوفود القادمة الى بلاد المغرب الإسلامي تتنقل فرادى وجماعات. فمنها الوفود السياسية والرحالة والتجار وغيرهم. وهذا في حكم الانتقال العادي. أما بالنسبة للأندلس فهناك دوافع جعلت الناس يهاجرون وبأعداد غفيرة وبشكل اضطراري قاهر. وهناك دوافع أخرى جاذبة إلى حواضر المغرب الإسلامي جعلت كثيرا من الأعلام والنخب وحتى من عامة الناس يفدون إلى تلك الحواضر.

1/دوافع قاهرة:

***سوء الأوضاع السياسية:**

كان لتدهور الأوضاع السياسية بالأندلس أثرا مباشرا على توالي الهجرات الأندلسية تجاه المغرب الأوسط بصفة خاصة، والمغرب الإسلامي بصفة عامة، لاسيما بعد ضعف دولة الموحدين وانهزامها في معركة حصن العقاب(909 هـ/1212 م)) تلك المعركة التي كانت بداية نهاية الوجود الإسلامي بالأندلس ونتيجة لذلك الضعف توالت الفتن والثورات ضد الموحدين.

ولما تعرض له المسلمون أيضا من أنواع التعذيب والتهجير القسري والجماعي، فقد أفتى كثير من الفقهاء بوجوب الهجرة ، وأنها لا تسقط على هؤلاء الذين استولى الطاغية لعنه الله على معاقلهم وبلادهم، واستدلوا في ذلك بآيات قرآنية وأحاديث نبوية[2] .

وبشكل عام فقد تحكم العامل السياسي والديني بشكل خاص في هجرة الأندلسيين التي كانت تشتد مع ضعف الأندلس. وتتوقف أو تتقلص مع صموده وقوته فمثلا: عند استقرار سلطة غرناطة تقلصت الهجرة في أوقات قوة هذه السلطة واشتدت عندما تهاوت هذه السلطة وسقطت غرناطة آخر معاقل العرب

---

[1] مجهول: زهر البستان،ج 22 2 ج3 : 135.

[2] الونشريسي أبو العباس أحمد: أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر،تح حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1416هـ/261352008.

والمسلمين بالأندلس حيث أصبحت الهجرة إلى العدوة المغربية شاملة وجماعية. وأصبحت أعداد المهاجرين بالآلاف وحتى من بقي من المسلمين في إسبانيا والبرتغال، وجدوا أنفسهم مجبرين على الهجرة ، فرارا بعقيدتهم ودينهم، أو مكرهين عليها بقرارات مدروسة ومخطط لها[1].

أ/ تدهور المستوى المعيشي والاقتصادي:

كما كان لتدهور الأوضاع الاجتماعية بالأندلس أيضا دور في هجرة الكثير من الأندلسيين نحو بلاد المغرب الإسلامي، بسبب الظلم وثقل أعباء الضرائب، وحتى الصراع العنصري بين طبقات المجتمع الأندلسي والذي نتج عن ازدحام غرناطة بالسكان نتيجة الهجرات المتوالية إليها من المدن الأندلسية الأخرى التي سقطت في أيدي الإسبان فارتفعت الأسعار ارتفاعا مذهلا، لم يستطع الكثير من السكان تحملها ممّا دفعهم إلى الهجرة وترك غرناطة، ونتيجة للصراع الدائم الذي كان قائما بين المسلمين والمسيحيين بالأندلس، كانت الضرائب مرتفعة جدا وذلك لتغطية نفقات الحرب، فكان المواطن الغرناطي يدفع مثلا في القرن 9 هـ/ 26 م ضريبة أكثر بثلاث مرات ما كان يدفعه المواطن القشتالي[2] .

وبسبب التضييق الإجتماعي الذي عانى منه المسلمون في الأندلس، خاصة بعد إصدار الكنيسة لمجموعة من القوانين في حقهم. ومنها منع الزواج بين المسلمين والمسيحيين[3] . إضافة إلى أصناف الترهيب والتضييق والضغوط التي نشأت عن تواجد أخطار تحيط بسكان الأندلس، وتهدد حياتهم. فكل مدينة أو قرية تتعرض لخطر بسبب صراع سياسي وفوضى اجتماعية أو لعدوان إسباني نصراني يقابله حتما فرار مجموعات سكانية سواء إلى مناطق آمنة بداخل البلاد الأندلسية أو إلى العدوة المغربية[4] .

ب/ التهجير القسري:

ازداد الوضع سوءا خاصة بعد سقوط غرناطة حيث أصبح الوضع لا يطاق. وبدأت حملات التهجير الجماعي القسري: وإجبار ما تبقى من الأندلسيين باللجوء إلى البلاد الإسلامية مغربا ومشرقا. وهكذا

---

[1] أحمد أمين الطوخ :مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،2998 ص 167 .وما بعدها.

[2] أحمد أمين الطوخ :المرجع السابق، ص 167 .

[3] حارث علي عبد الله:هجرة سكان الأندلس إلى المغرب وتأثيراتهم في الجوان السياسية والفكرية والمعمارية خلال القرن(7-9هـ/14-15م)،مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، ع5 ، مج27 2019 69.

[4] محمد سعداني: الأندلسيون وتأثيراتهم الحضارية في المغرب الأوسط(7-9هـ/13-16م)،أطروحة دكتوراه علوم، 1436-1437هـ/2015-2016م،قسم التاريخ جامعة وهران-ص118.

كانت سياسة النصارى الإسبان في الاستيلاء على المدن الأندلسية، وتخاذل ساسة وأمراء الأندلس الذي أصبح سببا قويا وحاسما في تهجير عدد كبير من الأندلسيين قسرا و عدوانا [1] .

ج/سقوط المدن الأندلسية:

في نهاية القرن الرابع وبدايات القرن الخامس الهجري تعرضت الأندلس وعاصمتها قرطبة إلى حالة مريرة من الفوضى والاضطراب أسفرت عن سقوط الخلافة الأموية بالأندلس وقيام ما يسمى بدويلات الطوائف حيث أصبحت مقسمة إلى ما يزيد عن 20 دويلة أو إمارة خاصة بعد سقوط مدينة طليطلة سنة 478هـ/1085م[2].

غير أن ما زاد من أعداد المهاجرين الوافدين من الأندلس إلى العدوة المغربية في مرحلة ما بعد سقوط الدولة الأموية. وحول الهجرة الأندلسية إلى وسيلة للجوء السياسي والبحث عن الأمان والاستقرار هو حدوث الاضطرابات السياسية ونشوء النزاعات العسكرية في بلاد الأندلس[3] .

ج/ العامل الديمغرافي:

من العوامل المساعدة على استقطاب المهاجرين الأندلسيين إلى حاضرة تلمسان الزيانية ما تعرضت له دولة بني عبد الواد الزيانية من انهيار ديمغرافي ونقص كبير في عدد سكانها، بسبب النزاعات العسكرية التي كانت تقع بين مملكة بني عبد الواد والقبائل البربرية ومنها الحصار المشدد والطويل الذي ضرب على العاصمة الزيانية من قبل المرينيين والحفصيين. إضافة إلى انتشار الأمراض المعدية والأوبئة الفتاكة كمرض الطاعون الذي تسبب في هلاك كثير من سكان المملكة الزيانية. ولعل هذا الفراغ السكاني في الدولة الزيانية كان من العوامل التي دفعت سلاطين بني زيان إلى الترحيب بالمهاجرين الأندلسيين، والعناية بهم رسميا[4] .

د/ العامل النفسي:

ويتمثل في الشعور بالغربة الذي عانى منه الأندلسيون في الأندلس نفسها. يقول محمد الطالبي:" والذي ينبغي التأكيد عليه إدراك كل أبعاد الهجرة الأندلسية الاجتماعية والنفسية هو أن مسلمي الأندلس، وهم

---

[1] محمد سعداني: الأندلسيون وتأثيراتهم،ص119.

[2] أحمد أمين الطوخ :المرجع السابق، ص167 .

[3] محمد سعداني: الأندلسيون وتأثيراتهم،ص87؛ أحمد أمين الطوخ :المرجع السابق، ص168.

[4] محمد رزوق: دراسات في تاريخ المغرب ،إفريقيا الشرق،1991 ص26.

في أغلبيتهم الساحقة من أبناء البلاد الأصليين، كانوا يشعرون أنهم أجانب وأنهم بأرض ليست بأرضهم، وقد حان وقت المطايا لمفارقتها" [(1)] .

هـ/ العامل الاجتماعي:

ويتمثل في حاجة المجتمع إلى الخبرات المتطورة للوافدين الجدد. ذلك أن نظرته لا تخلو من تعاطف وتضامن مع من نكب في وطنه وملكيته [(2)] .

2/ دوافع مساعدة ومحفزة:

ا/ الوحدة الجغرافية والحضارية: التي كانت تربط العدوة الأندلسية بالعدوة المغربية على اعتبار أن هاتين العدوتين منطقة واحدة متوحدة جغرافيا وثقافيا واقتصاديا يجمعهما الدين واللغة والمصير. بالإضافة لما كان يراه الأندلسيون من أن الساحل المغربي يعتبر مكانا للثراء الاقتصادي والتبادل التجاري[(3)] .

ب/ العامل السياسي وحسن الاستقبال الرسمي والشعبي:

يعتبر العامل السياسي من أبرز العوامل التي دعت الأندلسيين إلى الهجرة نحو المغرب الإسلامي عموما. ويتضح ذلك من خلال ما قامت به الدولة الموحدية من بسط نفوذها على ربوع المغرب الإسلامي وبلاد الأندلس. بحيث صارت العدوتان تحت حكم سلطة واحدة مما هيأ الأجواء لإنتقال كثير من سكان الأندلس إلى منطقة المغرب الإسلامي بشكل سلس[(4)] .

ومما شجع الوفود الأندلسية على القدوم والاستقرار في حواضر المغرب الإسلامي ومنها بجاية، ما لاقاه هؤلاء الوافدون من العلاقة الودية التي تربط بين حكام بجاية بالجالية الأندلسية. فالأمراء الحماديون كانت لهم صلة متينة مع نظرائهم الأندلسيين، خاصة شرق الأندلس، ولعل هذا هو السبب الذي دفع حاكم مملكة ألمرية المعتصم بن بن صماح أن يوصي ابنه معز الدولة باللجوء إلى الحماديين ببجاية[(5)] .

[1] محمد سعداني: الأندلسيون وتأثيراتهم،ص120-121.

[2] محمد حسن: المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة تونس الأولى،1999 : 578-579.

[3] محمد سعداني: المرجع السابق : 119.

[4] محمد سعداني: المرجع نفسه : 110-111.

[5] المرجع نفسه.

ومما ساعد هؤلاء الوافدين أيضا على النزول ببلاد المغرب الإسلامي والاستقرار بها، وجود استعداد لدى السلطة الحاكمة لإستقبال الوفود وتمكينهم من الاستقرار. مثلما فعل الحفصيون في تونس، وبنو عبد الواد في تلمسان، فقد سخروا وهيأوا كل مراسيم حسن الوفادة والاستقرار[1] .

وبسبب حفاوة الاستقبال التي كان تحظى بها الوفود الرسمية والشعبية في المغرب الإسلامي. فقد كان السلاطين الزيانيين مثلا يستقبلونهم بحفاوة وكرم، ويوجهونهم حسب طبقاتهم وحرفهم. فالعلماء وعلية القوم ينزلونهم منازل خاصة في العاصمة تلمسان. وأما التجار والحرفيون وأصحاب رؤوس الأموال فأنزلوا بدرب خاص بهم عرف بدرب الأندلسيين[2] .

وقد اتسم العهد الزياني بحسن استقبال الجالية الأندلسية لعدة أسباب ذاتية وموضوعية. فأما الذاتية فمنها دحض الأطماع الحفصية والغارات المرينية. مما دعا السلطان النصري أبا محمد الخامس ملك غرناطة إلى إرسال وفد إلى مدينة تلمسان سنة 763هـ/1359م.وكان على رأس هذا الوفد الكاتب والأديب إبراهيم بن الحاج الذي قام بمهمته أيما قيام. وحصل من السلطان الزياني على خمسين ألف من الزرع وثلاثة آلاف قطعة من الذهب لكراء السفن وشحنها إلى الأندلس[3].

وقد تجلى حسن استقبال السلاطين الزيانيين للمهاجرين الأندلسيين في تقديم التسهيلات والمساعدات، وتمليكهم الأراضي وإمدادهم بالمال والسكن. وتوظيفهم في المناصب العيا وجعلهم من الحاشية والخاصة[4] . وفي العهد الوطاسي في المغرب انتقلت الجالية الأندلسية إلى المغرب في ظروف خاصة. فالسلطة المركزية ضعيفة بفعل الأزمات السياسية الخطيرة التي كانت تعيشها : إمارات مستقلة ، غزو ايبيري

---

[1] وليم جورج مارسي: المعالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان، تر :مجموعة من الأساتذة، شركة الأصالة للنشر والتوزيع : 1،الجزائر 2011 : 32-33.

[2] ابن مريم أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد :البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان المطبعة الثعالبية الجزائر،1908؛33ص127؛ عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني(دراسة سياسية، عمرانية،اجتماعية،ثقافية)، موفم للنشر،الجزائر)2002: ص176.

[3] حنيفي هلايلي:الموريسكيون الأندلسيون في المغرب الأوسط خلال القرنين 16و17م ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، غير منشورة ص15.

[4] حنيفي هلايلي: المرجع نفسه 11215.

متواصل للسواحل المغربية، لذلك فقد تميزت الفترة في عمومها بأزمات اقتصادية واجتماعية (مجاعة وأوبئة وقحط وغلاء ونقص ديمغرافي خطير) [1] .

وكان موقف الجالية الأندلسية تجاه هذه الوضعية كالآتي: هناك جماعات رفضت هذه الوضعية وفضلت العودة إلى إسبانيا وجماعات أخرى فضلت البقاء والتعاون مع الوطاسيين ضد البرتغال والإسبان والسعديين. وجماعات فضلت أن تتدبر أمور نفسها وتعيش في شبه استقلال[2] .

ج/ الازدهار الاقتصادي والثقافي:

لقد شجع هذا الإزدهار الذي عرفه المغرب الأوسط في عهد بني زيان في المجال الاقتصادي والثقافي المهاجرين الأندلسيين على النزول بأراضي المغرب الأوسط وعاصمته تلمسان[3] .

حيث قامت علاقات تجارية بينهما(بني زيان وبني نصر) وكانت متميزة جدا، وساهمت بدور كبير في تمتين الروابط الثقافية بينهما، وقد ساعد على قوة العلاقات التجارية احتواء الدولتين على مراسي هامة كألمرية، مالقة بالأندلس وهنين، ووهران ...بالمغرب الأوسط، والتي كانت تتم عبرها عملية التبادل التجاري. وكانت الأندلس المصدر الرئيسي للدولة الزيانية بأغلب ما كان يصنع بها،كالمصنوعات الفخارية والعطور والورق[4] . وكانت تلك العلاقات عامل جذب لكثير من التجار وأصحاب الأموال مما جعلهم ينتقلون بأجزاء كبيرة من تجارتهم ورؤوس أموالهم والمساهمة في تحريك المال وازدهار الحياة الاقتصادية.

وبالنظر إلى مدن المغرب الإسلامي التي كانت تشبه كثيرا مدن الأندلس لكثرة مياهها وبساتينها وصناعها، فوجد الأندلسيون فيها تعويضها عما تركوه في مدن الأندلس[5]. وهذا يدخل في الاستئناس بتشابه المدن الذي ينفي عنهم الغربة ويشعرهم وكأنهم في وطنهم الأم مما شجع هؤلاء الوافدين إلى الإنتقال صوب المدن الساحلية في المغرب الإسلامي، والاستقرار بها. حيث لاحظ هؤلاء الوافدون أنهم بإمكانهم

---

1 محمد رزوق: الأندلسيون وهجراتهم،ص165.

2 محمد رزوق:المرجع السابق، ص165.

3 حنيفي هلايلي: المرجع السابق ص229.

4 خالد بلعربي : :الأسواق في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني، دورية كان التاريخية ،العدد السادس ،ديسمبر 2009 9 272.

5 ابن سعيد الغرناطي، نور الدين أبو الحسن علي بن موسى كتاب الجغرافيا تح :إسماعيل العربي، ط11 ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1971 ص290 .

الاستقرار بشكل طبيعي جدا والتفاعل مع المجتمع المغربي تأثيرا وتأثرا وبسبب سهولة الإندماج وقابلية وتقبل المجتمع المغربي للتعايش مع الوافدين[1] .

كماعرف المغرب الإسلامي عموما والمغرب الأوسط خصوصا في عهد بني زيان إزدهارا حضاريا في شتى المجالات سيما المجال الثقافي، وذلك الإزدهار راجع بالدرجة الأولى إلى اهتمام السلاطين الزيانيين بهذا الجانب، واشتراكهم فيه كأبي حمو موسى الثاني وغيره[2] .

د/ الاستقرار النسبي الذي كانت تتمتع به تونس:

كانت تونس تمثل في نظر الأندلسيين –في ذلك الحين– الملاذ الأخير. لما كانت تتمتع به من استقرار ومناعة نسبية. فإليها اتجهت أنظار ابن مردنيش عندما داهمتة جيوش آرغون في رمضان سنة 635هـ/1238م، فأوفد كاتبه ابن الأبار إلى أبي زكرياء مستصرخا، فأدى له البيعة وأنشد يقول:

أدرك بخيلك خيل الله، أندلسا إن السبيل إلى منجاتها درسا [3] .

هـ/ التركيبة البشرية للوافدين:

هناك عامل آخر ساهم في توافد كثير من الأندلسيين الى بلاد المغرب، وهو ما تميزت به الجالية الأندلسية المهاجرة إلى حواضره كفاس وتلمسان من تركيبتها البشرية. حيث كانت من الصفوة السياسية الثقافية ومن البيوتات العريقة، والعلماء الكبار والشخصيات المرموقة، وأصحاب الخبرة والمهارة في الحرف ومختلف المهن[4]ولم تكن تقتصر على فئة أو طبقة إجتماعية معينة وهو ما أضفى على الوافدين ميزة التنوع.

المبحث الثالث:

مراحل توافد الوفود والهجرات الأندلسية إلى المغرب الإسلامي:

نتيجة العلاقات الوثيقة بين المغرب والأندلس منذ الفتح الإسلامي فقد شهدت بلاد المغرب الإسلامي توافد الوفود وهجرة الأندلسيين بأعداد قليلة تارة، وكثيرة تارة أخرى حسب الظروف. إذ لا يمكن

---

[1] يحيى بوعزيز: الموجز في تاريخ الجزائرن الجزائر القديمة والوسيطة، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ،2009-2010- ص216.217.

[2] التنسي: أبو عبد الله بن الجليل: تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدر والعقيان تح :محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 2976 ص29 .

[3] محمد رزوق: دراسات في تاريخ المغرب،،ص28.

[4] محمد سعداني: الأندلسيون وتأثيراتهم،ص112.

حصرها في فترة زمنية معينة. ومن ثمة يمكن تقسيم المراحل التي مرت بها الهجرة الأندلسية إلى مرحلتين أساسيتين: مرحلة ما قبل سقوط الدولة الأموية بالأندلس ومرحلة ما بعد سقوطها. باعتبار أن انهيار الدولة الأموية وتفككها هو المؤشر الأول في تغير مسار الهجرة الأندلسية وطبيعتها لأنه بزوال سلطة الأمويين وزوال شمس خلافتهم، انتقلت بلاد الأندلس من القوة إلى الضعف والتفكك إلى دويلات متقاتلة أطمعت النصارى الإسبان في االإستلاء على كثير مدن المسلمين هناك. وكان ذلك بداية للهجرات القسرية الجماعية للأندلسيين فرارا من الصراعات الدموية لملوك الطوائف، ومن خطر العدو الإسباني[1].

وقد تواصلت الهجرة الأندلسية تجاه المغرب الأوسط في عهد بني زيان، واستمرت طيلة الفترات التي تلت ذلك.

1/ المراحل الأولى لقدوم الوفود الأندلسية:

بسبب العلاقات الودية التي قامت بين الرستميين والدولة الأموية بالأندلس: فقد شهد المغرب الأوسط خاصة والمغرب الإسلامي عامة قدوم عدة وفود وهجرات جماعية أندلسية، استقروا بمدنه، إلى درجة أن أصبحت عاصمتهم تيهرت بمثابة إحدى المحطات الرئيسية للأندلسيين، نظرا لما شهدته من تطور عمراني وحضاري. وكان لهم دور في تجديد عمران العديد من المراكز الساحلية وتعميرها. ونظرا لكونهم من البحارة فقد عملوا على تدعيم وجودهم التجاري على طول الساحل الشمالي لإفريقيا[2].

كما كانت جالية شرق الأندلس أولى الجاليات الأندلسية التي استقرت في مدينة تونس في بداية العصر الحفصي عقب سقوط الحواضر الأندلسية الشرقية في أيدي الإسبان، وتمركزت هذه الجالية في مدينة تونس وبجاية[3] .

1 محمد سعداني: الأندلسيون : 8.

2 فهيمة حناش: العلاقات بين المغرب الأوسط والأندلس خلال القرنين (5-6هـ/11-12م)،رسالة ماجستير، قسم التاريخ جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية،قسنطينة،1432-1433هـ/ 2011-2012م / 47.

3 فرحات محمد إبراهيم بكار: الهجرات الأندلسية إلى بلاد إفريقية في العهد الحفصي(625 -932هـ/1222-1474م)) مجلة العلوم والدراسات الإنسانية، العدد 27 الناشر، جامعة محمد بن غازي، ليبيا،2016 .ص08.

ثم تأتي بعد المجموعة الأولى مجموعة أخرى يتحدث عنها ابن خلدون على أنها مجموعة متميزة. وهي جالية غرب الأندلس التي أم أفرادها المملكة الحفصية بعد ضياع اشبيلية(646هـ/1249م)) وقد كانت مقربة أكثر من الأولى من طرف أبي زكرياء الحفصي مؤسس الدولة الحفصية[1] .

2/الهجرة الأندلسية قبل سقوط غرناطة 897هـ/1492م:

يعود الوجود الأندلسي بالمغرب الإسلامي الى وقت مبكر. بحكم الفتوحات الإسلامية والترابط الجغرافي والسياسي والحضاري خاصة في فترة حكم المرابطين والموحدين وتوطدت أكثر في فترة ما بعد الموحدين. فكانت الوفود الأندلسية تأتي بكثرة إلى المغرب وقد ارتبط الحفصيون بالوفود الأندلسية بروابط مهمة خاصة بفعل العلاقات بين الأسرة الحفصية وأهل الأندلس. وإلى جانب تلك العلاقة فإن تونس قد عرفت انهيارا ديمغرافيا كبيرا خلال هذه الفترة، وهو ما دفع بالحفصيين لتشجيع هجرة الأندلسيين لاستثمار مواهبهم [2] .

وبسبب السقوط المتتابع لمدن وحواضر الأندلس، اضطر الأندلسيون إلى الانتقال إلى مناطق أكثر أمنا، فنزح جزء منهم إلى غرناطة وكثيرون فضلوا التوجه صوب العدوة المغربية، أين وجدوا المجال رحبا لحسن الاستقبال والإستقرار[3].

وفيما يتعلق بالحالة الإحصائية لأعداد الوافدين الأندلسيين إلى إفريقية في مختلف الفترات، فإنه يستحيل إحصاء عددهم وهو مايراه محمد رزوق معللا ذلك: " إما بسبب عدم ورود أرقام واضحة آنذاك لصعوبة عملية الإحصاء. أو أن عددهم كان مرتفعا جدا لدرجة يصعب إحصاؤهم، خاصة إذا أخذنا بالحسبان أن أولائك الوافدين كانوا لا يستقرون بمكان واحد بل كانوا ينتقلون بين حواضر المغرب الإسلامي مثل ما حصل مع العديد من المهاجرين لما نزلوا طنجة، لكنهم غادروا وارتحلوا إلى تونس"[4] .

1 محمد رزوق: دراسات،ص31.

2 محمد رزوق: المرجع نفسه : 28.

3 محمد عبده حتاملة: موسوعة الأندلس والمغرب العربي الأندلسي التاريخ والحضارة والمحنة دراسة شاملة، دار المدار، البليدة،ط2009 1: ج2 : 393.

4 محمد رزوق: المرجع السابق31393.

وفي العصر الحمادي قدمت كثير من الوفود الأندلسية إلى بجاية ونالت بها الصدارة من حيث استقبال أعداد غفيرة منهم. حيث ذكر البكري أنها كانت منتصف القرن 11م عامرة بأهل الأندلس[1].

وتشيد المصادر بالدور الكبير الذي قام به سلاطين المغرب الأوسط خاصة في استثمار الجالية الأندلسية التي فضلت الإستقرار بمدن وحواضر المغرب الاوسط لتدعيم أركان الدولة والاستفادة من خبراتهم. ويتعلق الأمر بإسناد أسمى الوظائف والمناصب للنخبة المثقفة. مثل ما قام به السلطان يغراسن بن زيان بتقريب عدد من الفقهاء الأعلام في مختلف الوظائف [2] .

وخلال فترة حكم الزيانيين (632-897هـ/1235-1492م) وبالنظر لإستقرار الأوضاع السياسية والإقتصادية، فقد كانت تلمسان ملاذا آمنا لكثير من الأفراد والأسر الأندلسية، لا سيما ممن كانوا يتعرضون لظروف صعبة في الأندلس، وتوالي سقوط المدن والحصون والقلاع بأيدي النصارى. وبسبب اشتداد ضغط النصارى على المسلمين بالمدن الأندلسية، فقد كان من الضروري التوجه صوب العدوة المغربية، وتوزعوا على المدن الساحلية والداخلية، وكان نصيب مدينة تلمسان من أوفر الحظوظ في استقبال هؤلاء الوافدين وايوائهم. حتى تكونت بها جاليات أندلسية عديدة .

3/ الوفود الأندلسية المهاجرة بعد سقوط غرناطة 897هـ/1492م:

تعتبر هذه المرحلة من أعنف وأخطر ما تعرض له المسلمون بالأندلس، سيما وأنها كانت تمثل بداية النهاية للحكم الإسلامي بالأندلس[3]. وخلال هذه المرحلة رفض مسلمو الأندلس كل أشكال ومحاولات الانسلاخ من هويتهم وأعلنوا الثورة ضد تلك الممارسات باستمرار دفاعا عن كرامتهم وهويتهم. لكن آلة الحرب الإسبانية كانت همجية جدا فكانت تقضي على الآلاف منهم في كل مرة. مما اضطرهم ذلك إلى الإنتقال والوفود على العدوة المغربية.

[1] البكري أبوعبيد الله: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، مكتبة المثنى بغداد : 82.

[2] فؤاد طوهارة: الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأوسط(السياق التاريخي والمجال الجغرافي))مجلة حوليات التراث، ع15 2015 : 163-164.

[3] عبد القادر بوحسون: العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تلمسان، 2007-2008 : 102.

وخلال هذه المرحلة7 توافدت أعداد غفيرة من الأندلسيين على مدن وحواضر المغرب الإسلامي، فارين بدينهم. وأما من بقي من المسلمين بالأندلس فقد أخفى إسلامه وأظهر التنصر، ولا يخفى على دراس التاريخ ما وقع من جرائم وحشية مروعة قامت بها محاكم التفتيش[1].

ونتيجة ذلك الواقع المؤلم، فقد استولى المسيحيون على بلاد الأندلس وكثير من مدنها فانطلقت هجرات كثيرة منها صوب بلاد المغرب حيث تركز الوجود الأندلسي في المدن الكبرى. وقد استمر ذلك الفيض البشري حتى القرن 11هـ/16م. وقد شهدت بلاد المغرب خروجا جماعيا توافد عليها من بلاد العدوة الأندلسية التي غدت تحت سيطرة النصارى[2].

وتشير بعض الاحصائيات إلى أن ميناء الجزائر استقبل لوحده ما يقارب 45000أسرة، أي ما يعادل تقريبا 200ألف شخص دفعة واحدة. دون أن نغفل الأعداد الكبيرة لليهود الذين وصلوا المغرب الأوسط عبر موانئ أخرى كموانئ وهران ،تنس وبجاية وغيرها[3].

أما في المغرب الأقصى، فقد توالت الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأقصى خلال فترات متعددة يمكن تقسيمها إلى ثلاث فترات متميزة:

-فترة العهد الوطاسي: حيث كان المغرب يعيش ظروفا قلقة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا. مما كان له تأثير على استقرار هذه الجالية الأندلسية.

-فترة العهد السعدي الأول: وهي فترة كان المغرب يعيش فيها وضعا مستقرا في مختلف الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فوجد الأندلسيون مجالات العمل مفتوحة أمامهم.

-فترة العهد السعدي الثاني: المتميزة بالخصوص باستقرار المهاجرين الأندلسيين في مصب أبي رقراق وتطوان وبمحاولتهم خلق كيان خاص بهم ، نتيجة الاضطرابات التي عرفها المغرب آنذاك[4].

---

[1] محمد علي الصلابي: صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الإفريقي والدولة الموحدية،دار البيارق،عمان، ص282.

[2] حوريةسكاكو: التحولات الإقتصادية في بلاد المغرب بداية من القرن السادس الهجري حتى أواخر القرن العاشر الهجري ،أطروحة دكتوراه،جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان1438هـ/2018م : 223.ينظر المقري: نفح الطيب ج4ص528.527.

[3] بن داود حفيظة ود.قدور وهراني: هجرة يهود الأندلس إلى المغرب الأوسط في نهاية العصر الوسيط، ـمجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، ع1، جانفي 2018 : 111.

[4] محمد رزوق: الأندلسيون وهجراتهم : 164.

وقد استمرت الوفود والهجرات الأندلسية، فسلك معهم ملوك الدولة السعدية سياسة خاصة تتسم بالتعامل الحذر نتيجة الضغط التركي وحسب محمد رزوق فقد كان السعديون يحاولون باستمرار إدماج الجالية الاندلسية في مختلف مشاريعهم الجهادية مما فتح للأندلسيين مجالات العمل في مختلف الميادين الاقتصادية والاجتماعية والسياسية أيضا ما داموا يحترمون سلطة البلد الذي يعيشون فيه [1].

ومما سبق ذكره نخلص الى أن مصطلح الوفود شائع في الأعراف والعلاقات بين الشعوب والدول ، وقد تتعدد المسميات بين الماضي والحاضر لكنها تؤدي نفس المعني(الوفد- السفير – المبعوث...)، والوفد قد يكون فردا ، كما قد يكون جماعة أونفرا من الناس بغض النظر عن العدد ،وإن كان يغلب عليها الطابع السياسي فإن مهمات الوفود في الفترة محل الدراسة تعددت بحسب الظروف والحالات.

وعن ملابسات حركة الوفود وأسبابها ومراحلها فإن الإتجاه الغالب عليها أنها كانت من الأندلس بإتجاه العدوة المغربية بشكل لافت وقد كانت هناك عوامل متعددة وراء تلك الحركة،مثل الإستقرار الذي كانت تتمتع به حواضر بلاد المغرب والتشجيع الذي يلقونه من السلطات من إكرام للوفود وحسن استقبالهم، ناهيك عن العوامل السياسية والإجتماعية وحتى النفسية .

كما أن هناك أسبابا قاهرة اضطرتهم إلى اللجوء والإستقرار بعديد مدن بلاد المغرب تتمثل في الاضطهاد المسيحي في إطار ما يعرف بحرب الإسترداد. الذي حاول انهاء الوجود الإسلامي بالأندلس، والذين حاولوا تنصيرهم بالقوة والعنف وصنوف العذاب والتنكيل عن طريق محاكم التفتيش ولم يكن لهم من مخرج سوى الفرار بدينهم إلى العدوة المغربية، عن طريق الهجرات الفردي والجماعية.

[1] محمد رزوق، المرجع السابق .223.

الفصل الأول: الدور السياسي للوفود الوافدة على بلاد المغرب الإسلامي

المبحث الأول: الوفود السياسية ومهامها المختلفة:

المبحث الثاني: دور الوفود في السياسة والنظم في المغرب الإسلامي

المبحث الثالث: دور الوفود السياسية في تمتين العلاقات بين دول المغرب الإسلامي والدول المجاورة:(نماذج)

تمهيد: الواقع السياسي لبلاد المغرب:

بسبب الترابط السياسي والجغرافي في العهد المرابطي والموحدي، اتخذت بلاد المغرب الإسلامي صبغة موحدة. حيث أصبحت بلاد الأندلس والمغرب كتلة واحدة منسجمة سياسيا وجغرافيا مما ساهم في زيادة التواصل الثقافي والاجتماعي والاقتصادي بين العدوتين لاسيما في ظل دولة الموحدين التي كان لها انجازات سياسية وحضارية مهمة "ورافق ذلك حضور وتدفق لوفود كبيرة من الأندلسيين نحو المدن المغربية مما أدى إلى تطور الحضارة المغربية والأندلسية. وحصل تلاقح حضاري شامل بفضل تلك الوفود المهاجرة بل وصل التأثير إلى بلاط الحكم المرابطي والموحدي، فاتخذوا حولهم علماء وأدباء أندلسيين في مجالسهم العلمية"[1].

ومن أهم مظاهر قوة الدولة الموحدية ، دقة الجهاز الإداري، وحسن ضبطه وسهر الخلفاء الأوائل، وإشرافهم بأنفسهم فقدكان لهم وزراؤهم للتنفيذ والتبليغ ومن ظهرت منه بوادر الإستبداد أو التهاون نكب أوسجن، غير أن هذا التقليد تغير في عهد الناصر ، فاستعلى الوزراء على الخلفاء، وأصبحوا الموجهين للإدارة، الواضعين لأسس السياسة. ومنهم الوزير أبو سعيد ابن جامع، الذي استبد بالسلطة واستعلى على الموحدين وأبناء الأندلسيين حتى أغار صدورهم[2].

ويمكننا إيعاز ضعف دولة الموحدين إلى ضعف الخلفاء ، مما مهد الطريق لمجموعات متعددة للسيطرة والتسلط على مقدرات الدولة والتحكم في سياستها وتوجيهها. وكان لأشياخ الموحدين أثر بالغ في ذلك من دون سائر المجموعات الأخرى، إدارية أو قبلية عسكرية[3]. ورافق ذلك الضعف السياسي المتمثل في الخلفاء واشياخ الموحدين والولاة، ضعف إداري تجسد في استبداد الوزراء والموظفين [4].

فقد شهد المغرب الإسلامي انهيار دولة الموحدين خلال القرن السابع الهجري . مما نتج عن تفككها وسقوطها بروز ثلاث دول إقليمية، الزيانية في المغرب الأوسط، متخذة من تلمسان عاصمة لها. والمرينية في المغرب الأقصى وعاصمتها فاس. والحفصية في تونس وعاصمتها مدينة تونس.

---

[1] محمد رزوق: المرجع السابق 86.

[2] عمر عز الدين أحمد موسى: دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي،دار الشروق، ط1 1983م.ص91-92.

[3] المرجع نفسه 91.

[4] المرجع نفسه 86.

وفي وسط هذه الأجواء المشحونة بالصراع والإطرابات. كانت جماعات من الأندلسيين اجر إلى العدوة المغربية بحثا عن الأمان. وبالتحديد إلى حاضرة تلمسان الزيانية، وحاضرة بجاية الحفصية. ومن المؤكد أن معرفة الواقع السياسي لبلاد المغرب الأوسط سيساعدنا على فهم ظاهرة الهجرة الأندلسية ، واستكشاف مراحلها والعوامل الدافعة إليها(1).

المبحث الأول: الوفود السياسية ومهامها المختلفة:

إن من مقتضيات الوجود الإنساني قضية التعارف والتواصل، سواء منه ما كان ذا طابع رسمي دبلوماسي أو اجتماعي أو اقتصادي. وإلى بلاد المغرب الإسلامي نزل كثير من الوفود والقادمين من مناطق متعددةفيو مختلف المراحل التاريخية وبحسب يء الظروف السياسية و الإحتواء الإجتماعي. فقد عبر إلى حواضر المغرب الإسلامي بمختلف دوله وحواضره عدة وفود. منهم من كان بمهام سياسية ودبلوماسية صرفة، ومنهم من جاء لغرض الإستقرار الإجتماعي والبناء الإقتصادي والتطوير العلمي.

1/إنتقال الوفود المختلفة إلى بلاد المغرب الإسلامي وحسن استقبالهم:

تعد العلاقات السياسية والدبلوماسية عرفا قديما بين الدول. وذلك لتباين وتبادل المصالح والمنافع المختلفة وذلك لتقريب وجهات النظر التي تخدم بلدين أو عدة بلدان وبغرض توفير أكبر أقساط الرقي الإجتماعي والإقتصادي والإحتكاك الثقافي والحضاري.

فكان واجبا الإلتزام بمقتضى حقوق الوفود وما تشتمل عليه الوفادة من مراسيم الإستقبال وحفظ المرسول وحسن رده. وبإستقراء التاريخ نجد أنه بسبب دبلوماسية الوفود، حفظت الكثير من الحقوق، وحقنت الكثير من الدماء ، واستجلبت كثير من المنافع ، ودفعت كثير من المفاسد.

وكثيرا ما كان الوفد محملا برسائل معينة بحسب الحالة والمناسبة، وبحسب ظروف المرسل والمرسل إليه. وفي الغالب أيضا تكون الوفود إما للإستقرار الكامل والإستيطان، أو للرحلة والإنتشار. وفي تاريخ المغرب الإسلامي وجدنا أن العناصر الوافدة قد أفادت واستفادت، وحققت كثيرا من الأهداف المرجوة من

---

(1) محمد رزوق: الأندلسيون وهجرا م،ص38.

تواجدها في بلاد المغرب. حيث جاءت وفود كثيرة رسمية وشعبية خاصة من الأندلس. فتعززت بها أواصر الصداقة والتعارف والتعاون المشترك، وفي أغلب الأوقات كان يحلو لتلك الوفود المقام والإستقرار.

والملاحظ عن سلاطين بني زيان –مثلا– أن موقفهم كان عامل جذب حضاري لتلك الوفود. حيث إنهم "لم يتبرموا من وجودهم، ولم يعتبروهم خطرا داهما عليهم، ووفدا ثقيلا يهدد دولتهم الجديدة. بل نجد العكس تماما من ذلك، فالإستقبال كان حارا والترحيب كان كبيرا، والحفاوة لا نظير لها.. وإن الزيانيين انتهجوا سياسة تعتمد على تنشيط الحياة الثقافية والعناية بجميع الفروع العلمية والأدبية والفنية. ورعاية العلماء والأدباء وتشجيعهم مما أسهم في استقطابهم من مختلف الحواضر الإسلامية والمغربية خصوصا من البلاد الأندلسية"[(1)].

2/الوفود ذات المهام السياسية والدبلوماسية:

كان انتقال الوفود والأفراد بين العدوتين المغربية والأندلسية، وبين المشرق والمغرب الإسلامي، يتم بشكل سلس ، حيث كانوا يشعرون بالأمن والإستقرار، فقد انتشرت أعراف احترام الوفود والوافدين ، وأصبح لهم قيمة كبيرة في بلاط الحكم ، وفي الدوائر الرسمية. سواء فيما تعلق بجانب الإستقبال والإيواء، أو آداء المهام الموكلة إليهم ، واستقرار كثير منهم واندماجهم في المجتمع المغربي.

وبالرغم من طول فترة حكم الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي (524-558هـ/1130-1163م) إلا أنه بسبب عدم الإستقرار في الأوضاع الأمنية، فقد أعاق انتقال الوفود والمهاجرين إلى بلاد المغرب الإسلامي من الأندلس. إذا استثنينا بعض المحاولات والجهود الفردية، أثناء فترة توحد المغرب الإسلامي .

حيث تذكر المصادر استقبال الخليفة عبد المؤمن بن علي لوفد من أهل إشبيلية لبيعته. " وكان الوفد القادمين عليه أبو بكر بن العربي المعافري، والخطيب أبو عمر بن حجاج، والكاتب أبو بكر الجد، وأبو الحسن الزهري، وأبو الحسين بن صاحب الصلاة المؤرخ، وأبو بكر بن شجرة والباجي والهوزني وابن القاضي شريح وعبد العزيز وابن السيد وابن زاهر وغيرهم من وجوه إشبيلية[(2)].

---

[1] سعداني: الأندلسيون وتأثيرا م، ص 111.

[2] ابن سماك العاملي: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية،ت عبد القادر بوباية،دار الكتب العلمية بيروت2010 ص 224-225.

3/ وفود المجاملة والتهنئة وتمتين العلاقات والصلح:

استمرت وفود الصداقة ورد الجميل للزيانيين من قبل البلاط الأندلسي. ففي مناسبة معينة أوفد أحد سلطان بني الأحمر بالأندلس أبو عبد الله محمد الغني بالله وفدا محملا بالهدايا والتحف إلى البلاط الزياني، في إطار تمتين وتوثيق العلاقات الودية القائمة بين الطرفين. فما كان من السلطان الزياني إلا أن " أكرم نزله، وأوسع بره، وحباه، وراجع مرسله بما يناسب تودده من الشكر والثناء العاطرين ، وصرفه" [1]. ويبقى تفسير استمرار توافد الوفود على البلاط الزياني كثيرا ومعتبرا. بل أمرا ملفتا بالمقارنة مع قلة من يفد إلى البلاط الحفصي أو المريني[2].

وبالنظر إلى كثرة هؤلاء الوفود على البلاط الزياني، وتشجيع السلاطين الزيانيين على إقامة روابط وعلاقات متينة مع الأندلس. ذلك مما مكن كامل المغرب الأوسط بصفة خاصة لأن يستقطب أعدادا كبيرة من الأندلسيين. ويعود الفضل في تقوية الجانب الأندلسي ماديا ومعنويا إلى المساعدات الزيانية من خلال الدعم الحربي الذي كان يتلقاه جيش بني الأحمر من العدة والسلاح والفرسان من بني عبد الواد[3].

وفيما يتعلق بالوفود المشرقية الرسمية على البلاط الزياني، فقد بقيت العلاقات الرسمية وما يتخللها من التواصل الثقافي والحضاري بين المشرق والمغرب مستمرة. برغم النكبات التي حلت بعاصمة الخلافة العباسية، إثر الغزو المغولي الغاشم وما لحقها من استدراك للوضع بانتصارات جيوش المسلمين على الصليبيين ، وبداية الشعور بالإنبعاث الحضاري من جديد. ومن أهم الوفود التي توافدت على البلاط الزياني من قبل سلاطين المماليك، ما حصل في عهد السلطان الزياني أبي حمو الأول.

وربما يعود سبب قلة الوفود الرسمية بين المشرق والزيانيين في ذلك الوقت للعامل الأمني بالأساس. فالتوافق السياسي موجود إلى حد ما ولكن ما حدث في وفادة 707هـ/1307م وما أسفر عنه حصار المرينيين لتلمسان ، واستعادة الزيانيين عافيتهم، واستمرار دولتهم على يد السلطان أبي حمو موسى الأول.

---

1 يحيى بن خلدون: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ت عبد الحميد حاجيات،عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر2011 ج2 259.

2 فيلالي عبد العزيز: تلمسان في العهد الزياني(دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية)، موفم للنشر، الجزائر،2002 ج2 458.

3 عبد القادر بوحسون: الأندلس في عهد بني الأحمر-دراسة تاريخية وثقافية-(897-675هـ/1238-1492م)4 أطروحة دكتراه علوم، قسم التاريخ- جامعة تلمسان، 212-2013 - 50-51.

وما نتج عن تلك الظروف من انعدام الأمن وانتشار الحرابة وقطع الطريق، وأدى إلى السطو على تلك الوفادة الرسمية وقطع طريقها ، ونهبها رغم المرافقة الأمنية لهم من قبل حراس بني عبد الواد[1].

وقد تأزمت العلاقات من تلك الحادثة بين الزيانيين والبلاط المملوكي وذلك هو السبب الظاهر ، أما حقيقة الأمر، فإن بعض الدارسين ينسبون ذلك التوتر إلى أبعد من ذلك ويرجعونه إلى كون المماليك لم يقفوا مع الزيانيين أثناء محنتهم في الحصار الطويل الذي ضربه المرينيون على تلمسان، وما نتج عنه من آثار اقتصادية وخيمة. ولم يترك المماليك الزيانيين يكابدون شبح المرينيين، بل كانوا على وفاق تام مع المرينيين، ولم يحركوا ساكنا[2].

أما بالنسبة للوفود الأندلسية إلى البلاط المريني، فقد استمرت لطلب التعزيزات بالرجال والمؤن والسلاح. ورغم الإندفاع الذي كان لدى المسلمين في المغرب، جهادا في سبيل الله ونصرة لإخوانهم ضد هجمات النصارى. فلم تكن تلك الجهود الفردية تكفي، بل كان للعلماء والأمراء دور في التجهيز والتجييش عبر كل الوسائل السياسية والدبلوماسية المتاحة.

فكان محمد الفقيه على رأس وفد إلى السلطان أبي يعقوب المريني سنة 674هـ/1275م، لغرض الاستنجاد.حيث يروي لنا ابن أبي زرع عن ذلك بقوله:" فتتابعت عليه- أي أبي يوسف يعقوب- رسل بني الأحمر، يقول له يا أمير المسلمين أنت ملك الزمان، والمنظور إليه في هذا الأوان ، قد وجب عليك نصرة المسلمين، وإعانة المستضعفين" [3].

وكانت تلك النجدات تصيب العدو في المقتل، وتحقق كثيرا من الإنتصارات الساحقة بما يستلزم الإحساس والشعور بالفضل تجاه البلاط المريني ورد الجميل. فقد بعث أبو عبد الله محمد الثالث ابن السلطان محمد الفقيه وفدا إلى مدينة فاس ، تلقوه بالكرم البالغ وأبلغوا السلطان أبا عبد الله محمد الثالث

[1] ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمن بن محمد: المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية ، بيروت، 2003 7 709.

[2] آمال سالم عطية: المرجع السابق09 130.

[3] ابن ابي زرع الفاسي: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس،دار المنصور للطباعة،الرباط 1973 0 3131.

حاجة البلاط المريني إلى جند يستقوون به على حصار تلمسان. فأرسل إليه قوة منهم أدت مهمتها أحسن آداء[1].

كما أننا نلاحظ عودة الوفود الدبلوماسية ما بين المرينيين وبني الأحمر. وتوطيد الروابط والعلاقات التي تجمع البلدين. فبعد استقباله وفدا عن بني الأحمر، ها هو السلطان أبو عنان المريني يسلم ذلك الوفد الأندلسي رسالة إلى بلاط بني الأحمر ، جاء فيها :" رأينا أن وجهنا إلى بابكم الرفيع بكتابنا صحبة أرسالكم الواصلين إلينا، من تجدد العهد بتقرير ما تبديه من الود ونعيده، ونلمسه من جميل اعتقادكم ونستزيده.." [2].

ورغم التقارب الزياني الأندلسي، إلا أننا نجد بلاط بني الأحمر أكثر ميلا للمرينيين، باعتبارهم الأقوة عسكريا. فنرى مرة أخرى سنة 754هـ/1353م أن وفدا من بني الأحمر يصل إلى البلاط المريني برسائل التهنئة بالنصر على أبي ثابت الزياني واسترجاع مدينة تلمسان [3]. وعلى إثر سقوط تلمسان بأيدي المرينيين ، فقد اعتبروا الحدث نصرا لهم حيث بدأت وفود التهنئة من بلاط بني الأحمر. وقد جاء في إحدى الرسائل التي حملها الوفد إلى البلاط المريني:" .. واخترنا للوفادة من ينوب عنا في هذا الغرض، ويقوم للوقت بواجب المفترض، وهم صدور آياتنا ، ودور عمالتنا...وأوفدنا على بابكم المقصود ، وشرعته المزدحمة بالوفود، وهم يلقون ودادكم في تقرير ودادنا، والتنبيه على مقدار اعتدادنا ما نعلم أن قواعده لكم غير مفترقة للتقرير.." [4].

4/ وفود لغرض الصلح:

وكان من ضمن الأغراض التي توفد من أجلها الوفود الدبلوماسية بين دول المغرب الإسلامي، وفودا تحمل رسائل السلام والصلح، إما حقيقة أو لغرض كسب الود ولين الجانب والوقت للتفرغ لأمور أخرى أهم فقد رأى السلطان يعقوب بن عبد الحق أن ينتهز هذه الفرصة ليصالح يغمراسن بن زيان ليأمن جانبه.

---

1 آمال سالم عطية: السفارات، ص 87.

2 ابن الخطيب: كناسة الدكان بعد انتقال السكان،تح محمد كمال شبانة،ط1،مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2003 13187.

3 ابن الخطيب ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب،ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة،1980 ج1 225.

4 ابن الخطيب : ريحانة الكتاب ج1 216.

حيث أرسل إليه وفدا يدعوه إلى الصلح ليتفرغ هو وجنده للجهاد. غير أن تلك الوفادة قوبلت بالرفض من قبل السلطان يغمراسن. وقال إنه لن يصالح المريني قط، بعد أن قتل ولده أبا حفص بن يغمراسن[1].

وهذا دليل آخر على أنه حتى وفود الصلح كانت تتعثر في مسعاها في بعض الأحيان. فرغبة السلطان المريني تلبية نداء الجهاد في الأندلس حتم عليه أن يؤمن الجبهة الشرقية والقاعدة الخلفية من ورائه وهي جبهة الزيانيين. فرأى مصالحة السلطان يغمراسن وبعث إليه الوفادة غير أن مصيرها كان الفشل.

وللإستفادة من التاريخ والتجارب السابقة ومحاولة كسب الأعداء المؤقتين، فقد بدأ أبو سعيد عثمان بن يغمراسن ولايته استجابة لنصيحة أبيه في مصانعة جيرانه المرينيين، وكانت بداية حسنة، فأوفد أخاه محمد بن يغمراسن إلى السلطان يعقوب المريني –وكان في الأندلس– لكي يصالحه، وتم الصلح فعلا [2].

وكانت هناك حالات للوفود الدبلوماسية لغرض استرجاع المطلوبين، سواء لدى القضاء أو لدى السلطان شخصيا. فهذا السلطان أبو يعقوب المريني يبعث بوفد إلى السلطان أبي عثمان بن يغمراسن، يطلب منه تسليم الوزير الوافد المستجير به من السلطان المريني أبي يعقوب. "ثم عفا السلطان أبو يعقوب يوسف المريني عن ابنه وأعاده إلى فاس فأثار ذلك حفيظة أبي يعقوب يوسف بن عبد الحق، فقرر المسير إلى تلمسان وحصارها حتى تقع في يده.. وتعرضت تلمسان بسبب ذلك لخطر أشد ما مر به بها في تاريخها." ولم يفلته إلا وفاة السلطان أبي يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني سنة 706هـ/1307م. وكان موته إنقاذا لبني عبد الواد من الهلاك المحقق[3].

5/ وفود لبذل الهدايا والتشكرات وتقوية الروابط :

لم تكتف الوفود والسفراء بالأعمال الرسمية المعتادة من تبليغ الرسائل وحسب، بل كان لديهم حسن استغلال المواقع والمواقف بالبلاط الذي ينزلون به " ليتفرغوا للمناقشة والمناظرة في مجالسه وحلقاته، حيث تذكر المصادر أن إسحاق التنسي كلما زار مدينة فاس سواء في مهمة خاصة أو في إطار المهمات السياسية

---

[1] ابن الأحمر أبو الوليد إسماعيل تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان ، تح هاني سلامة ، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، ط1421.1هـ/2001 ص22-23.

[2] نفسه 2523.

[3] نفسه 28.2625.

التي كان يقوم بها السلطان الزياني والمريني، يجتمع به فقهاء المدينة ويطلبون منه دروسا في الحديث. وقد كان يدرس هذه العلوم بمكة والمدينة، وكان يحضر مجلسه عالم فاس في ذلك الوقت أبو الحسن الصغير، وصار يعد من أساتذته بهذه الديار. وترك أبو إسحاق سمعة طيبة في الأقطار التي زارها. وصارت لديه هيبة عند الفقهاء والأمراء" [1].

كما تقلدت بعض الوفود الرسمية مهمة الخطبة وعرض الزواج قصد المصاهرة السياسية، مثل ما حدث سنة 746هـ/1345م حيث نزل الإمام السطي في وفد من أجل خطبة ابنة السلطان أبي يحيى للأمير أبي الحسن المريني. ونتج عن ذلك تعزيز وتوثيق للعلاقات بين تونس والمغرب الأقصى[2].

6/ وفود ذات مهام وأدوار عسكرية:

كان من المهام التي ترسل إليها الوفود، قضايا التعاون الأمني والعسكري. حيث وردت إلى بلاط بلاد المغرب الإسلامي عدة وفود بهذا الشأن. فمنهم من يأتي بصفته العسكرية يقوم بطلبات التعاون والإمداد أو الإستنجاد العسكري، ومنهم من يأتي كذلك بصفته العسكرية أو المدنية ويجند ضمن الجيش في إحدى دول المغرب الإسلامي. حيث تشكلت حاميات بأكملها من الجنود النصارى الوافدين، ومنهم أيضا قادة بارزون اشتهروا بالخدمة في الجيش في بلاد المغرب الإسلامي.

- وفد من صلاح الدين الأيوبي إلى الخليفة الموحدي:

تعتبر قضية بعث الوفود للمهام العسكرية جانبا مهما من مهام القادة السياسيين والعسكريين على السواء. فمع ما ترويه لنا المصادر التاريخية من شهامة وشجاعة صلاح الدين في حروبه ضد أعدائه وأعداء الإسلام. إلا أننا نلاحظ أنه كان ذكيا واستراتيجيا بقدر تلك الشجاعة أيضا. كان لا يتصدى لما يمكن أن يعجز عنه، فكان يبعث الوفود لاستجلاب النجدة، من المعسكر الإسلامي في المغرب وبالضبط هذه المرة

[1] ابن الأحمر أبو الوليد إسماعيل ،المصدر السابق، ص28.

[2] آمال سالم عطية: السفارات في المغرب الإسلامي 6928.

من الدولة الموحدية. والسبب منطقي جدا وهو أن صلاح الدين كان يخشى أساطيل الفرنجة لكثر ا ونظرا لما تحمله من مدد، وعتاد ورجال ومؤن[1].

فيروي ابن خلدون أنه " لما استولى صلاح الدين على ديار مصر والشام اعتزم على جهاد الفرنجة. وصار يفتح حصونها واحدا بعد واحد حتى أتى على جميعها. ثم افتتح بيت المقدس سنة558هـ .فثارت ثائرة النصارى واعترضوا أسطول صلاح الدين في البحر. فبعث إلى المنصور سنة585هـ يطلب إعانته بالأساطيل لمنازلة عكا وصور وطرابلس ووفد عليه أبو الحرث عبد الرحمن بن منقذ[2].

وعندما وصلت السفارة استقبلهم الخليفة المنصور ، واعتذر اليهم عن الأسطول. لأنه كان منشغلا بجهاد النصارى في الأندلس فتفهم صلاح الدين الوضع ولم ييأس، بل أعاد السفارة مرة أخرى سنة 586هـ/1190م) وأرسل الى الخليفة الوزير ابن منقذ الذي نزل بثغر تونس ثم ثغر بجاية فاستقبلوه بغاية الحفاوة والإكرام وكتب الى الخليفة وهو يومئذ باشبيلية بمقدم السفير فوصلت كتبهما إليه ،فرد عليهما بالشكر وأمرهما بالإستمرار في مجاملة السفير واكرامه ، وكتمان رسالته إلى أن يستقبله الخليفة ويستقر معززا مكرما في فاس[3].

وتورد بعض المصادر أن الخليفة الموحدي التقى بابن منقذ في السادس من المحرم سنة 588 هـ / 1192م وأنه غادر بعد خمسة أيام [4]. وتتلخص نتيجة الوفادة أو السفارة في تكريم الوفد وحسن استقباله، ورجوعه راضيا. وتسكت المصادر بعد ذلك فيما إن كان الوفد تلقى ضمانات أو وعودا بإرسال كتائب عسكرية لمرافقة صلاح الدين وإنجاده إلا ما انفرد به ابن خلدون عن سائر المصادر من أن المنصور أرسل أسطولا فيما بعد ذب به عن سواحل الشام[5].

---

[1] موسى عزالدين: دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي ،دار الشروق ،ط1 1983 34.

[2] ابن خلدون:العبر،ج6 330 34-331.

[3] محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس ، العصر الثالث، عصر المورابطين والموحدين،مكتبة الخانجي بالقاهرة،ط2 4 1411هـ /1990 ص184.

[4] مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية، العراق، د 90 ص107 .

[5] ابن خلدون: العبر،ج6 330 90.

ولم يقل الدور العسكري شأنا من الدور السياسي. فقد وظفت الحاميات العسكرية القشتالية وغيرها من الجنسيات النصرانية الأخرى لخنق التمردات وقمع الثورات التي كانت تخرج على الحكم الموحدي. مثلما يروي ابن خلدون "من أن الخليفة الموحدي المرتضى حارب الثائر علي بن بدر بواسطة قائد نصراني يدعى "دنلب" Dunlop" وبفضل المساعدة التي تلقاها الخليفة الرشيد تمكن من كسب مراكش لصالحه[1].

وبالنظر إلى نجاح تلك الحاميات العسكرية القشتالية في المهام الأمنية التي أسندت إليها فإنه يسهل علينا فهم سبب استئثارهم بأهم المناصب العليا، والوظائف السرية، مما أتاح لهم فرصة التحرك داخل الساحة السياسية[2].

وقد ظهر ما يمكن الإصطلاح عليه بالوفود العسكرية التي مهمتها تنسيق وتبادل الخبرة في الشؤون الأمنية، والإستشارات العسكرية بين الدولة النصرانية بالأندلس ودول المغرب الإسلامي. وكمثال على ذلك استقبال أبي تاشفين بعد سنة 725هـ/1325م بعض أرباب السيف من النصارى، مثل ابن الملك جاك الثاني هجين جاك الأرغوني. والذي صار يقوم مقام الوسيط الدبلوماسي بين سلطان تلمسان والملك الأرغوني[3].

ومن مظاهر التأثر الإيجابي لدى الحاميات القشتالية الوافدة إلى المغرب الإسلامي، هو تحول كثير من المسيحيين إلى الإسلام. وهو ما جعل أحد الباحثين يخلص إلى القول بأن العصر الموحدي كان عصر ارتداد قادة الحاميات العسكرية النصرانية من الديانة المسيحية، وقد تبعهم في ذلك جنودهم[4].

ومما يميز الوفود النصرانية أيضا هو الحرية التي كانو عليها إلتزموا بخدمة الخلفاء الموحدين بصفة إرادية طوعية وليس مثلما كان عليه الحال في العصر المرابطي أين كان يلزم أسرى الحروب بشغل هذه المهمات[5].

---

1 ابن خلدون:العبر،6 350 ؛ بوتشيش إبراهيم القادري: تاريخ الغرب الإسلامي، قراءات جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة، ط 01 دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1994 101.

2 بوتشيش: تاريخ الغرب الإسلامي،ص101.

3 عبد العزيز فيلالي: تلمسان،ص189.

4 بوتشيش: تاريخ الغرب الإسلامي،ص104.

5 بوتشيش: تاريخ الغرب الإسلامي،ص90؛ وينظر: DE GENIVA ’église cheétienne deMarrakech au 13eme siecle, Hesperis.p73.

ومن المظاهر السلبية لقادة تلك الحاميات القشتالية أن أصبح قاد ا يتدخلون في أمر بيعة الخلفاء الموحدين، وترشيح هذا الخليفة أو ذاك. حيث يروي ابن أبي زرع[1] أنه أثناء خلافة عبد الواحد الرشيد " أخذ له البيعة كانون ابن جرمون السفياني، وشعيب أخو قاريط المسكوري ومرسقيل قائد الروم" وهي إشارة واضحة إلى الدور الرئيسي الذي أصبح يلعبه الجند الرومي[2].

وهذا يضاف إلى الأثر السلبي لإعتماد أبي إسحاق على القطلانيين في بداية أمره. ما أدى إلى فتح الأبواب على مصراعيها لتغلغل النفوذ الاقتصادي والسياسي للأراغون وقد أثار هذا سخط الشعب وتمره[3].

ولم يعد الوافدون الأندلسيون -إن سياسيا أو عسكريا- ينظرون إلى موحدي المغرب نظرة قيادة أو إنتظار نجدة. وتحولوا شطر تونس، حيث القوة الموحدية الجديدة بقيادة الحفصيين، فقد انفصلت إفريقية سنة 627هـ/1230م[4] .

ويذكر السلطان أبو حمو موسى الزياني في وصف هؤلاء الجنود:" وهم أجناد السلطان ويتألفون من الأعلاج والنصارى والأغزاز والوصفان وهؤلاء "احتياطيين" لقمع كل عصيان، ويجب لذلك أن يكونوا شجعانا ذوي بأس، كما يجب على السلطان ألا يدعهم يفارقونه طرفة عين"[5].

"وقد وصل التأثير الأندلسي في المملكة الزيانية إلى إدارة الجيوش وقيادة الجند. حيث نجد أسرة أندلسية تولت مناصب عسكرية، وهي المعروفة باسم " الآبلي" نسبة إلى آبلة الواقعة شمال الأندلس. حيث انتقلت هذه الأسرة ضمن جالية أندلسية إلى حاضرة تلمسان في عهد السلطان الزياني يغمراسن الذي استعمل أفرادها في صفوف الجيش كجنود وضباط في الفرق العسكرية"[6].

1 روض القرطاس،ص254.
2 بوتشيش: المرجع السابق،ص100.
3 محمد حسن:المدينة و البادية،ص679.
4 عز الدين موسى: دراسات،ص108.
5 أبو حمو موسى الزياني: واسطة السلوك، ص79.
6 سعداني محمد: ،المرجع السابق،ص135.

وتشير المصادر إلى أن أول من استعمل النصارى سواء منهم المغاربة أو الوافدين من الأندلس، هو يغمراسن بن زيان. حيث ورثت الدولة الزيانية من الموحدين فرقة مؤلفة من ألفي فارس مسيحي، كان على رأسها ناصح الخصي الأوروبي وهو قائد هذه الفرقة..وقد خص هذه الفرقة بحراسته، لكنها حاولت الإنقلاب عليه، فأحاط بهم الجند من كل مكان واستأصلوهم جميعا. وقتل في هذه المحاولة محمد أخو يغمراسن في 25ربيع الآخر سنة 625هـ، ومنذ ذلك الحين امتنع الزيانيون عن تولية النصارى في الجندية[1].

ويذكر الدكتور عبد الصمد حمزة إلى أن الجند المرتزقة كانوا يسكنون في حي منفصل خاص بهم يعرف بربض النصارى. وكانوا يتمتعون بأداء شعائرهم الدينية ويديرون شؤونهم بأنفسهم، كما كانوا معفيين من جميع الضرائب والرسوم الجمركية، ويخضعون لسلطة قوادهم القضائية[2].

وكان استمرار خدمة الجنود النصارى الوافدين إلى المغرب الإسلامي لملوك وسلاطين تلك الدول يشعر رجال الدين المسيحيين بالإرتياح طالما أنهم لم يتحولوا إلى الإسلام، من جهة ومن جهة أخرى طالما أنهم في خدمة الباب نفسه. لأن البابوية كانت تأمل أن تجني من هذه الخدمة بعض المزايا لفائدة المسيحية في بلاد المغرب عامة ومدينة تلمسان على وجه الخصوص[3].

***وفود من أهل الذمة كجواسيس:**

ولم يكن استعمال الوفود من أهل الذمة بريئا دائما، بل استعملوا في بعض الأحيان لأغراض الجوسسة على البلاط المغربي أو حتى على المجتمع، لصالح الدول الأوروبية. فقد استعمل أهل الذمة في الجوسسة خلال العهد الزياني، وخير مثال على ذلك هو اليهودي" موسى أشطورة "أو أزطورة وهران وقد كان من مهاجري الأندلس، الذي استقر في مدينة، "Zatora"أو "Stora" ولقد عمل في مجال المكوس

---

[1] يحي بن خلدون: بغية،206/1؛ عبد الصمد حمزة : الحضور السياسي لأهل الذمة في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، العدد 12 جامعة وهران أحمد بن بلة، ديسمبر 2017 54-55.

[2] عبد الصمد حمزة: أهل الذمة في الدولة الزيانية 5655.

[3] نفسه 5656-57.

والضرائب، وكان يعمل معه القائد الخائن عيسى العربي، والقائد الخائن ابن قانص، الذين كانوا وراء دخول الإسبان إلى وهران[1].

كما أن عثمان بن يغمراسن قد استخدم أهل الذمة في هذا المجال حيث قام بإهداء جارية رومية وسيمة إلى نِظيره أبي يعقوب يوسف بن يعقوب المريني، وذلك بعد أن خضعت لتدريب على أسلوب الكتابة السرية والِتقاط الأخبار وقد كانت تبعث له المعلومات المتعلقة بالبلاط المريني[2].

المبحث الثاني: دور الوفود في السياسة والنظم في المغرب الإسلامي

1/النفوذ الأندلسي في البلاط المغربي:

نجح كثير من الأندلسيين الوافدين إلى المغرب الإسلامي في المهام الموكلة إليهم في البلاط. كما تبوأ كثيرون آخرون مكانة مرموقة في مختلف المراتب الإدارية، بل حتى السياسية[3]) واستفحل نفوذهم السياسي في البلاط ، فأصبح الأندلسيون من أهل الشورى[4].

كما أن أبا زكرياء الأول (625-647هـ/1228-1249م) أراد ان يستقل بالنخبة الأندلسية ليدعم شيوخ الموحدين. فاصطنعهم واستكثر منهم في بلاطه وإدارته وجيشه- وأسند لبعضهم الوظائف. ولقد بلغ عدد الأندلسيين الوافدين ونفوذهم في الإدارة والجيش مبلغا جعل شيوخ الموحدين[5] يضيقون به درعا [6].

وذلك بالرغم مما كان لطبقة "شيوخ الموحدين" الذين كانوا يمثلون أرستقراطية عسكرية متكونة من أفراد تلك القبائل الموحدية الأولية. الذين كانوا يوفرون للدولة وقتئذ القواد والولاة. وكانوا عند حصول شغور على رأس الولاية، ينتخبون واليا وقتيا في انتظار قرار سلطان مراكش[7].

---

[1] أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا " 1492-1792 92 11. ... البصائر، الجزائر، 2007 ص111.

[2] عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني . 25.

[3] روبار برنشفيك: تاريخ افريقية في العهد الحفصي ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ج2 160 25.

[4] ابن خلدون: العبر، ج6 667 25.

[5] كانت سلطة جميع القبائل تحت سلطة "شيخ الموحدين" المنعوت رسميا ب"الشيخ المعظم" وهذا الشخص الذي يبدو أنه كان معينا من طرف السلطان على مدى الحياة.. كما يمكن أن يكون مكلفا بأسمى الخطط الحكومية، مثل وزارة الجند أو الحجابة.(برنشفيك: تاريخ افريقية في العهد الحفصي25/48-49.)

[6] محمد رزوق: دراسات، ص32.

[7] برنشفيك:تاريخ افريقية في العهد الحفصي ج2 2 48-49.

2/دورهم في نظم الحكم والإدارة:

لقد عملت الوفود الأندلسية بما في وسعها لتتبوأ المكانة الرفيعة في بلاط دول المغرب الإسلامي، سواء عن طريق إتقان فن الإدارة والوظائف السياسية والمهارات الكتابية أو من جانب استثمار الكفاءات العلمية والتربوية. لذا فقد وظف حكام وسلاطين تلك الدول عددا كبيرا من هؤلاء الوفود في وظائف قيادية سامية، مدنية وعسكرية.

ا-الــــــــوزارة

تعتبر خطة الوزارة متأخرة بالمقارنة بظهورها بالمشرق الإسلامي وانتقالها إلى الأندلس. فيذكر ابن خلدون أنه:" لما جاءت دولة الموحدين ، أغفلت الأمر للبداوة ثم صارت إلى انتحال الأسماء والألقاب. وكان اسم الوزير في مدلوله يطلق على من يحجب السلطان في مجلسه وينظم الداخلين عليه[1].

وخلال فترة المرابطين والموحدين لم تذكر المصادر أنه تولاها أي من اليهود نظرا لحساسية هذا المنصب . إلا ما كان من استعمال الخليفة علي بن يوسف للجند المسيحي في جباية الخراج. وفي أوائل حكم الموحدين أرسل ابن خلاص والي سبتة كاتبه ابن سهل الإسرائيلي إلى أبي زكرياء يحي الحفصي الذي حظي بمكانة هامة عند أمير تونس[2].

وقد أحدث في عهد الموحدين منصب وزاري يقوم باستقبال السفراء والإهتمام بأمورهم وجرى ذلك عندما حضرت سفارة ملك إنجلترا هنري الثاني، إلى الخليفة الناصر[3]. حيث ذكر المراكشي أن الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي قد استوزر أكثر من وزير خلال فترة حكمه، توزعوا بين أسرته وأسر معينة اشتهرت بولائها وانتسابها إلى قبائل تميزت بدورها في قيام ومساندة دولة الموحدين، وقد يتم اختيارهم لكفائتهم[4].

---

[1] ابن خلدون: المقدمة 1A، دار الهيثم ،القاهرة 2005 ص425.

[2] نميش سميرة أهل الذمة ودورهم الحضاري في المغربين الأدنى والأقصى(6-10هـ/12-16م)،أطروحة دكتوراه في التاريخ، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان 1438-1439هـ/2017-2018 ص238.

3 الحجي عبد الرحمن علي :التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، دار القلم، بيروت.،ص499.

4 المراكشي عبد الواحد(ت 647 هـ 1249 /م) المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح محمد سعيد العريان المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة 1963 ص149.

ويضيف المراكشي أن الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي وزر له في أول الأمر أبو حفص عمر أزناج. إلى أن استقر الأمر واستقل عبد المؤمن. واستوزر أبا جعفر أحمد بن عطية، فجمع له بين الوزارة والكتابة. إلى أن نكب سنة 553هـ وصودر وقتل. ثم وزر له عبد السلام الكومي وكان يدعى بالمقرب، لشدة تقريب عبد المؤمن إياه. فاستمرت الوزارة إلى أن نكبه الخليفة عبد المؤمن وأرسل إليه من يقتله خنقا سنة 557هـ ثم وزر له ابنه عمر إلى أن توفي عبد المؤمن[1].

وأشار بعض الباحثين إلى أن الوزراء عند عبد المؤمن كانوا وزراء تنفيذ لا وزراء تفويض. لأنهم كانوا يمتثلون لأوامر الخليفة من دون أن يكون لهم قرارات مستقلة[2]. علما أن الخليفة عبد المؤمن كان قد استعان بأشياخ الموحدين وطبقا ـم من أهل العشرة وأهل الخمسين[3] في إدارة شؤون الدولة. وقد استحوذت هذان الطبقتان على معظم المناصب الإدارية العامة في الدولة الموحدية، كالوزارة والحجابة وقيادة الجيش وإدارة الولايات[4].

وخلال فترة حكم الزيانيين يذكر عبد الرحمن بن خلدون أن ابن وضاح وفد على السلطان الزياني يغمراسن من الأندلس. والظاهر أنه كان شخصية مرموقة ومشهورة في ميدان السياسة، فرحب به وقربه إلى مجلسه، وخصه بتدبير شؤون دولته ومشاورته في أمور الخاصة والعامة ليكون تثبيتا لدعائم دولته[5].

كما وزر للسلطان يغمراسن كل من يحيى بن مجن ثم أخوه عمروش، ثم ابنه عمر بعد موت أبيه، ثم يعقوب بن جابر الخراساني[6].

وكان السلاطين الزيانيون قد تجنبوا توظيف واستعمال أهل الذمة في المجال السياسي. وذلك بناء على تجارب الدول السابقة معهم. والتي آلت إلى نتائج وخيمة من جراء استعمال الذميين في المناصب السيادية.

---

1 المراكشي: المعجب ص149.

2 أحمد جواد: العلماء الأندلسيون، ص131.

3 وكان لهذه الهيئة دور استشاري، ومن بقي من أعضاء الهيئتين في زمن عبد المؤمن نال حظوة واسعة ونفوذا عظيما في الإدارة والجيش. وتوارث أبناء الجماعة وآيت خمسين مكان آبائهم ، وظلوا على وفاء عظيم للخلفاء الأول.(عز الدين موسى: دراسات،ص86-87.)

4 أحمد جواد: العلماء الأندلسيون، ص55.

5 ابن خلدون: العبر، 106/7؛ سعداني: الأندلسيون وتأثيرا ـم،ص126.

6 يحيى بن خلدون: بغية الرواد، ج111551.

فاعتبروا باستعمال دولة بني زيري لليهودي ابن النغريلة وابنه ، وما حدث من ثورة عارمة من طرف أهل غرناطة[1].

ولما تمكنت أسرة بني الملاح في المغرب الإسلامي، تواصلت خدمتهم في البلاط الزياني مع عثمان بن يغمراسن(681-706هـ/1281-1303م) وابنه أبو حمو موسى الأول (707-718هـ/1307-1316م) الي كان لهم في دولته مزيدا من العناية والحظوة. فولى الوزارة والحجابة محمد بن ميمون بن ملاح. ثم ابنه الأشقر من بعده. وعين ابنه إبراهيم بن محمد على هذه الخطة نفسها بعدما أشرك معه في الوظيفة قريبه عليا بن عبد الله بن ملاح[2]. وفي الوقت نفسه كان السلطان يغمراسن قد ولى على كتابة الرسائل أبا بكر محمد بن عبد الله بن الخطاب المرسي الأندلسي[3] الذي اشتهر ببراعة الخط ومعرفته بأصول الأدب والشعر وأصول الفقه وكان قد تولى عدة وظائف بالأندلس قبل وفوده على تلمسان التي شغل فيها كاتبا للرسائل في ديوان يغمراسن[4].

ومن جملة الوفدين من النخبة الأعلام على السلطان يغمراسن ، ابن وضاح الذي أجاز البحر مع رجالة المسلمين من شرق الأندلس، فآثره وقرب مجلسه وأكرم نزله ، وأحله من الخلة والشورى بمكان اصطفاه له[5]. كما استطاع السلطان الحفصي أبو زكرياء أن يحقق انقلابا في النظام السياسي الموروث عن الموحدين. دون أي ضجة ظاهرة. حيث طرد شيوخ الموحدين[6] من المناصب العليا للدولة وعوضهم بالأندلسيين، وتدعم هذا النهج السياسي في عهد المستنصر، الذي أصبح محاطا بالعلوج والصنائع من بيوت الأندلس على حد تعبير ابن خلدون[7].

---

1 عبد الصمد حمزة: أهل الذمة،ص33.

2 عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني 17833-179.

3 هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن خطاب الغافقي نزيل تلمسان ، من أهل مرسية... كان من أبرع الكتاب خطا وأدبا وشعرا ومعرفة بأصول الفقه. كتب بغرناطة عن ملوكها، وقفل إلى مرسية وقد اختلت أمورها ، فارتحل إلى تلمسان.(يحيى بن خلدون: بغية الرواد، 168/1.)

4 فؤاد طوهارة: الهجرة الأندلسية،ص164.

5 ابن خلدون: العبر، 106/7.

6 إن أشياخ الموحدين الذين احتلوا المراكز الأساسية في الدولة أصبحت لهم مكاسب لن يتخلوا عنها. فكانوا دائما يبسطون نفوذهم لكيلا يفلت زمام الحكم من أيديهم. ولهذا استبدوا ، ولما كانت مصالحهم متضاربة ، فقد أغرقوا الدولة في فتن وثورات لم بدأ.(عز الدين موسى: دراسات،ص89.)

7 محمد حسن:المدينة والبادية، ص 587.

وقد انتقلت المملكة الزيانية من طور البداوة إلى طور التحضر والتمدن بفضل التأثير الأندلسي... وإن هذا التأثير ظهر أكثر في وجود أربعة وزراء في مملكة بني زيان من أسرة أندلسية واحدة. وإن أقوى أمير زياني في تاريخ دولة بني زيان كان أندلسي النشأة، وكانت حاشيته من الجالية الأندلسية. وهو السلطان أبو حمو موسى الثاني. الذي جعل يحي بن خلدون الإشبيلي ومحمد بن يوسف القيسي الأندلسي من مساعديه ومستشاريه المقربين[1].

وأخذت شهرة الترجمان النصراني عبد الله الترجمان حظوة كبيرة في البلاط الحفصي. وكان في الأصل قسا نصرانيا اسمه الحقيقي تورميدا، ولد في مدينة ميورقة سنة 1355م بالأندلس. ووفد على تونس واستقر بها سنة 1388م. كان بارعا في الترجمة، فأصبح هو مترجم البلاط الحفصي. ولما أسلم وحسن إسلامه. وتدرج في مراتب ومناصب هامة في الدولة حتى وصل إلى منصب الوزارة. ومن مؤلفاته : تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب[2].

وتشير بعص المصادر إلى أن أسرة ابن جامع كان لها النصيب الأوفر من الوزارة في العهد الحفصي. حيث إن السلطان الحفصي أبا زكرياء استوزر ميمون بن موسى مدة. ثم قبض عليه وأخذ أمواله وبعث إلى قابس ليعتقل فيها مدة طويلة، ثم صرفه إلى الإسكندرية. واستوزر مكانه أبا يحي بن أبي العلاء بن جامع إلى أن هلك. فاستوزر بعده إدريس ابن اخيه علي إلى أن هلك فاستوزر بعده أبا زيد ابن أخيه محمد الأخير إلى أن هلك[3].

وبالنسبة ليهود المغرب فإنهم لم يتقلدوا منصب الوزارة حتى أواخر حكم بني مرين. وكان ذلك في عهد السلطان عبد الحق بن أبي سعيد عثمان(831-869هـ/1427-1464م) حيث استخدمهم ضد بني وطاس الذين سيطروا على الدولة، فقلدوا اليهوديين هارون وشاويل. فقد كلف هارون بالشؤون المالية. وعين شاويل نائبا له[4].

---

[1] محمد سعداني: الأندلسيون وآثارهم،ص113.

[2] نميش سميرة : أهل الذمة،ص122.

[3] أبو عبدالله محمد بن ابراهيم الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية،ت محمد ماضور،المكتبة العتيقة تونس،ط1 1966 25-26.

[4] نميش سميرة: أهل الذمة،ص121.

ب-**الحجابة**

تعتبر وظيفة الحجابة من أقدم الوظائف السلطانية التي تنظم علاقة التواصل بين الحاكم والمحكومين. والحاجب هو موظف داخل القصر مهمته حجب السلطان عن رعاياه، والعمل كأذن على الباب، وينظم الدخول إليه، أي يعمل كوسيط بين السلطان ورعاياه[1]. حيث كان عمل الحاجب في المغرب الإسلامي يشبه تماما ما كانت عليه الحجابة في الأندلس من حيث كون الحاجب كان يعامل معاملة الوزير الأكبر الذي هو واسطة بين السلطان والوزراء[2].

ولم يظهر هذا المنصب في دول المغرب الإسلامي الأولى باستثناء دولة الأغالبة. ولما دانت بلاد المغرب لدولة المرابطين في عهد يوسف بن تاشفين عمل على تطبيق النظام الإداري المنيع في الأندلس، فأحدث منصب الحاجب، وعمل كثيرا من الأندلسيين الوافدين إلى بلاد المغرب على تولية هذا المنصب أمثال

*الرئيس أبو عبد الله محمد بن أبي الحسين بن سيد الناس الذي أسندت إليه مناصب عدة منها الحجابة في عهد أبي زكرياء الأول [3].

*أبو الحسين بن سيد الناس: أسندت إليه وظيفة الحجابة في عهد السلطان أبي زكرياء بن أبي إسحاق(675-678هـ/1277-1279م)(28/ص115)

*وفي عهد الواثق تولى أندلسي آخر يدعى يحيى بن عبد الملك الفقي المعروف بابن جبير، والذي استبد بأمور الدولة والسلطان ، وبعث أخاه أبا العلي واليا على بجاية وأسف المشيخة بعتوه واستبداده ، وما يتجشمونه من مكابرة بابه[4].

* أبو عبد الرحمن يعقوب بن ابي بكر بن محمد بن عمر السلمي والذي استبد ببجاية وأصر على ذكر السلطان في الخطبة واسمه في السكة إلى أن توفي سنة 719هـ/1319م[5].

---

1 حارث علي عبد الله: هجرة سكان الأندلس إلى بلاد المغرب وتأثيرهم في الجوانب السياسية والفكرية والمعمارية خلال القرن7-9هـ13-15م-مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية،مج27 5 2019 427.

2 محمد سعداني: الأندلسيون وآثارهم،ص174.

3 مريم بوعامر الهجرة الأندلسية الى المغرب الأدنى (7-9هـ/13-15م)رسالة ماجستير،جامعة تلمسان،2009/2010 0 0 124.

4 ابن خلدون: العبر،ج6 415 434.

5 ابن خلدون: العبر ج6 4 483-484.

* محمد بن محمد بن أبي بكر بن خلدون والذي عينه أبو إسحاق حاجبا لإبنه ، وواليه على بجاية أبو فارس وابن عمر. كما كان لعائلة بني يعقوب دور مهم في تسيير شؤون الدولة الحفصية ، وأصلهم من الأندلس ينحدرون من بيوت مدينة شاطبة[1].

وكان الحاجب بمثابة قهرمان خاص يداره في أحواله، وينفذ ما يحتاج إليه الخليفة في ذلك على أهل الجباية. ثم أضيف إلى مهامه كتابة العلامة على السجلات.. وصار الحاجب واسطة بين الناس وأهل الرتب جميعهم[2].

وزاد نفوذ الحاجب في الدولة الحفصية حتى امتدت سلطته إلى الجيش. وكان السلطان يرجع إليه المشورة والرأي. ثم تطور الأمر إلى أن تحولت الحجابة إلى سلطة مطلقة بل تفوق أحيانا سلطة الأمير الحفصي. ولكن بعد ذلك لم يعد للحاجب نفوذ في المملكة وهيبة عند الناس. فصارت كما كانت في الأول خدمة مخصوصة للسلطان في قصره، وما يحتاجه من مال[3].

وفي عهد السلطان الزياني أبي حمو الأول وفد عليه بيت من بيوت الأندلس. وهم بنو ملاح إلى حاضرة تلمسان، فولاهم وظيفة الوزارة ووظيفة الحجابة معا[4].

ويمكن تلخيص مهام الحاجب في دولة بني زيان في الإتصال بالرعية ومقابلتهم. والقيام بالسفارات والمفاوضات مع الدول الأخرى، والتصدي لكل ما يشغل السلطان ويهمه[5].

وظهرت الحجابة في العهد الحفصي في عهد السلطان الحفصي أبي إسحاق. وأول من تولاها أبو القاسم من أصل أندلسي. ذلك أن إقامة أبي إسحاق بالأندلس قبل توليه الحكم بها كان له أثره في ظهور الحجابة عند الحفصيين في عهده[6].

---

1 مريم بوعامر: المرجع السابق، ص 116.

2 محمد سعداني: الأندلسيون وآثارهم،ص174.

3 محمد سعداني: المرجع نفسه ص174.

4 نفسه ص127.

5 بوزياني الدراجي: نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية،ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر 1993 ص132.

6 محمد سعداني: الأندلسيون وآثارهم،ص174.

ومن أشهر اليهود الذين تولوا هذا المنصب في عهد الدولة المرينية خليفة بن رقاصة، الذي عرف في بلاط السلطان المريني يعقوب بن عبد الحق[1] والذي أصبح نشاطه ونشاط عائلته شائع في البلاط المريني. وبلغ مبلغا كبيرا من التحكم بزمام القصر، فكان هو الآمر الناهي، وأصبح الوزراء وكبار الشخصيات في البلاط يخشونه رغم شهرته بانحيازه لخدمة اليهود من دون المسلمين[2].

ولم يكتف أهل البلاط في المغرب الإسلامي باستعمال أهل الذمة في بلاطهم وعلى مقربة منهم، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك . حيث أنهم استعلوهم في الوظائف السياسية والإدارة المالية في المدن والأقاليم البعيدة. فهذا منصور بن عتيقة الذي سيطر على شؤون الدولة على عهد الأمير أبي البقاء خالد. فأصبح هو المتحكم في كل الأمور برفقة حاجبه أحمد المالقي[3].

وفي فترة حكم السلطان المريني سليمان بن يوسف بن يعقوب الذي اتخذ من اليهودي الملقب بالأصفر، حاجبا له) فتحكم هذا الحاجب في كل الأمور. وهو الذي أكال مكيدة وأوقع بالكاتب الشهير أبي عبد الله محمد بن أبي مدين الذي كان لا يفصل في شيء رغم درايته وحكمته ومكانته في ديوان الإنشاء والعلامة[4].

غير أن السلطان بعد تبينه للأمر، وجد أن خليفة الأصفر، قد وشى بالكاتب المذكور وشاية حسد وحقد فقط. فنكبه هو الآخر، وأوقع به وبعائلته[5].

ج–الدواوين والكتابة:

إلتجأ الموحدون في وقت مبكر الى المثقفين الأندلسيين الموهوبين لكتابة رسائلهم، واقتدى بهم الحفصيون مدة طويلة من الزمن. فلم يشترطوا الإنتساب إلى الموحدين للاضطلاع بمهمة الكتابة[6]. وكان لهؤلاء الكتاب الوافدين الموظفين في البلاط المغربي بصفة عامة، مشاركة في كتابة الوثائق والعقود. حتى أن

---

1 ابن الأحمر: تاريخ الدولة الزيانية 39.

2 ابن خلدون: العبر، ج784397.

3 نميش سميرة: أهل الذمة ودورهم الحضاري 84 123.

4 القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء،المؤسسة المصرية العامة ،مصر،د ت9 5 1981123؛ نميش سميرة:المرجع نفسه،ص124-125.

5 نميش سميرة: المرجع السابق 125.

6 برنشفيك:تاريخ افريقية في العهد الحفصي 64-65.

خط كبار جماعة الإشبيليين ظل مميزا ومعروفا طيلة القرن ال8هـ ، إلى جانب خط كبار الكتاب، مثل ابن عصفور وابن سيد الناس.

وكان مشهودا في المغرب الإسلامي للخط السائد بشرق الأندلس، لما كان له من حسن فائق ورونق أخذ بالعقل، وترتيب يشهد لصاحبه بكثرة الصبر والتجويد. وقد فاق في ذلك الخط المشرقي، مما يفسر أنه أصبح خطا رسميا في الدواوين[1].

كما وظف السلاطين الزيانيون الكتاب الأندلسيين لإنشاء الرسائل، فقد عين السلطان يغمراسن في بلاطه كاتبا أندلسيا شهيرا في الأدب، وهو أبوبكر محمد بن عبد الله بن داود خطاب الغافقي المرسي. الذي انتقل إلى حاضرة تلمسان من مدينة مرسية الأندلسية، فجعله يغمراسن من كتاب إنشائه ، فكان يكتب له رسائله إلى بني حفص بتونس[2].

وبسبب المشاكل السياسية التي كان يواجهها الأمير الزياني أبي حمو موسى الثاني، فإنه استدعى يحيى بن خلدون. وفعلا أرسل الأمير الزياني الكاتب يحيى بن خلدون في مهمة سياسية ونجح فيها. فكان لذلك أحسن الوقع في نفس الأمير. فعينه كاتبا له، وقربه وجعله من مستشاريه وعندئذ طاب المقام ليحيى بن خلدون بتلمسان واستقر هناك[3].

ومن أشهر الكتاب الوافدين إلى بلاد المغرب الذي برزوا في البلاط المغربي:

*محمد الخير المالقي(731-888هـ/1427-1483م):هاجر من الأندلس إلى المغرب سنة 864هـ/1459م ، عينه الأمير محمد بن أبي عمرو عثمان الحفصي كاتبا له[4].

*أحمد بن إبراهيم بن عمر الغساني: أصله من إشبيلية، فقيه وأديب كلفه الأمير الحفصي يحيى بن عبد الواحد الحفصي كاتب الدولة الحفصية وحافظ أسرارها، وكان لهذا الكاتب موهبة في نظم الشعر[5].

---

1 المقري أحمد بن محمد التلمساني: نفح الطيب،تح احسان عباس،دار الصادر بيروت1988 3 151؛ محمد حسن: المدينة والبادية،ص600.

2 آمال سالم عطية، السفارات، ص81-82.

3 محمد رزوق: دراسات،ص58.

4 بوشامة عاشور: علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب والأندلس(626-981هـ/1288-1473م)رسالة ماجستير، كلية الأداب،جامعة القاهرة،1991 57758.

5 التيجاني، أبو محمد عبد الله بن محمد أحمد: رحلة التيجاني،تقديم: حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، تونس، 1981 7 3755 .

*ابن الأبار: هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المشهور بابن الأبار ولد سنة 595هـ/1198م ببلنسية. وبسقوط الأندلس في أيدي النصارى لم يطق ابن الأبار البقاء ، ففضل الرحلة إلى تونس ، وتقرب من السلطان الحفصي أبي زكرياء ، الذي جعله على كتابة العلامة. ولكن الدسائس والسعايات التي يلفقها له خصومه أطاحت به، وبتولي المستنصر الحكم أمر بامتحانه ثم قتله طعنا [1].

وتعود ملابسات القضية إلى زمن قرار أبي زكرياء تقسيم خطة الكتابة التي كان يتولاها الكاتب ابن الأبار إلى خطتين. إما لتحديد سلطات الموظف البلنسي الشهير، أو للاستفادة من براعة خطاط أحسن منه. وعلى كل حال فقد أبقاه في خطة تحرير الوثائق الرسمية، وأمره بأن يترك بياضا لكتابة العلامة من طرف شخص آخر. ولكن الكاتب الأندلسي المرتاب لم يمتثل لذلك الأمر. فأعفي من مهامه، وفقد مؤقتا حظوته لدى السلطان[2].

وواصل السلطان الحفصي المستنصر سياسة أبيه، فجعل لأهل الأندلس مكانة بين أهل الشورى. وقدمهم في ديوان الكتابة والحجابة والجباية. وأحاط نفسه بجلساء الجالية الأندلسية، ومن بينهم الكتاب والأدباء. نذكر منهم رجل السياسة المعروف بحنكته وذكائه أبا الحسن العنسي(ت671هـ) والفقيه المحدث أبا بكر بن سيد الناس(ت758هـ) والنحوي ابن عصفور[3].

أما عن الكاتب صاحب العلامة[4] أبي الحسن يحيى بن أبي مروان ، فقد سيطر على البلاط الحفصي. حيث نحى بقية سلاطين بني حفص هذا المنحى نفسه. فقربوا أفراد هذه الجالية حتى أن صاحب العلامة أبا الحسن المشهور بالخبير قد سيطر على دواليب الحكم وانفرد بتدبير المملكة. إلى حد أن أصبح السلطان رهن إشارته. وأذل الموحدين الذين لم يستريحوا إلا بالتخلص منه سنة 677هـ/1278م[5].

---

1 ابن قنفذ القسنطيني: الفارسية في مباديء الدولة الحفصية،تح الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي،الدار التونسية للنشر،1948 126-127.

2 برنشفيك:تاريخ افريقية في العهد الحفصي 62.

3 محمد حسن:المدينة والبادية،ص580.

4 العلامة في اللغة هي إشارة خاصة تدل على الشئ وتعيّنه، وهي السمة، وجمعها علام، وعلى هذا الأساس تم استخدامها ووضعها على المكاتبات الرسمية؛ لتدل على أنها من الخليفة، أو من الأمير أو القائد.ينظر بغداد غربي: الكتابة الرسمية عند الموحدين في الغرب الاسلامي 668 - 541 هـ / 1269 - 1146م أنواعها، مراسيمها، وأهميتها التاريخية، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد – 16 جوان،2016 47.

5 ابن قنفذ: الفارسية 13447-135؛ محمد حسن المدينة والبادية،ص580.

وكانت مشاركة الوافدين الأندلسيين إلى تونس جلية خاصة في الحياة السياسية والإدارية. من بداية حكم أبي زكرياء الحفصي إلى تولي أبي عمرو عثمان السلطة. واستمرت تمثيلية الجالية الأندلسية في أعلى هرم السلطة ولدى بعض العائلات . فقد ظل مجد عائلة ابن خلدون بالأندلس وانتقال الحسن بن محمد بن خلدون إلى إفريقية حيث أكرم وفادته الأمير، وفرض له الأرزاق وأقطع له الإقطاعات. وتولى بعده ابنه محمد أبوبكر خطة صاحب الأشغال في عهد الأمير أبي إسحاق إبراهيم، إلى أن قتله الدرعي ابن أبي عمارة سنة 681هـ[1].

*أبو عبد الله بن محمد بن أحمد بن نخيل الكاتب: استكتبه السلطان الحفصي أبو محمد عبد الواحد. وهذا الكاتب "المشهور له بالجود وحسن الوساطة، وحسن التدبير، حيث أنه أصلح الأحوال ورتب الأجناد، واخترع زمام التضييف للوفود. كان يجلس كل يوم سبت لمسائل الناس. وكان عالما فاضلا شجاعا محسنا ذكيا فطنا"[2].

د–القضاء:

بسبب الانتشار المكثف للوفود الأندلسية خاصة من النخبة ، فقد تولى منهم عدد معتبر خطة القضاء . حيث أشار المؤرخون وأصحاب االتراجم –مثلا– في العهد الحفصي إلى وجود قضاة بارزين في المدن التابعة للحفصيين ومنها مدينة بجاية. التي تقلد القضاء فيها عدد من الأندلسيين المهاجرين، والذين أظهروا مهارة وعدالة وقدرة كبيرة على تطبيق القانون ، وعرفوا أيضا بقوة الشخصية مما أتاح لهم مواجهة الظلمة وردعهم[3]. ونذكر منهم:

*أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن موسى الأزدي(ت661هـ/1262م) المعروف بابن برطلة ، كان فقيها ومحدثا وقاضيا. رحل إلى تونس واستقر بها حتى وفاته[4].

---

1 محمد حسن:المدينة والبادية ،ص584.

2 الزركشي: تاريخ الدولتين،ص18.

3 محمد سعداني: الأندلسيون وآثارهم،ص181.

4 الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد:عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية،تح عباس نويهض،دار الآفاق الجديدة 2218بيروت81979 ص270-271.

*أبو عثمان سعيد بن علي بن محمد بن عبد الرحمن بن زاهر الأنصاري، ولد ببلنسية سنة 577هـ/1181م وارتحل إلى العدوة المغربية، واستقر ببجاية وتولى وظيفة قضاء بجاية، ووافته المنية بها سنة 656هـ/1256م[1].

*أبو العباس أحمد بن محمد بن الحسين بن الغماز البلنسي الخزرجي، ولد ببلنسية سنة 609هـ/12212 كان فقيها ومحدثا، تولى القضاء ببجاية ثم بتونس. وكان مقربا من المستنصر قال عنه ابن قنفذ:" كان ابن الغماز من سعداء الفقهاء، على أنه لم يقتصر به المستنصر في القضاء بل ناط به استعمال سلطانه. وكان ينظر له في كثير من الأمور ، توفي سنة 693هـ/1293م[2].

*أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله الخزرجي الشاطبي: كان أبوه قاضيا وبيتهم بيت علم وقضاء. وتوارثوا هذه الوظيفة، وتولى أبو عبد الله وظيفة القضاء في مختلف مدن بلاد المغرب، وعين قاضيا في مدينة بجاية في المغرب الأوسط، ثم انصرف عن بجاية وولي قضاء حاضرة إفريقية[3].

*أبو عثمان سعيد بن علي بن محمد بن عبد الرحمن بن زاهر الأنصاري [4].

*أسرة العقباني: حيث نجد أن أغلب أسرة العقباني الأندلسية قد تولوا القضاء. ومن أبرزهم القاضي سعيد بن محمد العقباني.وقد اشتغل بمنصب القضاء في أكثر من مدينة ببلاد المغرب لمدة تفوق أربعين سنة في كل من تلمسان وبجاية ووهران ومراكش وسلا[5].

ويليه القاضي قاسم بن سعيد العقباني، ثم أحمد بن القاسم بن سعيد العقباني الفقيه. وهو من فقهاء المالكية وقضاة المالكية. وإبراهيم بن القاسم بن سعيد بن العقباني. ومحمد بن إبراهيم بن قاسم بن سعيد بن محمد بن محمد العقباني. وعبد الواحد بن القاسم بن سعيد العقباني، وجميعهم عرفوا بقاضي الجماعة[6].

هـ–قيادة الجند والشرطة:

---

[1] الغبريني: عنوان الدراية 245..

[2] ابن قنفذ القسنطيني: الوفيات،ص151.

[3] الغبريني: عنوان الدراية،ص290.

[4] محمد سعداني: الأندلسيون وآثارهم،ص181.

[5] نفسه 181.

[6] نفسه.

تم تعيين اليهودي عين الحسين منصب قائد الشرطة على عهد السلطان المريني عبد الحق بن أبي سعيد عثمان(831-869هـ/1427-1464م) [1]. واستقل بدار الحجابة، وأخذ مراسيم الدولة لوحده. وأخذ يعزل فقهاء مدينة فاس وأعيانها وأشرافها. بل تمكن من الهيمنة على السلطان عبد الحق المريني، وإذلال أهل فاس، ضربا ومصادرة للأموال، حيث ألب السلطان المريني على أن يفرض ضريبة الخراج على سكان مدينة فاس بما فيهم الأشراف الذين كانوا معفيين منها [2].

3/الدسائس والمؤامرات:

ظهرت في البلاط المغربي منذ العهد الموحدي بعض مظاهر الدسائس والمؤامرات، سواء منها ما طالت الحكام أو البطانة ومنهم هؤلاء الوفود. الذين كانوا يمثلون طبقة مهمة ومؤثرة في البلاط المغربي. وبالنظر إلى كثرة التقلبات السياسية لأفراد الجالية الأندلسية، فإن الضرورة تقضي إلى محاولة استكشاف خصائص المشاركة ومحدودية اندماج هذه الفئة في صلب المجتمع الإفريقي[3].

إذ كانت المناورة والسعاية القانون السائد في حياة البلاط المتميزة بتعدد التكتلات: شيوخ الموحدين والموحدين وأهل البيوتات من بلاد المغرب، والعلوج والأعراب، والظاهر أن السلطان قد فشل في التحكم في هذه الأطراف[4].

فكثرة الدسائس والمؤامرات الخفية التي كانت تحاك ضد الوفود وأفراد البيوتات القادمة من الأندلس، نقلتها منها إلى بلاد المغرب، فمن أوغر صدر المستنصر ضد ابن الأبار هو أندلسي الموطن، وهو ابن أبي الحسن، لحقد قديم بينهما[5].

وقد أظهر ابن الأبار هفوات كشف بها لأعدائه عن مقتله. فقتل في وسط المحرم658هـ/دجنبر1259م، وأحرقت كتبه.لذلك أن ابن الابار قد ا م بالكيد للأسرة الحفصية في

[1] سميرة نميش، دور أهل الذمة، ص 125.
[2] نفسه 125.
[3] محمد حسن:المدينة والبادية،ص586.
[4] محمد حسن:المرجع نفسه 679.
[5] المرجع نفسه 586.

شخص الواثق ابن المستنصر عن طريق السحر والتنجيم[1].

ومما تعرض له الوزراء من أسرة بني الملاح من تآمر وبطانته على أبيه. ذلك أن ابن تاشفين كان حاكما على مملكة بني زيان بعدما تآمر على أبيه أبي حمو الأول وقتله حتى شرع كل من كان حليفا ومقربا من والده، وأولهم وزراء من أسرة بني ملاح، فاستأصل شأفتهم وأبعدهم عن القصر وشؤونه، وأنهى حضورهم السياسي بالمملكة الزيانية[2].

وهكذا كثرت الدسائس والسعايات بين الأندلسيين أنفسهم من جهة، وبين الأندلسيين وأهل المغرب من جهة أخرى إلى درجة أصبح الإحتراز هو العملة السائدة[3]. لكن ما فتئت أن دارت عليه الدوائر، إذ تمكن مساعده في الكتابة ابن الجبير الأندلسي، من الحلول محله، والتخلص منه قتلا سنة 376هـ/4277م، أين استبد ابن الجبير بالسلطة[4].

ومن جهة أخرى فإن تلك الفتن والاضطرابات والدسائس التي كانت تحاك في البلاط المريني حالت دون بقاء يحيى بن خلدون بفاس، خاصة بعد أن قتل ابن الخطيب في سجنه. و كان قد م بالزندقة وحوكم وعذب، وهكذا التحق ببلاط أبي حمو الثاني بتلمسان[5]. ومما ساعده على ذلك الرجوع هو السلطان أبو حمو موسى الثاني، الذي كان في أمس الحاجة إلى مستشار مخلص يساعده في مهامه. إذ أصبح البلاط الزياني منذ أوائل سنة 779هـ مسرحا للمناورات. وقد كان يحيى نفسه ضحية لهذه المناورات التي أودت بقتله في سنة 780هـ[6].

4/التمثيل الدبلوماسي لأهل الذمة في بلاد المغرب الاسلامي

لقد تبوأ كثير من أهل الذمة مناصب ومسؤوليات هامة في هرم السلطة في دول المغرب الإسلامي، سواء منهم المستقرين منذ القدم أو الوافدين من الأندلس. فعاشوا في كنف حفظ الحقوق المختلفة لغير

[1] محمد رزوق: دراسات،ص34.
[2] محمد سعداني: الأندلسيون وتأثيرا م،ص129.
[3] محمد رزوق: دراسات،ص34.
[4] سميرة نميش، دور أهل الذمة، ص 125.
[5] محمد رزوق: دراسات،ص59.
[6] محمد رزوق: دراسات،ص59.

المسلمينبغض النظر عن ديانا م. وتقلدوا وظائف إدارية وسياسية رفيعة في الدولة، حيث عملوا وزراء وحجاب وسفراء إلى جانب قيادة الجيش وجباية الأموال، وغيرها من المناصب المالية والسياسية المهمة.

وبفعل اهتمام أهل الذمة بالجانب الإقتصادي خاصة التجارة أصبحت لديهم قوة ونفوذا خاصا في تلمسان، خلال فترة حكم بني زيان، مما انعكس بالإيجاب على الأوضاع الأخرى لاسيما منها الأوضاع السياسية، وعلى الرغم من ذلك لم يتقلدوا مناصب إدارية وسياسية خاصة في بداية الدولة الزيانية، وإنما توجهوا أكثر إلى الأمور الدبلوماسية [1].عكس دولة بني مرين .

وكان استعمال أهل الذمة بصورة أكثر في هذا المجال الدبلوماسي. خاصة إذا تعلق الأمر باليهود الذين يتقنون عدة لغات وتمتعوا بجانب كبير من الدهاء والحيلة والمكر. ما ألجأ حكام بني عبد الواد إلى استعمالهم في سفارا م خاصة إلى البلاد المسيحية والممالك النصرانية[2].

ويشير بعض المؤرخين أن أهل الذمة الوافدين على تلمسان لم يصلوا إلى أي منصب سياسي، خلال فترة حكم بين زيان على الأقل. وتفسير ذلك هو محاولة توخي النتائج السلبية من جراء ذلك مثلما حصل للدولة الزيرية [3] أثناء حكمها لغرناطة و إستعمالهم لليهودي ابن النغريلة وابنه وما خلفه هذا الإستعمال من ثورة عارمة لدى عامة السكان [4].

ويشير الدكتور عبد العزيز فيلالي إلى أن اليهود الوافدين اشتغلوا في الدولة الزيانية كمترجمين بحكم إتقانهم اللغة العربية واللغات الأوروبية، حيث استعانت بهم الدولة لإبرام اتفاقيات تجارية ومعاهدات الصلح. وأبرز مثال على ذلك إرسال السلطان عثمان بن يغمراسن سنة 69هـ/1291م بصحبة الفقيه محمد صبيح إلى حاكم قشتالة[5].

---

[1] سميرة نميش، دور أهل الذمة، ص8 .

[2] عبد الصمد حمزة: أهل الذمة في الدولة الزيانية ص33.

[3] دولة بني زيري مؤسسها هو زيري بن مناد، ولي الدولة منذ عهد أخذه ما بيده من أيدي زناتة وأموالها في سبيل الإباء على الدولة والمظاهرة لها .فلما أخذ المعز في الرحلة إلى المشرق وقع اختياره على بلكين بن زيري بن مناد ليخلفه على شؤون إفريقية والمغرب .خاض حروب مع زناتة وقام بحصار تلمسان ونقل أهلها إلى أشير، توغل في المغرب وتوسعت أمور دولته .ابن خلدون:العبر ج6 .344.

[4] عبد الصمد حمزة، المرجع السابق، ص33 .

[5] عبد العزيز فيلالي: تلمسان،ص194.

وبنظرة فاحصة يتبين لنا أنه من دوافع وأسباب توظيف أهل الذمة في مناصب سياسية أو إدارية، هو إتقانهم اللغات الأجنبية الأوروبية إضافة إلى اللغة العربية، مما جعلهم يبرعون في فن الترجمة في الاجتماعات والاتفاقيات الدولية [1].

وفي الوقت الذي احتاج فيه الزيانيون في فترات كثيرة إلى إرسال سفارات تقوم بمهام دبلوماسية، يتمتع أصحابها بجانب كبير من الحكمة والدهاء والقدرة على الإقناع والمفاوضة، وحسن الرأي. بالإضافة إلى إتقان عدة لغات. فكان اختيارهم يقع على اليهود الذين توفرت فيهم هذه الشروط. رغم أنهم ليسوا مسلمين، وفي بعض الأحيان غير صادقين تجاه السلطات الزيانية التي تستخدمهم. إلا أن ملوك وسلاطين بني زيان استعملوهم وبعض المسيحيين مرات عديدة[2].

ولعل أهم الاتفاقيات والمعاهدات التي برمجتها الدولة الزيانية، واتخذت أهل الذمة كسفراء فيها بينها وبين الدولة المسيحية ابن الربي يوسف بن أغلال "Abengalel" الذي عاش في القرن 13م وأخيه أبراهيم بن أغلال Abraham Bengalil حيث أرسل أبراهام وأخوه صامويل من طرفالزيانيين الى ملوك أرغونة،" ألفونسو الثالث "وجاك الثاني في بعثات ديبلوماسية[3].

وفي أواخر حكم بني مرين ،ظهر دور البعض منهم خاصة فيما يخص الإتفاقيات في الجانب الاقتصادي، الذي كان يعتمد فيه الوطاسيون بصفة خاصة على اليهود الوافدين والمهاجرين. الذين اشتهر منهم روزاليس، الذي كان سفيرا من طرف سلطان فاس أحمد بن محمد الثاني إلى جاك الثالث ملك البرتغال سن935هـ/1530م لعقد سلام معه. كما أرسل يهودي آخر إلى إسبانيا من طرف سلطان فاس سنة 939هـ/1534م، وهو أبراهام القوطي[4]. وفي الغالب يجمع صار اليهود يجمعون بين السفارة والتجسس لصالح البرتغال من جهة، والوطاسيين من جهة أخرى، نذكر منهم دواد رباني[5].

---

1 عبد الصمد حمزة، الحضور السياسي لأهل الذمة في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، العدد 12 جامعة وهران أحمد بن بلة، ديسمبر 2017 ص10 .

2 عبد الصمد حمزة: أهل الذمة،ص34.

3 عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ص194 .

4 سميرة نميش: أهل الذمة،ص127.

5 نفسه.

وأصبح السفير اليهودي زطورة يحضر توقيع الاتفاقيات بين الإسبان والمسلمين،فقد وقع اتفاق بين شيوخ القبائل(شيخ قيزا وبوصفرو وأحمد القشتاني شيخ مصرغين) وبين الكوديتي حاكم وهران على عدم مواجهة مضاربهم بحضور كبار ضباطه وبعض أفراد من الجالية اليهودية يتقدمهم موسى زطورة[1].

ويلاحظ الباحث عبد الصمد حمزة أن " أغلب أمراء بني زيان المتأخرين قد سخروا كثيرا من أهل الذمة ليكونوا سفراء لهم عند الدول المسيحية أو ممثليها، خاصة بعد احتلال وهران من طرف الإسبان، فقد كان السفير الإسباني "سلمون تورنيرو" « Salamon Tornero »من أبرز من قام ببعثات دبلوماسية بين الزيانيين والإسبان في وهران أو إسبانيا خصوصا في عهد الأمير الزياني أبو سرحان المسعود سنوات1520-1521م"[2].

ولم يقتصر الأمر على هؤلاء بل إن النساء أصبحن يحشرن أنوفهن في أمر البيعة. ويبرز في هذا الشأن اسم حبابة زوجة الخليفة الموحدي المأمون. وهي جارية مسيحية لعبت دورا بارزا، واستخدمت النفوذ والرشوة من أجل ترشيح ابنها الصغير الخليفة الموحدي [3].

وخلال العهد الزياني وظف عثمان بن يغمراسن جارية رومية في البلاط المريني أهداها ليوسف بن يعقوب بعد أن دربها أسلوب الكتابة السرية أو علم التعمية وعلى التجسس والتقاط الأخبار. وزودها بالورق الخاص بذلك. فكانت الجارية الرومية تبعث له بالمعلومات الهامة التي تتعلق بالبلاط وخططه ونواياه واستعداداته العسكرية وغيرها من المعلومات التي تساعده على الخصم[4].

1 حساني مختار:تاريخ الدولة الزيانية، الأحوال السياسية، منشورات الحضارة، الجزائر2009 ج1 204.

2 عبد الصمد حمزة: أهل الذمة في الدولة الزيانية،ص60-61.

3 ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص254 ؛ بوتشيش: تاريخ الغرب الإسلامي،ص100.

4 فيلالي عبد العزيز: تلمسان،ج1 25 ؛ عبد الصمد حمزة: أهل الذمة في الدولة الزيانية،ص59.

المبحث الثالث: دور الوفود السياسية في تمتين العلاقات بين دول المغرب الإسلامي:(نماذج)

1/*الوفود الرسمية الأندلسية إلى البلاط الزياني:

بسبب الترابط الحضاري والسياسي بين المغرب والأندلس ، فقد استمرت العلاقات السياسية والدبلوماسية بين العدوتين من أيام الفتح الأولى. وتوثقت العلاقات أكثر في العهد الزياني. حيث أصبحت العلاقات بين العاصمتين تلمسان وغرناطة قائمة على أساس من تبادل المصالح المشتركة، وذلك بالنظر إلى ما يجمعهما من موقع جغرافي، ودور حضاري متقارب ومستمر(1).

وبالنظر إلى كثرالأخطار الصليبية التي دد دولة الإسلام بالأندلس. فقد كانت معظم الوفود الأندلسية الرسمية القادمة إلى دول المغرب الإسلامي تتسم بطابع تمتين العلاقات وطلب النصرة لصد هجمات النصارى ومؤازرة المسلمين هناك.

وعقب انتهاء حصار تلمسان وعودة العاصمة لبني زيان، فقد عبر سلطان بني الأحمر عن سعادته لذلك الحدث، وأرسل وفادة إلى البلاط الزياني ليهنئهم بعودة عاصمتهم إليهم. وتعبيرا أيضا عن عمق علاقات التواصل، وليشكرهم على دعمهم المتواصل (2).

واستمر سلاطين بني زيان في تقديم أي نوع من أنواع الدعم مما يطلبه أهل الأندلس من موفديهم، ففي سنة 763هـ/1361م، قدم الفقيه العالم إبراهيم الحاج على رأس وفد رسمي من الأندلس، طلبا للإغاثة والإمدادات على إثر الهجومات المتكررة التي يقوم بها النصارى. وكان رد السلطان الزياني أبي حمو أن أكرم الوفد وقبل نجد م ، حيث أرسل خمسين قدح من الزرع وثلاثة آلاف من الذهب للكراء عليه في البحر (3).

وتكررت وفادات طلب النصرة والنجدة من الأندلسيين إلى البلاط الزياني، حيث تأذى المسلمون بالأندلس كثير من الاضطرابات التي يثيرها الصليبيون بين الحين والآخر، فقد بعث السلطان النصري الغني

1 عبد الحميد حاجات: تطور العلاقات بين تلمسان وغرناطة في العصر الوسيط، مجلة عصور الجديدة، جامعة وهران، ع2 2011 39.

2 ابن الخطيب لسان الدين: ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب،ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة،1 1980 265.

3 يحيى بن خلدون: بغية الرواد، ج2 . 107.

بالله سفارة سنة 767هـ/1365م إلى البلاط الزياني ليهبوا لنصرته ضد ضربات النصارى [1]. أين حظيت تلك الوفادة باستقبال حسن من البلاط الزياني، على عادة كرمهم ونجد م. بل إن مما يميز هذه الوفادة هو السعة في الإجابة والأهبة والإستعداد في همة وعزيمة لإنجاد أهل الأندلس. وقد عبر يحيى بن خلدون عن تلك الوفادة بقوله:" وامتعض خليفة الله أيده الله لدين الإسلام، واستفزته أريحية الشجاعة وعطفه على غرباء المسلمين بالعدوة رحم الملة، وحجزه البحر الزاخر عن الوصول إليه بنفسه، فأمدهم في سبيل الله بالأحمال العديدة من الذهب والفضة والخيل المسومة والمراكب المشحونة زرعا..." [2].

2/ الوفود بين الدولة الزيانية والدولة المسيحية بالأندلس:

وبالنسبة للعلاقات المسيحية الزيانية بالخصوص، فقد برز عدة وفود وسفراء من جنسيات أوروبية ، ولعل أبرزهم أولائك الذين شغلوا وظيفة قائد المسيحيين"alcayt" أي القائد الأعلى، حيث يعتبر رئيس كل المسيحيين- سواء كانوا مدنيين أو عسكريين- المتواجدين على أراضي مملكة بني عبد الواد، والذي كانت مهمته تتمثل في تحصيل الضرائب المستحقة للملك المسيحي، ويعتبر رئيس وقاضي التجار المسيحيين المتواجدين في الفنادق المنتشرة في المدن الزيانية. والقيام بأعمال السفارة بين الدولتين[3].

وتستمر الوفود بين العدوتين تتحرك في الإتجاهين ،فهذا الفاكين بوندافي "Alfaqui Bindavin" وهو يهودي أرسل من طرف الملكين الأرغونيين هما ألفونسو الثالث وجاك الثاني في بعثة دبلوماسية إلى تلمسان، وكان ذلك في 692 هـ/ 1223 إلى الملك الزياني عثمان بن يغمراسن، لإخراج علاقتهم من الركود[4].

1 آمال سالم: السفارات،ص78.
2 يحيى بن خلدون: بغية الرواد، ج165782.
3 عبد الصمد حمزة: أهل الذمة في الدولة الزيانية،ص39.
4 نفسه ص36 .

ومن بين السفراء من أهل الذمة جاك [1]) بن جاك الثاني ويسمى جاك اللقيط لأنه الابن Jacques le batard غير الشرعي لجاك الثاني ملك أرغونة، ويعتبر جاك من بين أشهر الديبلوماسيين المسيحيين، لدى المملكة الزيانية وكان من بين المقربين لدى الملك الزياني أبي تاشفين الأول [2].

وتجدر الإشارة إلى أن الملوك المسيحيين اتخذوا بعض اليهود سفراء لهم، فلقد أرسل ملك إسبانيا ألفونسو الثالث، وملك أرغونة، اليهوديين أبراهام، وصامويل، مفوضين بالمغرب الأقصى وتلمسان وغرناطة . كما استعملوا اليهود كذلك في الجوسسة [3]. ومثال على ذلك أرسل جاقمو الغازي ملك الأرغون، يهوديا ميورقيّا كعون سري يدعى" أستروش بون سنيور"" كما اهتموا بتهجير المسلمين من مايورقا إلى بلاد النصارى لتنصيرهم واسترقاقهم [4].

وبالرغم من انحسار دور الوفود النصارى بالمغرب الإسلامي، إلا أنه كان لهم الأثر البالغ في تنشيط العلاقات بين الدولتين الزيانية والمسيحيةو دئة الأوضاع بالنسبة للعلاقات الثنائية التي كانت تسودها بعض التوترات.

ويبدو واضحا أن الدولة الزيانية قد اعتمدت على أهل الذمة،لخبر م وتجربتهم في هذا، ففي كتاب واسطة الملوك لأبي حمو موسى الثاني نجده يوصي ابنه والي العهد أبا تاشفين بمجموعة من الوصايا، مثلا يجب أن يكون من قبيلته وأن يكون قويا وصادقا، وافر العقل، لا يعرف حيلة ولا احتيالا ويجب أن يكون

---

[1] يعرف جاك الثاني باسم آخر جاقمو الثاني، وعرف كذلك اسم ابنه باسم جاقمو ويسمى أيضا باسم القيط. عين مرات عديدة سفيرا على تلمسان ومفوضا يرعى مصالح القطلانيين.ينظر عمر سعيدان علاقات اسبانيا القطلانية بتلمسان في الثلثين الأول والثاني من ق14 منشورات تالة الجزائر2011 ص 76.

[2] نفسه

[3] الجوسسة يصطلح عليه اليوم باسم الإستخبارات العسكرية، وهي وسيلة قيمة استخدمت لعرض جميع المعلومات عن الأعداء، والتي على أساسها يتم اتخاذ التدابير اللازمة لمواجهة الخصم، وقد عرف هذا الأسلوب في المواجهات العسكرية، بحيث كانوا يرسلون الجنود والجواسيس إلى الأمصار للإختلاط بأهلها والإطلاع على أحوالهم وما يجري بينهم، وكان لذلك الأثر في نجاح الفتوحات الإسلامية .عبد الحفيظ حيمي نظام الشرطة في الغرب الإسلامي، مذكرة مكملة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، كلية العلوم .الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة وهران، 2015 ص131

[4] عبد الصمد حمزة: أهل الذمة في الدولة الزيانية، ص77.

محافظا على دينه ومحافظا كذلك على الأسرار، هذه الأوصاف الأساسية، تتبعها أوصاف تكميلية مثل فصاحة اللسان، ومحب لسلطانك ومطاع لك ولا يطمع فيك[1].

ويفهم من خلال هذه الوصايا مدى حرص السلطة الزيانية وتشديدها فيما يتعلق بالمهام السياسية. ولكن من خلال ما سبق نلاحظ أنهم قد اعتمدوا على أهل الذمة بشكل واضح على الرغم من أنهم ليسوا مسلمين. وذلك بالنظر الى كفاءا م اللغوية وحسب ما ذكره مسعود كواتي أن العامل اللغوي من العوامل الحاسمة، التي ساعدت على اختيار أهل الذمة للقيام بنشاطات دبلوماسية لحساب المسلمين[2].

ومن الأمثلة الشهير من ارسال الوفود من ذوي الفصاحة والبلاغة. أن بعض المصادر التاريخية قد أمدتنا بأسماء الدبلوماسيين العرب مثل يحي بن الحكم الملقب بالغزال، الذي قام بسفارة إلى ملك الروم، حيث أعجب بحديثه أيما إعجاب[3].

2/الوفود إلى الدولة المرينية:

اشتهر سلاطين بني مرين بشغفهم بالعلم وحبهم للعلماء، الأمر الذي جعلهم يستقدمون العلماء إلى بلادهم خاصة من علماء الأندلس الوافدين إلى فاس. فاختاروا منهم طائفة يزينون بلاطهم) وكانوا يقيمون مجالس المناظرة العلمية خاصة في عهد السلطان أبي عنان المريني والذي كان له باع طويل في العلوم والمعارف مثل المنطق والحساب والبلاغة[4].

ولم يكتف السلطان أبي عنان باستقبال العلماء وإكرام وفاد م، بل إنه قربهم ومنحهم وظائف ومناصب سياسية كبرى في بلاطه، واستشارهم في أمور الدولة[5]. ومن أبرز الأمثلة على ذلك، أن ابن الخطيب استغل فرصة لجوئه السياسي، وبدأ بالتجول بين مدن المغرب متجاوبا معهم مدة ثلاث سنوات، فحرر في هذه الفترة رسائل وكتبا عديدة. كانت في معظمها مدحا للسلاطين مثل كتاب "كناسة الدكان بعد انتقال

---

[1] أبو حمو موسى بن يوسف الزياني: واسطة السلوك في سياسة الملوك، ط11 المطبعة الدولة التونسية، تونس، 1962 ص 161-162.

[2] كواتي مسعود :اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، معهد التاريخ جامعة الجزائر،1411-1412هـ/1990-2061621991 .

[3] المقري، نفح الطيب ج22 ص254 .

[4] ابن خلدون: العبر،ج7 - 80.

[5] المقري: نفح الطيب، ج311803.

السكان" الذي وضعه لسان الدين في بداية إقامته الأولى بمنفاه بالمغرب، وهو عبارة عن مجموعة من الرسائل السلطانية كتبها ابن الخطيب في بداية حياته الوزارية عن السلطان أبي الحجاج يوسف إلى السلطان أبي عنان ملك المغرب في أغراض سياسية وعسكرية [1].

وبعد تمكن السلطان المريني أبي عنان فارس من استرجاع مدينة تونس تلقى وفادة سنة 752هـ/1351م، من سلطان بني الأحمر أبي الحجاج يوسف يهنئه على هذا النصر. و قد حمل الوفد رسالة جاء فيها:" وقد كنا لأول ورود هذا الخبر أعطيناه حقه من السرور بمقدمه، وعينا رسولنا الذي أوفدناه على بابكم الكريم لتقرير ذممه. وإلقاء ما يسع استيفاءه عادة مجده وكرمه. ونحن الآن نعيد هناءكم، ونذيع على هذه المحافظة ثناءكم، وإن ذهبنا إلى تقرير ما عندنا من السرور بسروركم.." [2].

وبحكم التقارب الدبلوماسي والجغرافي بين بلاط بني الأحمر و المرينيين، فقد حرص بنو مرين على توجيه الدعم الدائم للمسلمين بالأندلس خاصة الدعم العسكري. وتبادل التهاني والهدايا عند كل نصر يحققه أي طرف. وهكذا شكلت الوفود والسفارات جسرا للتواصل وهو ما ساعد في تأخير سقوط الأندلس. لا سيما لإعتمادهم على شخصيات وعلماء معروفة بحسن إدارة العلاقات بين العدوتين[3].

3/الوفود المشرقية إلى البلاط الزياني: بقيت العلاقات الرسمية وما يرتبط بها من التواصل الثقافي والحضاري بين المشرق والمغرب مستمرة، برغم النكبات التي حلت بعاصمة الخلافة العباسية إثر الغزو المغولي الغاشم. وما لحقها من استدراك للوضع بانتصارات جيوش المسلمين على الصليبيين ، وبداية الشعور بالإنبعاث الحضاري من جديد.

وأما من يخص الوفود السياسية والدبلوماسية فقد كانت وجودها قليلا جدا إلى حد أن المصادر تكاد لا تذكر منها شيئا. وربما يعود سبب قلة الوفود الرسمية بين المشرق والزيانيين في ذلك الوقت يعود للعامل الأمني بالأساس. فالتوافق السياسي موجود إلى حد ما. ويمكن أن يكون ما حدث لوفادة سنة 707هـ/1307م وما أسفر عنه حصار المرينيين لتلمسان واستعادة الزيانيين عافيتهم واستمرار دولتهم على يد السلطان أبي

---

1 ابن الخطيب لسان الدين: الإحاطة في أخبار غرناطة، تح محمد عبد الله عنان،ط2،مكتبة الخانجي ، القاهرة1973 ج1 61.

2 ابن الخطيب: كناسة الدكان،ص86.

3 آمال سالم: السفارات، ص96-97.

حمو موسى الأول. مما نتج عن تلك الظروف انعدام الأمن وانتشار الحرابة وقطع الطريق، ما أدى إلى السطو على تلك الوفادة الرسمية وقطع طريقها ونهبها رغم المرافقة الأمنية لهم من قبل حراس بني عبد الواد[1].

ورغم العلاقات الرسمية بين المماليك والزيانيين ، إلا أن حادثة الحرابة السابقة التي أوقعت الوفادة قد أزمت العلاقات كليا، وهذا هو السبب الظاهر فيما يبدو. أما حقيقة الأمر فإن بعض الدارسين ينسبون التوتر الحاصل بينهما إلى أبعد من ذلك، ويرجعونه إلى كون المماليك لم يقفوا مع الزيانيين أثناء محنتهم في الحصار الطويل الذي ضربه المرينيون على تلمسان وما نتج عنه من آثار اقتصادية وخيمة. ولم يترك المماليك الزيانيين يكابدون شبح المرينيين وحسب، بل كانوا على وفاق تام مع المرينيين ولم يحركوا ساكنا[2].

ولكن العرف الذي يحمده البعض في السياسة أنه لا عداوات دائمة. فقد حمل المماليك في المشرق على استعادة وإحياء العاقات السياسية والدبلوماسية مع الزيانيين. وبدأت بإرسال السلطان الظاهر برقوق لوفادة سنة 799هـ/1397م تتضمن صفقة شراء خيول من المغرب الإسلامي، وبصفة خاصة من السلطان الزياني أبي زيان محد بن أبي حمو. وبالفعل قوبلت تلك الوفادة بالقبول، وحظيت بحسن الإستقبال، وتدعمت الصفقة ببذل عدد معتبر من الخيول المسرجة والأقمشة[3].

4/ الوفود بين دول المغرب الإسلامي والسودان الغربي:

بسبب الموقع الاستراتيجي لبلاد المغرب الاسلامي ، فقد أصبحت حواضره نقاط التقاء التجار والقوافل التي تفد من عدة بقاع في الأرض. فهي تعد ملتقى لتجار ايطاليا وجنوب أوروبا والأندلس. وتلك التجارة القادمة من المشرق الإسلامي والهند.

وبالنظر إلى تلك الأهمية الاقتصادية للعلاقات بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي. فقد جمعت بين دول المغرب الإسلامي وممالك إفريقيا جنوب الصحراء-السودان الغربي- علاقات سياسية ودبلوماسية، أرسل بموجبها سلاطين تلك الممالك عدة وفادات إلى بلاط دول المغرب الإسلامي.

---

1 ابن خلدون: العبر، ج7 709.

2 القلقشندي: صبح، ج8 85.

3 آمال سالم السفارات،ص137.

ومن أشهر تلك الوفادات الوفد الذي ارسله السلطان منسا موسى أثناء حجه سنة 724هـ/24323 إلى السلطان المريني، وطلبه منه حماية قافلته التي مرت بالطريق المحاذي للساحل المغربي[1].

ولم تقتصر وفود المماليك السودانية إلى بلاط دول المغرب الإسلامي على طلب الحماية والإمداد، بل كانت أحيانا وفود دبلوماسية بحتة لتقديم التشكرات أو التهاني بمناسبات معينة. فعلى إثر تمكن السلطان الزياني من تثبيت أركان الدولة الزيانية على تراب المغرب الأوسط، أوفد السلطان منسا موسى وفدا سنة 737هـ/ 1337م إلى البلاط الزياني لتقديم التهاني والتبريكات[2].

وكان من عمل العادة ، أن يرسل السلاطين الجدد في ممالك السودان بوفود إما لتهنئة نظرائهم الجدد في المغرب الإسلامي، أو لتقديم أنفسهم باعتبارهم سلاطين جدد، مستمرين في كسب ود وولاء البلاط المغربي.

ويذكر ابن خلدون في هذا الشأن أن السلطان الجديد في مملكة مالي منسا ماري جاطة الثاني(762-776هـ/1360-1374م) الذي خلف السلطان المتوفى منسا سليمان أنه بعث وفودا و هدايا للبلاط المريني، ووصف ابن خلدون حجم الهدايا التي حملت ضمن الوفادة ومنها:" .. حيوان الزرافة الغريب الشكل، العظيم الهيكل، المختلف الشبه بالحيوانات"[3].

وفي الوقت الذي استولى فيه بنو مرين على تلمسان وتونس سنة 748هـ/1348م استغل السلطان المالي منسا سليمان الوقت وسارع لبعث وفد من قبله إلى السلطان المريني أبي الحسين لتقديم التهاني والتبريكات بهذه المناسبة التي يراها فتحا مبينا[4].

وفي الأخير، نستنتج أنه في خضم هذه الأوضاع السياسية المضطربة ، مدى اهتمام السلاطين في المغرب الإسلامي والأندلس بتخفيف حدة الصراع. وهو ما يبرز عنايتهم بالجانب الدبلوماسي، ويفسر لنا سبب اختيارهم للعلماء لآداء المهمات، وقد تمكن أغلبهم من النجاح في سفاراته خاصة تلك المتعلقة بالصلح.

---

[1] آمال سالم السفارات ص136.

[2] آمال سالم: السفارات،ص137.

[3] ابن خلدون: العبر،411/6.

[4] أمال سالم عطية:السفارات، ص137.



الفصل الثاني: الدور الإجتماعي للوافدين على بلاد المغرب الإسلامي

المبحث الأول: عناصر المجتمع ببلاد المغرب الاسلامي.

المبحث الثاني: الوفود الأندلسية بصفة عامة، الطبائع والخصائص.

المبحث الثالث: وفود الأطباء الى بلاد المغرب الاسلامي ودورهم الاجتماعي.

من المؤكد أن التأثيرات الأندلسية في مجتمع المغرب الإسلامي كانت بارزة وشاملة. إذ تمكن الوافدون من أن يصيروا ضمن النسيج العمراني والإجتماعي والثقافي الذي يتشكل منه المجتمع المغربي. وصار لهم دور غير كثيرا من الملامح في عدة مجالات. فأثروا في الطابع الإجتماعي العام ووضعوا بصمتهم الأندلسية الراقية، واندمجوا في المجتمع، ومما ساعدهم على ذلك قرب البيئة الطبيعية والبشرية في المغرب الإسلامي وتشابهها مع بيئة الأندلس.

المبحث الأول:عناصر المجتمع ببلاد المغرب الاسلامي:

1/ البربر:

وبحكم أن البربر هم السكان الأصليون لشمال إفريقيا، فقد كونوا العنصر الغالب على سكان المغرب الإسلامي، لأنهم أكثر استقرار وتشبثا بالأرض. وهم كما وصفهم ابن خلدون ينتمون إلى عدة عناصر قبلية أشهرها :" مغراوة وبنو يفرن وبنو توجين وبنو راشد وبنو مصاب و بنو زردال وبنو عبد الواد الزيانيون الذين اتخذوا من تلمسان عاصمة لهم أثناء القرون 8 7 9هـ. وجيل زناتة هذا من البرابر المستعربة، "[1].

فقد كان للبربر اسهاماتهم التي لاتنكر في خدمة الإسلام وإعلاء صرح الحضارة الإسلامية ، وكان لهم دور كبير في إكمال فتوح بلاد المغرب، وفتح بلاد الأندلس على يد قائدهم طارق بن زياد، وعلى أيدي قبائلهم قامت عدة دول في الشمال الإفريقي.

وبحكم الإستقرار الدائم والحراك القبلي البربري بين حواضر المغرب الإسلامي، فقد كان من الطبيعي أن ينفتح هذا العنصر على العناصر الوافدة، ويستفيد من تجاربهم وخبراتهم. وبإمكاننا أن نعتبر هذا التعايش بين مختلف العناصر الوافدة سمة بارزة في مجتمع المغرب الإسلامي، ومظهر قوة ونقطة تحول وتطور.

وقد غلب على معظم حواضر المغرب العنصر البربري مثل فاس ،ومراكش وبجاية خاصة في حاضرة تلمسان، حيث ظهرت فيها طبقة ميسورة تصدرت المجتمع التلمساني، في الفترة محل الدراسة، وتبوأت القيادة والمخزن، وامتهنت الوظيف، واحترفت الصناعة والتجارة [2].وهذا أمر طبيعي بإعتبار أن البربر أسسوا مدنا وحواضر وأقاموا عدة دول لهم نذكر منها الرستمية،والزيرية،والحمادية ،ودولة المرابطين والموحدين...

---

[1] ابن خلدون :العبر ،ج7 74؛ الأخضر عبدلي: الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان(633-962هـ/1236-1554م)،أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ ، جامعة أبي بكر بلقايد،تلمسان،1425-1426هـ/2004-2005 34-35.

[2] فيلالي عبد العزيز: تلمسان، ص 171.

2/ العرب:

منذ الفتوحات الإسلامية الأولى، خاصة على يد القائد موسى بن نصير، الذي جعل من منطقتي طنجة وتلمسان إقليما إداريا وحدا، وعين عليه طارق بن زياد . فقد كانت بعض الأسر العربية تعمل تحت إمرة طارق بن زياد وبعض أفرادها كمستشارين، كانوا يقيمون معه في تلمسان، وإن كان يصعب معرفة معلومات عن الإنتماءات الجغرافية لتلك الأسر المشرقية، وللقبائل التي استقرت بها[1].

يضاف الى ذلك هجرة القبائل العربية مع الفتوحات والتي استقرت في منطقة بلاد المغرب الإسلامي خاصة في القيروان وما رافقها من انتشار لظاهرة المصاهرة مع قبائل المنطقة ، ومما ساعد في ذلك التشابه الكبير في العادات والتقاليد ونمط العيش، وهو ما سهل من طبيعة الإندماج ، ونتج عن ذلك ظهور جيل جديد عرف بالبلديين أو المولدين، وهذا الإنصهار ظهر تأثيره باكرا .وبذلك تم تعريب الثقافة التي أصبحت تستخدم اللغة العربية كأداة للتواصل [2].

وبفعل استمرار الهجرات العربية الى بلاد المغرب ، بدأت المنطقة في التعرب تدريجيا، خاصة في أوساط القرن الخامس الهجري، عندما نزح بنو هلال وأحلافهم من العرب المستوطنين،الى جميع نواحيه الشرقية والجنوبية والغربية. وقد دخلت الكثير من القبائل العربية الى المدن، واختلطوا عن طريق الزواج و المصاهرة، كما فعلت القبائل الزناتية قبلهم، وهكذا اندمج هؤلاء العرب شيئا فشيئا حتى صاروا من أهل الحل والعقد[3]. والملاحظ أن هناك جيوشا كبيرة وقبائل مشرقية كثيرة ، جاءت أثناء عملية الفتوح، واستقرت ببلاد المغرب الإسلامي ، ولكن أغفلتها النصوص التاريخية[4].

ومن المهم الإشارة الى أن معظم القبائل والجيوش التي قدمت الى بلاد المغرب، كانت تتكون في أغلبها من العرب اليمنية والمضرية[5]. فالفاتحون الأوائل رغم أن عددا منهم كان يستمر في الفتح الى مناطق الأندلس. أو يرجع الى المشرق، إلا أن عددا كبيرا منهم آثر الاستقرار ببلاد المغرب. إما لتدريس علوم الدين واللغة العربية، أو حتى الإنصراف الى الحياة الإجتماعية، والإنصهار في بوتقة المجتمع المغربي الجديد. وهذا ما

---

1 فيلالي عبد العزيز: تلمسان، ص 172.

2 أحمد العثماني: قصة تعريب بلاد المغرب، مجلة دراسات تاريخية ،العدد 334، ماس2015 4 83.

3 شاوش رمضان: باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة بني زيان،تح الحاج الغوثي بن حمدان،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر2011 1 359.

4 فيلالي عبد العزيز، المرجع السابق ، ص 172.

5 نفسه.

أضفى روحا جديدة ودما جديدا، تمازج مع الدم البربري. وأنتج ثمارا طيبة، تعتز بالأصل وتفتخر بالدين الواحد، وتطور اللغة العربية. ولا يخفى علينا ما قدمه علماء البربر في هذا المجال.

وأما بالنسبة للوافدين الجدد إلى إفريقية الحفصية من الشرق الإسلامي، فقد كان عددهم مرتبط هو الآخر بحركة العرب التي وفدت على المنطقة في أوقات مختلفة، من التجار أو المحبين للمغامرات [1].

3/الأعلاج– الصقالبة: وفدوا على بني زيان واستخدموهم في بلاطهم، كغيرهم من الدول الإسلامية المتعاقبة في بلاد المشرق والمغرب والأندلس. وهم عناصر من جنسيات أوروبية مختلفة، يجلبون من ألمانيا وايطاليا وفرنسا وقطلونية وجليقية في شمال إسبانيا، بواسطة الشراء أو الغارات أو الغزوات للشواطئ الأوروبية وجزر البحر أو عن طريق الهدايا[2].

وقد وصل هؤلاء العلوج(الأعلاج) إلى رتب مرموقة في البلاط، وقد قاموا بدور هام وكبير في المناصب القيادية العسكرية والمدنية السامية، ومن الأمثلة في هذا الصدد ارتقاء " القائد" نبيل ذي البأس والقوة، ثم سقوطه في منتصف القرن ال15م. ومن ناحية أخرى فقد كان ملحقا بالسلطان بصورة شخصية طبيب أو عدة أطباء وظفوا في البلاط وكانوا من أصول صقلبية أو أوربية [3].

وبرز منهم في تلمسان مجموعة كان لها مركزها السياسي والإجتماعي في المجتمع التلمساني، بحيث شكلوا فريقا مهما من القادة والضباط من الجيش الزياني مثل القائد مسامح، وفرج بن عبد الله وظافر مهدي وعلي تاكرارات[4].

4/الغز– الأغزاز: هم عبارة عن قبائل تركية كانت تقطن مناطق في أواسط آسيا من أطراف الصين شرقا إلى البحر الأسود غربا. واشتهر منهم جماعة من الرماة في الجيش الموحدي[5].

ويطلق عليهم المؤرخون المغاربة اسم "الغز" أو الأغزاز" . ويبدو أن جالية الأغزاز قد حلت ببلاد المغرب على عدة مراحل، وفي فترات زمنية متعاقبة. فتذكر الروايات أن الوفود الأولى منهم وصلت بلاد

---

1 برونشفيك: افريقية، ج2 161.

2 ابن خلدون: العبر، ج7 236؛ عبد العزيز فيلالي: تلمسان، ص183-184.

3 برونشفيك: افريقية، . 2 . 48-49.

4 ابن خلدون: العبر، ج7 236.219497؛ يحيى بن خلدون: بغية الرواد، ج1 214491؛عبد العزيز فيلالي: تلمسان، ص183-184.

5 هوبكنز: النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى ،تر توفيق أمين الطبي، الدار العربية للكتاب ،ليبيا،1980 84 149-150؛عبد العزيز فيلالي: تلمسان، ص180.

المغرب في عهد يوسف بن تاشفين(450-500هـ/1088-1106م) الذي يعد أول من أدخل الأغزاز الرماة إلى جيشه سنة 454هـ/1062م[1].

وهناك رواية أخرى ترى أنهم توافدوا مع بداية التوسع الموحدي على عهد عبد المؤمن (524-558هـ/1129-1162م) الذي لم يتوان في ضمهم إلى الفرقة العسكرية، واستولى بهم على افريقية سنة 553هـ/1158م[2].

أما عن أثرهم الإجتماعي ببلاد المغرب الإسلامي عامة وفي تلمسان خاصة فغير واضح. لأنهم بمرور الزمن اندمجوا تدريجيا في المجتمع التلمساني وانصهروا ، وأصبحوا يشكلون أقلية ، فتأثر أولادهم بطبائع أهل تلمسان، وتخلقوا بأخلاقهم وعاداتهم ونمط عيشهم[3].

5/ الوافدون من الأندلس وأهم المدن التي اسقرا بها:

منذ بدايات القرن 6-7هـ ونتجة الترابط السياسي بين المغرب والأندلس، عرفت بلاد المغرب الإسلامي عامة قدوم كثير من الوفود والهجرات، فردية كانت أم جماعية. برز فيها كثير من العلماء وأصحاب الحرف والصنائع. واستقر كثير منهم بتونس والمغرب الأوسط. لما وجدوا من أسباب العيش الكريم. فساهموا بقسط كبير في التنوع الإجتماعي، وتنمية الحركة العلمية والاقتصادية ، وأصبحوا من ركائز المجتمع المغربي.

كما وفدت جموع عظيمة إلى المغرب الأقصى، واستوطن معظمهم مدينة فاس وسلا والرباط. وشيدوا هناك القصور والدور والحمامات، ونقلوا إليها كل مظاهر الحضارة الأندلسية، سيما فنون البناء والنقش. حيث كان لهم نشاطا ملحوظا في الصناعات والحرف. وكان من نتائج ذلك أن جند منهم ملوك المغرب جيوشا كثيرة. فساعدوا على قيام نهضة علمية وفنية بالمغرب الأقصى[4].

وقد قدموا إما رغبة في الإستقرار نظرا لعدة عوامل جاذبة، أو بسبب الإضطرابات والقلاقل التي حصلت في الأندلس في العهود الأخيرة. والتجأوا إلى تلمسان وغيرها من حواضر المغرب الأوسط. وكان هؤلاء أهل حضارة عريقة في العلوم والفنون والصنائع فنشروا حضارتهم في المدن التي نزلوا بها [5].

---

1 عبد العزيز فيلالي: تلمسان، ص180.

2 نفسه.

3 نفسه0 1831.

4 هوبكنز: النظم الإسلامية 233.

5 حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين،ط1،مكتبة الخانجي،مصر 1980 ص135.

ولعل أكبر جالية أندلسية نزلت بتلمسان هي تلك التي كانت في عهدي الأميرين عبد الواحد بن أبي عبد الله(714-827هـ/1411-1424م)وخلفه أبي العباس أحمد الزياني(83-862هـ/1431-1462م) وقد استقبلهم هذا الأخير بحفاوة، ووجههم حسب طبقاتهم وحرفهم، فالعلماء والوجهاء أنزلهم عاصمته تلمسان، وأنزل التجار والحرفيين وأصحاب رؤوس الأموال في درب خاص بهم، عرف بدرب الأندلسيين[1].

ولما نزلوا بتلمسان وجدوها تشبه كثيرا مدن الأندلس نظرا لكثرة مياهها وبساتينها وصناعها فوجدوا فيها تعويضا عما تركوه في مدن العدوة الأندلسية، فقد كان من بينهم عدد كبير من الفلاحين والصناع والحرفيين الذين انتشروا بأراضي المغرب الأوسط، وشيدوا به قرى وبساتين. كما أسسوا مصانع ومناجم كثيرة، وعملوا في الحقول والمزارع[2].

وكان هؤلاء الأندلسيين الوافدين إلى تلمسان قد استوطنوا في نواحيها حسب مكانتهم الإجتماعية. والظاهر أن تلك الجالية الأندلسية بتلمسان لم تكن عبئا اجتماعيا على الدولة بل باشروا فور استقرارهم بناء مساكنهم، وزراعة أراضيهم، وإظهار مهنهم وصناعاتهم[3].

و لم يقتصر ذلك على الوافدين إليها من الأندلس بل إن كثيرا من الناس كانوا يأتونها من كل قاصية للإستقرار بها وظل النزوح مستمرا إليها في عهد بني زيان. ذلك لأن التحرك بين أجزاء المغرب والعالم الإسلامي بصفة عامة، والرحلة في طلب العلم والوظيف والتجار كانت من الأمور المحمودة عند المسلمين. حتى صارت مدينة تلمسان تعج بالعلماء والطلاب والتجار وأرباب المهن[4].

ومن الدوافع لتلك الوفود القادمة لبلاد المغرب نذكر أيضا تطلعهم الى إيجاد وضع إجتماعي ملائم معيشيا لهم ولعوائلهم. لذا فقد وجدوا في فرصة الإنتقال إلى تلك الحواضر المشهورة مجالا خصبا لتحقيق ذواتهم اجتماعيا ومعرفيا. وما تلمسان إلا خير مثال على ذلك، وليس على سبيل الحصر.

---

1 سكاكو حورية: التحولات،ص223.

2 عبد الحميد حاجيات: تطور العلاقات بين تلمسان وغرناطة في العصر الوسيط، مجلة عصور الجديدة،ع2 38-39.

3 مختار حساني: تاريخ الدولة الزيانية،ج3 7939-77.

4 عبد العزيز فيلالي: تلمسان، ص171.

كما ساهمت بعض الوفود التجارية الأندلسية في تشييد مدينة وهران، حيث قامت جماعة منهم ببنائها سنة 290هـ/903م وذلك بالإتفاق مع العشائر المحلية القريبة منها كبني مسقت من أزداجة فاستوطنوها[1].

وقد جاء ذكر مدينة مستغانم في كتابات المؤرخين ضمن الأماكن الهامة التي احتضنت المهاجرين الأندلسيين بالمغرب الأوسط سيما رجال البحر الثغريين الذين كان لهم خبرة في خوض غمار البحر وصناعة السفن. وقد وردت هذه المدينة في مرتبة هامة من بين المدن التي استوطنها المهاجرون الأندلسيون بالمغرب الأوسط[2].

وكذلك وفد عدد كبير منهم ونزلوا بشرشال التي أعادوا بناء عدد من دورها وجددوا القلعة ، ووزعوا الأراضي بينهم. ثم صنعوا الكثير من سفن الملاحة. واستقلوا بصناعة الحرير. إذ وجدوا هناك كمية لا تحصى من أشجار التوت الأبيض والأسود[3].

كما تعتبر مدينة تنس من أهم الأماكن التي وفد إليها الأندلسيون. وتذكر المصادر التاريخية أن جماعة من الصيادين الأندلسيين قاموا ببناء هذه المدينة سنة 263هـ/875م، فوق ربوة كانوا يترددون إليها لقضاء فصل الشتاء. ثم سكنوها واستقروا بها وأولعوا بصيد السمك، وكانوا يستعملون المراكب الشراعية، ومن ثمة انتشرت حرفة صيد السمك بالمنطقة[4].

ويؤكد بعض المستشرقين أن جماعة من المغامرين الأندلسيين كانت تفد إلى بلاد البربر وينصبون خيامهم هناك، إلى أن بنوا حصنا ومدينة صغيرة ،كانت مدينة تنس مما خلفه هؤلاء الأندلسيون [5].

وقد كان رسم المدينة في البداية على شكل سوق يأتيه الناس من كل مكان وبسبب شهرته وكثرة أرباحه فإن ذلك كان دافعا للتجار الأندلسيين إلى بناء قلعة "تنس" لتكون سكنا لهم[6].

---

[1] البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص 70؛ فهيمة حناش: العلاقات بين المغرب الأوسط والأندلس،ص48.

[2] عبد المجيد قدور: هجرة الأندلسيون الى المغرب الأوسط ونتائجها الحضارية خلال القرنين (10-11هـ)،رساله ماجستير،جامعة الأمير عبد القادر ، قسنطينة 17411.

[3] حوريةسكاكو: التحولات،ص223.

[4] عبد المجيد قدور: هجرة،ص175.

[5] مويس لومبارد: الإسلام في مجده الأول،ص101.

[6] البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص 63.

ويؤكد الباحث عبد المجيد قدور أن مدينة عنابة كانت مقصد الأندلسيين أيام الرخاء وأيام الشدة، حيث استقبلت وفود المهاجرين الأندلسيين بعد طردهم نهائيا من إسبانيا. ويرجح أن يكون أغلبهم من أشراف الأندلس. وهم العرب الذين عبروا إليها ويعود نسبهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم[(1)].

وصارت مدينة دلس في ولاية أمير أندلسي، وبفضل أولائك الوافدين الذين جاؤوا إليها بأعداد غفيرة[(2)]. أصبحت الفلاحة بها مزدهرة، إضافة إلى ذلك، فإن السطلة بها تولاها أحد الأمراء الوافدين وهو ما كان له بالغ التأثير بما يحملونه من ثقافة وعادات أندلسية في سكان هذه المدينة من البربر[(3)].

وتلقت مدينة قسنطينة حظا وافرا من الوفود الأندلسية ، لا سيما أولئك الذين قصدوها أيام الحماديين ببجاية. ثم في أيام الدولة الحفصية أما في العهد التركي فقد أصبحت قسنطينة تأتي بعد مدينة الجزائر في الأهمية، وقد وفدت إليها عائلات أندلسية قدمت من عنابة وبجاية وتونس[(4)].

والملاحظ أن تنظيم الجالية الأندلسية ببجاية يرجع إلى أواسط القرن ال7ه، أين كانت الجالية محكمة الهيكلة، إذ يوجد على رأسها شيخها وكبيرها الفقيه ابن محرز، من أهل بلنسية (ت655ه/1258م) الذي تسمى أيضا برأس الجماعة الأندلسية ببجاية[(5)]. حيث تواصل تنظيمهم بالمدبنة في العهد الحفصي، وكونوا مجموعة حضرية قادت حركة الاستقلالية بالمدينة سنة 761-765ه/1359-1363م وبرزت في هذه الظروف خطة العريف، وهي خطة قيادية للحركة التي تستند إلى فئات العامة. أو الغوغاء وأهل الشطارة ، وتستهدف الهياكل التقليدية من شيوخ الموحدين وسلطة بني حفص عامة[(6)].

ويلاحظ أن التوافد الأندلسي بحاضرة بجاية صار كثيفا، وبأعداد متزايدة خلال القرن ال7ه، نتج عن ذلك الوضع تواجد عائلات أندلسية كاملة منظمة ومترابطة ومتضامنة مع بعضها، متمسكة بعاداتها وثقافتها وكيانها الخاص بها ، مكونة عنصرا جديدا من العناصر السكانية للمجتمع البجائي. وكأنهم بذلك

---

[1] عبد المجيد قدور: هجرة،ص186.

[2] محمد طمار: الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج،المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع،1983 147.

[3] ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2 90؛ عبد المجيد قدور: هجرة،ص167؛

[4] عبد المجيد قدور: هجرة،ص167.

[5] محمد حسن: البادية والمدينة،ص588.

[6] نفسه.

يرفضون الإندماج الكامل مع غيرهم من السكان الأصليين، محافظين على هويتهم الأندلسية والثقافية والإجتماعية[1].

وقد جاءت أعداد كبيرة من الوفود الأندلسية وحلت بمدينة تونس. ويشير إلى ذلك المؤرخ التونسي ابن أبي دينار بقوله:" وفي هذه السنة (1017هـ/1608م) والتي تليها ، جاءت وفود الأندلس من بلاد النصارى نفاهم صاحب إسبانية، وكانوا خلقا كثيرا. فأوسع لهم عثمان داي في البلاد، وفرق ضعفاءهم على الناس. وأذن لهم أن يعمروا حيث شاؤوا، فاشتروا الهناشير، وبنوا فيها، واتسعوا في البلاد فعمرت بهم. واستوطنوا في عدة أماكن.."[2]. وأصبحوا يشكلون جاليات كثيرة في البلاد، فاستخدموا ذوقهم وخبرتهم المعمارية والزخرفية في البناء الجديد[3].

أما عن تنظيم الوافدين بمدينة تونس، فقد كان محكما بدوره، رغم النزاعات التي تطفوا من حين إلى آخر بين أفرادها. فمنذ القرن ال7هـ، ظهرت أحياء خاصة بهم داخل أسوار المدينة، بزقاق الأندلس، وفي الأرباض بحي الأندلس المجاور للحلفاويين. كما توجد إشارات أخرى تدل على تواجدهم بشرق الركاض-والكلمة من أصل قشتالي وتعني السوق- وقرب باب خالد حيث زاوية الجليزي[4].

وقد شكل السكن عائقا أمام استقرار الأندلسيين بمدينة تونس. حتى أن بعض المهاجرين والوافدين فضلوا التنقل بمفردهم إلى مدينة تونس لتوفير المسكن وترك عائلاتهم بالأندلس. ولا يستقدمونهم إلا بعد تهيئة مقر النزول[5].

وشملت العلاقات الغجتماعية حالات الزواج النادرة التي عثر عليها حول زواج التونسيات من الأندلسيين. ذلك أن التشاور الذي كان قائما بين أهل مدينة تونس وأهل الأندلس، لحل مسائل تخص المرأة يمثل دليلا آخر على أهمية الزيجات المشتركة بين الطرفين التي أدت تدريجيا إلى انصهار مهاجري القرن ال7هـ، ثم ال8هـ وال9هـ في صلب المجتمع التونسي، وذوبان الخصوصية التي كانت قوية في البداية[6].

1 محمد سعداني: الأندلسيون،ص208.
2 المرجع نفسه،ص157.
3 حورية: التحولات،ص225.
4 محمد حسن: البادية والمدينة،ص581.
5 المرجع نفسه،ص588.
6 محمد حسن: البادية والمدينة،ص591.

6/ أهل الذمة (اليهود والنصارى):

6-1/ اليهود:

ا/الوجود اليهودي بالمغرب الاسلامي:

يعود وجود اليهود في المغرب الإسلامي الى عصور غابرة موغلة في القدم. وتحدد وصولهم مع الفينيقيين الذين أسسوا مدينة قرطاجة. وتذهب بعض الآراء الى أن اليهود وفدوا قبل ذلك ، وهؤلاء هم الذين أسسوا للجالية اليهودية في بلاد المغرب [1].

ومن الملاحظ أن الفاتحين المسلمين الأوائل لبلاد المغرب وجدوا مجموعات قليلة من اليهود منتشرين عبر أرجاء المغرب. لا يمثلون قوة اجتماعية لها وزنها.. ولكن بتقدم الفتح الإسلامي ، بدأت التجمعات اليهودية تزدهر بحكم طبيعة النظام الإسلامي المتسامح مع الديانات السماوية كاليهودية والمسيحية [2].

ب/وفود اليهود على حواضر المغرب الإسلامي:

كانت منهم أقليات بأعداد قليلة مستقرة بحواضر المغرب الإسلامي كما أشرنا، وبالنظر الى الإضطهاد الذي عانوا منه في أوروبا ، فقد أخذت أعداد كبيرة منهم في الهجرة والوفود على حواضر المغرب الاسلامي، وخاصة مدينة تلمسان. حيث استقبلهم السلطان الزياني أبو حمو موسى الثاني، وأنزلهم بالربط من أجادير ، وبقوا هناك مدة من الزمن يباشرون شعائرهم الدينية، وأعمالهم اليومية[3].

توالى وفود اليهود الى المغرب الأوسط بعد نكبة المسلمين إثر سقوط آخر المعاقل الإسلامية بشبه الجزيرة الآيبيرية. حيث استقبلت الموانيء عددا معتبرا من الهاربين من محاكم التفتيش ، ونخص منهم هنا عنصر اليهود[4].

وانتقلت شخصيات وعائلات يهودية مشهورة إلى المغرب الإسلامي منها الحاخام عمرالذي أقام بوهران منذ عام 1391م. ويعقوب كاسينتو ويعقوب ساريبورتاس اللذين احتلا مواقع كمترجمين وجواسيس[5].

---

[1] مسعود كواتي: المرجع السابق 34.

[2] المرجع نفسه،ص83-81.

[3] الأخضر عبدلي: الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط 3781.

[4] وهراني قدور وحفيظة بن داود: هجرة يهود الأندلس إلى المغرب الأوسط،مجلة العبر للدراسات التاريخية،جامعة بن خلدون ، تيارت ، العدد1 7 2018 .111.

[5] عيسى شنوف: يهود الجزائر 2000 سنة من الوجود، دار المعرفة، الجزائر 7 44.

ومن العائلات اليهودية ذائعة الصيت أيضا نذكر: جوزيف بن منير وميمون بن سعدية النجار بقسنطينة وسعدية بن دارمو بالمدية وإبراهيم بن هاكون بتلمسان، وبنجامين عمار وموسى غباي ببجاية[1]وغيرهم.

أما عن ظروف اليهود الذين وفدوا على تلمسان وأقاموا بها، فإن ظروفهم عرفت تحسنا كثيرا حيث أصبح لهم مقبرتهم الخاصة بهم، ورئيس يدير شؤونها يدعى شيخ اليهود ويمثل همزة وصل بين السلطات والرعايا اليهود [2].

ويذكر الحسن الوزان أنه كان لهم حارة خاصة بتلمسان تضم حوالي 500دار كلهم أغنياء، يضعون عمائم صفراء [3]. ويوضح عبد العزيز فيلالي أن علاقة الوافدين الجدد بالجالية اليهودية القديمة بتلمسان لم تكن منسجمة بسبب اللغة والعادات والمفاهيم الإجتماعية والمنافسة الإقتصادية[4].

وتوطدت العلاقات أكثر خلال فترة حكم أبي العباس أحمد العاقل ت 866 هـ/ 1462 م الذي منحهم قطعة أرض(المرجة) قرب أسوار المشور حيث استقروا وأصبحت تدعى هذه الأرض بدرب اليهود، إضافة إلى تمتعهم بالحرية الدينية والتجارية[5]. كما وفرت الدولة الزيانية الأمان والضمان وذلك ضمن حقوقهم التي كفلتها لهم الشريعة الإسلامية في مقابل ذلك إلزامهم بالقيام بالواجبات، وأبرزها دفع الجزية كشرط من شروط عقد الذمي. ويذهب عيسى شنوف في كتابه" يهود الجزائر 2000سنة من الوجود" إلى القول بأن الوافدين لم يكونوا كلهم من الأندلس فقط، ونما من دول أوروبية أخرى كذلك[6].

كما سكن اليهود الوافدون إلى المغرب الإسلامي، مدينة تونس التي كانت بها جالية منذ القدم، وقد نعمت بالرخاء، ولكن ذلك الوضع تغير في عهد الموحدين. إذ فرض عليهم المنصور سنة 595هـ/1195م الشكلة وجعل قمصانهم طول ذراع في عرض ذراع، وجعل لهم برانس وقلانس زرقاء، وذلك للتمييز بينهم وبين بقية سكان تونس[7].

---

1 وهراني قدور: هجرة يهود الأندلس،ص114.

2 فيلالي عبد العزيز: تلمسان في العهد الزياني،ص194.

3 الوزان محمد بن الحسن:وصف إفريقيا ، تر :محمد الحجي ومحمد الأخضر،دار الغرب الإسلامي بيروت،ط2 1983 2 20.

4 فيلالي عبد العزيز: تلمسان في العهد الزياني،ص194.

5 طهارة فؤاد: جوانب من الحركة العلمية والثقافية الى حاضرة فاس خلال العهد المريني(646-869هـ)، مجلة دراسات تاريخية،عدد6،حزيران 2020- ص 62 .

6 شنوف: يهود الجزائر، ص27.

7الزركشي محمد بن ابراهيم: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية،تح: محمد ماضود،ط2، المكتبة العتيقة،تونس1933 16 ؛ مسعود كواتي: اليهود،ص110.

و خلال القرن الثامن والتاسع للهجرة، كثرت وفود اليهود والنصارى إلى بلاد المغرب الأوسط، لاسيما بعد سقوط غرناطة 1492 فانتشر أهل الذمة في مختلف مدنه من أقصى الشمال إلى تخوم الصحراء، واستوطنوا المراكز التجارية، تلك التي تربط بين شمال إفريقيا والسودان الغربي[1]. كما استقروا أيضا في المناطق الداخلية مثل قسنطينة ومليانة وتلمسان والمدية ووهران ومستغانم وتنس[2].

ج/ اندماج اليهود اجتماعيا:

في أواخر الحكم الموحدي تحسنت أوضاع اليهود، وفتحت من جديد معابدهم وكنائس النصارى. وازدهرت تجارتهم وكثرت العائلات والمجموعات اليهودية نذكر منها عائلة الحبر موسى الغدامسي التي استقرت بمنطقة بين طرابلس وتونس سنة 625هـ/1211م[3].

ويشير بعض الباحثين الى أن اليهود قد اندمجوا في الحياة الإجتماعية لسكان توات، وقد تجمعوا في قرى عديدة من هذا إقليم وعاشوا بين السكان المحليين ولم يتعرضوا للإضطهاد في تلك المناطق، وقد كثر عددهم في وسط الإقليم خاصة تمنطيط[4].

وأصبح لباسهم مثل لباس المسلمين في الغالب) إلا أنه في بعض الأوقات فقط و لتعيينهم يفرض عليهم لباس معين. ففي العهد الموحدي أمر الأمير أبو يوسف يعقوب المنصور حوالي سنة 595هـ/1193م " أن يميز اليهود بلباس يختصون به دون غيرهم. وذلك بثياب كحلية وكمام مفرطة السعة تصل إلى قريب من أقدامهم، وبدلا من العمائم كلوتات"[5].

غير أن عملية التمييز هي عملية إرادية قد اختارها أهل الذمة وإن بدت للبعض مشينة فالهدف منها هو " التسهيل على والي المظالم مراقبة المناكير والملاهي. وحتى لا يتعرض أهل الذمة إلى العقوبة وإلى أشياء مرخص لهم فيها. طبقا لما تعهدت لهم به دولة الإسلام من ممارسة حريتهم الدينية وحقوقهم الاجتماعية[6].

---

[1] نور الدين بوكرديد: أحكام الربح بين الإقتصاد الإسلامي و الإقتصاد الوضعي، أطر وحة دكتوراه ، تخصص أصول الفقه، جامعة الجزائر2005-2006- ص 416.

[2] شنوف: يهود الجزائر،ص27.

[3] سميرة نميش: أهل الذمة،ص47.

[4] Jacob Oliel,De jerusalem a tombtououc, L odyssee du rabin Mardochee , p 28.

[5] المراكشي: المعجب،ص304؛ مسعود كواتي: المرجع السابق4 1213.

[6] مسعود كواتي: المرجع السابق 123.

وتشير بعض المصادر الى أن ابنة أحد السلاطين الزيانيين قد مرضت، وعجز الأطباء المسلمون عن معالجتها وكان من بين الوافدين على تلمسان من اليهود حكيم يدعى" أفرايم انكاوة" فعالجها فشفيت، فسأله الملك عن ما يستحقه من الجزاء. فأجابه بأن يسمح لليهود بالنزول داخل تاغرارات، فأذن بالنزول بالمكان الذي كان معروفا بالمرجة. قرب أسوار المشور ، فبنوا حيا خاصا بهم[1].

والمتأمل يلاحظ أن اليهود القاطنين والوافدين على حد سواء، عوملوا معاملة أهل الذمة. وقد قابل هذه السياسة المبنية على التسامح تجاوزات في الحياة الإجتماعية والإقتصادية، كان لها الأثر السيء على اليهود. ولكن ذلك كان يخضع لمدى تمسك حكام كل دولة تعاقبت على حكم المغرب [2].

لكن في الغالب الأعم تمتع اليهود في المغرب الإسلامي بالسكن في أكثر المدن المغربية. حيث اجتمعوا في أحياء خاصة بهم، يطلق عليها اسم الحارة التي تردف كلمة الحومة وتعني الحي[3]. وهذه التسمية لا ينبعث منها الوازع العنصري، وإنما هي كناية عن ساكنيها، مثل بقية الأحياء الأخرى الخاصة بالقبائل، كحي الفهريين وحارة القريشيين وحارة القرامطة [4].

ويفسير اجتماعهم في حي واحد، باعتبار أن الأقليات كانت تتجمع في المدن بأحياء خاصة لكي لا تحس بالغربة. فالعادات والتقاليد والمميزات المشتركة تساعدها على الانسجام فيما بينها. [5].

ويؤكد المراكشي أن اليهود اعتنقوا الدين الإسلامي، ومارسوا حياتهم الإجتماعية والإقتصادية بكل حرية، ووفق ما نصت عليه الشريعة الإسلامية [6]. وتؤكد بعض الحالات المذكورة في المصادر أن نزول اليهود في أحياء المسلمين والإقامة بها دون حرج أو مضايقة. اذ حافظ الجار على حسن الجوار بعدم مضايقتهم... مما يبين التسامح الذي كان يعامل به أهل الذمة. خلافا للمعاملة السيئة التي كان يتعرض لها اليهود في أوروبا، أثناء العصور الوسطى من قبل الحكام المسيحيين[7].

---

1 شاوش محمد بن رمضان: باقة السوسان،ص363-365.

2 مسعود كواتي: اليهود، ص113.

3 المرجع نفسه، ص116.

4 الونشريسي: المعيار، ج3001111-301 ؛ مسعود كواتي: المرجع السابق 11911 .

5 مسعود كواتي: اليهود ،ص116.

6 المراكشي: المعجب ،ص304-305.

7 مسعود كواتي: اليهود ،ص119.

والملاحظ أن فئات وطبقات اليهود الوافدين على حواضر وبوادي المغرب الإسلامي من الأندلس، كان فيهم عديد الطبقات مثل الجنود والساسة والأسرى والنساء والأطفال. واستقروا بالمناطق الساحلية والداخلية، وتمكنوا من الإختلاط بسكان المنطقة بالصداقة والمصاهرة، فتأثروا بهم وأثروا فيهم [1].

د/ احتفال اليهود الوافدين بأعيادهم:

رغم قلة المادة اللتاريخية التي تثبت احتفال يهود المغرب الإسلامي بأعيادهم. إلا أن الونشريسي حفظ لنا وثيقة تبين احتفال اليهود بأعيادهم في مواسم معينة والوثيقة هي عبارة عن فتوى قدمت للقاضي أبي عبد الله بن الأزرق. مفادها أن اليهود يعملون طعام من رقائق في عيد لهم يدعى عيد الفطر، ويهدونها لبعض جيرانهم المسلمين[2].

وتشير بعض المصادر الى أن تلك أعياد المغرب الإسلامي بصفة عامة في تلك الفترة، كانت أيام تبث فيها المكارم بثا ويفيض الإحسان فيضا حيث كثر جمع الأموال، واغتنى الناس ، وأقبلت الدنيا فسعدت بجميع خدامهم[3]ومنهم اليهود.

كما لعب يهود المغرب الأوسط في الدولة العبد وادية دورا في حل النزاعات بين اليهود الأهالي واليهود المهاجرين من الأندلس الوافدين على بلاد المغرب الأوسط .كما كان لهم دور في حل النزاعات فيما بينهم مثلما حدث في الدولة الزيانية سنة 803 هـ 1400 /م و التي شهدت نزاعا بين اليهود الأهالي واليهود المهاجرين، وكان ذلك بسبب الإختلاف في اللغة و المذهب و العادات و المفاهيم الاجتماعية والمنافسة الاقتصادية[4].

كما لم يخل المجتمع الحفصي من الإحتفالات التي كانت تعكس أساسا الرخاء المالي، من احتفالات دينية واحتفالات رسمية وأفراح عائلية، حيث شكلت الأعياد الدينية مناسبة هامة لخروج السلطان من البلاط، والتقائه بالرعية محفوفا بأجناده وحاشيته[5] وكان من بين ذلك أعياد اليهود.

---

1 نميش سميرة: أهل الذمة) ص25.

2 مسعود كواتي: المرجع السابق ص130.

3 ابن قنفذ القسنطيني: الفارسية في مباديء الدولة الحفصية،تح:محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي،الدار التونسية للنشر1948 140-141.

4 نميش سميرة: المرجع السابق،ص47.

5 حورية: التحولات،ص364.

2-6/النصارى:

يعود وجود النصارى في بلاد المغرب، إلى فترات قديمة، استقروا بالمدن الساحلية والداخلية. وأصبحوا يؤدون أنشطتهم الحياتية بشكل عاي، بل بحرية لا يشعرون معها بأي تضييق [1].

أما على المستوى الإجتماعي، فقد كان للنصارى أحياء خاصة بهم. مرفوقة بالحانات والأسواق التي يمارسون فيها تجارتهم، وهناك فيئات أخرى من النصارى ببلاد المغرب هم فيئة الأسرى الذين أدوا دورا تقنيا مهما [2].

ومن مظاهر الإمتزاج الإجتماعي بين المغاربة والنصارى أثناء الخلافة الموحدية، ما روي: أن قحطا أصاب مراكش في عهد الخليفة الموحدي المنصور، فخرج النصارى للدعاء والإستسقاء مع سكان المنطقة[3]. ومن الوضعية الجيدة للنصارى في الدولة الموحدية أنهم كانوا يقيمون احتفالاتهم، منها الإحتفال بليلة المسيح وبعض العادات الأخرى، فقد كان يحتفل بظهور الأسنان عند المولود، وكان المغاربة يشاركونهم هذه الإحتفالات لدرجة أنهم تأثروا بهم[4].

ومن مظاهر الحياة الإجتماعية التي تدل على استقرار النصارى الوافدين وجود المصاهرات سواء منها السياسية أو الإجتماعية: فمن المصاهرات السياسية ما قام به الخلفاء الموحدون من الذين تزوجوا من نصرانيات، ومنهم يوسف بن عبد المومن، الذي تزوج من نصرانية اسمها ساحر [5]) فأنجبت له ابنه يعقوب المنصور، وقد تزوج هذا الأخير من سبيتين الأولى تدعى سر الحسن والثانية اسمها زهرة، وقد أنجبت له زهرة محمد الناصر الذي تزوج هو الآخر من نصرانية تدعى قمر [6]. ويضاف إلى ذلك زواج الخليفة الموحدي المأمون من نصرانية تدعى حبابة التي أنجبت له الخليفة الموحدي الرشيد[7].

أما ببلاد المغرب الأوسط خلال العهد الزياني فيمكن القول أن دور النصارى السياسي لم يكن له تأثيرا كبيرا، ما عدا الأسيرات المسيحيات اللواتي أخذن للقصر، ليكن حريما للسلطان أو أولئك الأعلاج الذين

---

1 نميش سميرة: المرجع السابق،ص87.

2 من ذلك حفر 400قناة، كانت تمر عبرها مياه جبل درب على مبنى خاص فيه المياه بمراكش ،ينظر نميش سميرة: المرجع السابق ،ص39.

3 حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين ط 01 مكتبة الخانجي، مصر،1970 ص 372 .

4 إبراهيم القادري بوتشيش: تاريخ الغرب الإسلامي ،قراءات جديدة في بعض القضايا ط1،دار الطليعة للطباعة والنشر،بيروت 11994 ص 114.

5 عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص 218.

6 قتيبة علي إبراهيم سمور: العلاقات الحربية بين الموحدين والممالك الإسبانية في شمال الأندلس(540 –620 هـ /1145 - 1235 م)) رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 1996 ص 191.

7 ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ص233؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ص29 .

اعتنقوا الإسلام وأصبحوا موظفين في إدارة الدولة وجيشها . حيث استعمل الأسرى المسيحيين في جميع الأشغال و ساهموا في أغراض صناعية و حرفية كفن البناء و صناعة الأسلحة[1].

وفي مجال الجندية فقد انتظم عدد من النصارى الوافدين إلى بلاد المغرب في صفوف الجند للجيش الموحدي بل وفاقوهم من حيث خبرتهم العسكرية، بحكم كونهم محاربين قدماء ومدربين على فنون القتال في بلادهم[2]. ومن ذلك أن الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي وظف في جيشه طائفة من جند النصارى أثناء حروبه[3]. واستمر الإعتماد على النصارى في المهمات العسكرية أما في عهد الخليفة السعيد640-646هـ/1242-1248م) فقد كان يستعين بهم لما تحل به حاجة إليهم. لذلك فقد حظيوا بمهمات كبيرة داخل البلاط الموحدي[4]. حتى أصبح النصارى داخل أحضان الدولة الموحدية يتمتعون بقدر كبير من الأهمية. سواء في المهمات العسكرية (قادة وجند) مثل المساهمة في إخماد الثورات التي كانت تقوم بين تارة وأخرى ضد الموحدين، والتي كان من أبرزها ثورة الماسي في عهد عبد المؤمن بن علي. وكذلك الصراعات التي كانت بين الموحدين والمرينيين، فقد قام النصارى بدور بارز فيها إلى جانب الموحدين وكان من جراء ذلك أن كسب جند النصارى حسن معاملة الخلفاء الموحدين مما جعل الخليفة المأمون يبنى لهم كنيسة بمراكش لممارسة طقوسهم الدينية بكل حرية[5].

أما في العهد الزياني، فتشير المصادر التاريخية إلى أن النصارى في بلاد المغرب الأوسط، لم تكن لهم أدوار اجتماعية واضحة المعالم، خاصة بعد محاولة اغتيال السلطان يغمراسن بن زيان من طرف فرقة مسيحية سنة 652 هـ/ 1254 م مما دفع سلاطين بني عبد الواد للكف عن استخدامهم . وظلوا على ذلك الحال إلى غاية عهد السلطان أبي حمو موسى الزياني الثاني الذي استخدم فرقة منهم في جيشه[6].

وقد تمكنت الطوائف المسيحية من الإستقرار في المغرب الأوسط فسكنوا العديد من مدنه، من بينها قسنطينة التي عاهدوا أهلها على دفع الجزية مقابل البقاء . واستقروا بمدينة طبنة ببلاد الزاب ومدينة بونة

---

[1] يحيى بن خلدون: بغية الرواد، ج1 216.

[2] عبد الواحد المراكشي:وثائق المرابطين والموحدين،تح: حسين مؤنس، ط1 مكتبة الثقافة الدينية 1997 ص 233.

[3] علي قنبر إلياس: بنو ميمون قادة الأسطول المرابطي والموحدي (508-599هـ/1115-1202م) مجلة أبحاث التربية الأساسية، ع 02 كلية التربية، جامعة الموصل، 2010 ج 01 ص426 .

[4] جمال أحمد طه:مدينة فاس في عهد المرابطين والموحدين،دراسة سياسية وحضارية،دار الوفاء2001 ص169 .

[5] عز الدين عمر أحمد موسى، الموحدون في المغرب تنظيماتهم ونظمهم ،دار الغرب الإسلامي ص25 .

[6] نفسه ،ص206.

التي كانت مركز إشعاع ديني كيف لا وهي مدينة أوغستين العالم بدين النصرانية الذي استقطب الجالية المسيحية [(1)].

وقد اعتبرت تلمسان منطقة استقطاب وجذب الأقليات المسيحية لموقعها الجغرافي الذي يسمح بتنوع الأنشطة وممارسة التجارة ومختلف الحرف، كما جذبت قبل ذلك مدينة تيهرت حاضرة الرستميين بالمغرب الأوسط عددا كبيرا من النصارى. ويظهر أنهم اتخذوا بعض الأحياء مستقرا لهم مثل حي الكنيسة الذي أقيم على مكان مرتفع في المدينة بنوا فيه منازلا وقصورا [(2)]. ويلاحظ أنه ازداد عدد التجار ورجال الدين الوافدين خاصة للمدن الساحلية، إلا أنه لم يكن يسمح لهم باصطحاب زوجاتهم. هذا الأمر الذي قلص من تواجدهم في بلاد المغرب الأوسط[(3)].

ومما يدل أيضا على سماحة الموحدين مع النصارى الوافدين والمستقرين، أن أوسعوا لهم في إقامة ملاجئ وسكنات خاصة بهم في مكناس. كما تم السماح لبعض البعثات التبشيرية التي كانت تتفقد ظروف هؤلاء النصارى في كل من سبتة خلال سنة (521هـ/1227م)، كما سمح لهم أيضا بإقامة كنائس لهم في كل من مراكش وفاس[(4)]. كما يشير مارمول كربخال إلى تمركز النصارى في إفريقية، حيث يقول" : عندما دخل عبد المؤمن بن علي إفريقية وجد بها نصارى، وقد دان معظمهم طوعا له"[(5)].

المبحث الثاني: الوفود الأندلسية بصفة عامة، الطبائع والخصائص.

1/ التنظيم الإجتماعي للوفود :

ويعود توافد العناصر الأندلسية أفرادا وأسرا الى فترات متقدمة في تاريخ المغرب الإسلامي. ورغم عراقة المجتمع الإندلسي في الحضارة، إلا أن حالات الإضطراب السياسي والفتن الداخلية، ألجأت الكثير من السكان ، سواء من العامة أو من العلماء والساسة، إلى الوفود على حواضر بلاد المغرب الاسلامي.

---

1 نميش سميرة: المرجع السابق ،ص37-38.

2 نفسه 38.

3 يحيى بن خلدون: بغية الرواد،ج2 142.

4 بديعة الخزاري: تاريخ الكنيسة النصرانية في المغرب الأقصى، ط 01 ، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2007 7 0 27.25.22؛ جمال أحمد طه، مدينة فاس، ص 170 .

5 مارمول كربخال، إفريقية، ترجمة محمد حجي وآخرون مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، 1984 ج 01 ص338

حيث عرف المغرب الإسلامي توافد العديد من الأسر الأندلسية، خصوصا في فترات الأزمات السياسية للأندلس. واستقر الكثير منهم بالمدن الساحلية ففي مدينة تنس على سبيل المثال استقر أهالي البيرة وتدمير، الذين أعادوا الحركة التجارية لمرسى الدجاج، أحد أهم المنافد البحرية للمغرب الأوسط [1].

وبفعل التنظيم المحكم استطاعت الجالية الأندلسية أن تتكيف مع بيئتها الجديدة في بلاد المغرب الإسلامي بصفة عامة. وأن تكون تنظيما اجتماعيا يربط بعضها بعض. ويحافظ على كيانها المستقل. مما جعل أفرادها يصبحون بمرور الزمن من كبار الملاك والنخبة المتميزة بمختلف المدن وأن يحتكروا بعض الميادين الحيوية كالصناعة والتجارة [2]. ففي البداية مثل السكن عائقا أمام استقرار الأندلسيين بمدينة تونس. حتى أن بعض الوافدين والمهاجرين، فضلوا التنقل بمفردهم الى مدينة تونس لتوفير المسكن. وترك عائلاتهم بالأندلس، ولا يستقدمونهم إلا بعد تهيئة مقر النزول [3].

لم يكن توافد الأندلسيين اعتباطيا وفوضويا ، بل كان "تنظيم تلك الجاليات بتونس محكما. رغم وجود بعض النزاعات التي كانت أحيانا تطفوا الى السطح بين أفرادها. فمنذ القرن ال7ه ظهرت أحياء خاصة بهم داخل أسوار المدينة، بزقاق الأندلس. وفي الأرباض بحي الأندلس المجاور للحلفاويين" [4].

وتواصل تنظيمهم ببجاية في العهد الحفصي، وكونوا نبالة حضرية قادت لبعض الحركات لمطالبة بحقوقهم بالمدينة سنة 761ه/1359م . وبرزت في هذه الظروف خطة العريف، وهي خطة قيادية للحركة التي تستند الى فئات العامة. أو الغوغاء وأهل الشطارة، وتستهدف الهياكل التقليدية من شيوخ الموحدين وسلطة بني حفص عامة [5].

ولا يمكن القول بالتفسير السياسي والمذهبي لتلك الهجرات الوافدة، مثل اعتبار الدولة الأموية أرادت الحد من النفوذ الفاطمي، فأسست لها قواعد أمامية من الوفود الأندلسية. لأننا باستقراء تاريخ تلك الجاليات الوافدة. سواء منها حركة الأفراد أو الأسرى، فإننا لا نكاد نجد أن الدولة هي من خططت لنقلهم

1 فيلالي: تلمسان،ص173.
2 عبد المجيد قدور: هجرة الأندلسيين إلى المغرب الأوسط،ص222.
3 محمد حسن: البادية والمدينة،ص581.
4 المرجع نفسه 589.
5 محمد حسن: البادية والمدينة ص588.

أو استعمالهم وايوائهم، وانما كانت حركة عفوية فيها الرغبة في الانتقال والتجديد. والترويح عما كانوا يعانونه في فترات الضعف والفتن السياسية والتعصب القبلي في الأندلس [1].

ولم يكن الوافدون الجدد يختلفون كثيرا عن السكان المحليين، في اللغة واللباس والطبائع. ومع محافظتهم على مميزاتهم الخاصة، والبعض من عاداتهم، والإعتزاز الدائم بأصلهم، رغم مضيهم في الإندماج والتفاعل في أوساط المجتمع المغربي. حتى أنهم كانوا أقرب للسكان المحليين من الذين أتوا من بعدهم[2].

2/الخصائص العامة للوافدين على المغرب الاسلامي:

ا-المحافظة على الأصالة:

ظل الوافدون الأندلسيون محافظين على مميزاتهم وخصوصياتهم الأندلسية. والبعض من عاداتهم وتقاليدهم، ونمط حياتهم. كما كانوا يظهرون الإعتزاز بأصلهم، وبانتمائهم الجغرافي الأندلسي [3]. ولا أدل على ذلك ما كانوا يلقبون به من ألقاب توحي بأسماء المدن والبلدات التي جاؤوا منها من الأندلس مثل الإشبيلي والقرطبي والغرناطي والداني والقرموني. وحتى في العصر الحديث مازلنا نسمع بعض الألقاب التي تعود بالنسبة إلى مدن الأندلس مثل ابن اللوشي وابن دانية وابن قرطبي وابن القرموني. ومن المرجح أن هذه العائلات تعود في أصلها إلى الجالية الأندلسية التي وفدت من تلك المدن العريقة في الأندلس[4]. ويؤكد الباحث عبد المجيد قدور أن كثيرا من العائلات الأندلسية قد حافظت على كيانها وأصلها الأندلسي في جميع أماكن استقرارها. وظلت حريصة على عدم الإختلاط بغيرها من طوائف المجتمع. وكانوا يعتبرون أنفسهم طبقة متميزة ينتمون إلى حضارة عريقة[5].

وتتميز كثير من الوفود الأندلسية بصفة التحفظ وعدم المخالطة، وهذا ما يفسر قلة روابط المصاهرة مع البربر. ومرد ذلك إلى أنهم يحافظون على الإرتباطات العائلية فيما بينهم والإستقلال عن الآخرين، وعدم الإختلاط بالغير محافظة على طابعهم المعيشي [6]. وذلك ما جعلهم يحجمون عن الزواج خارج جماعتهم.

[1] عبد العزيز فيلالي: تلمسان، ص173.

[2] محمد حسن: المرجع السابق 159.

[3] نفسه .

[4] عبد المجيد قدور: هجرة الأندلسيين إلى المغرب الأوسط،ص197.

[5] نفسه 196.

[6] المقري: نفح الطيب، ج1 228.

إذ أن المرأة الأندلسية نادرا ما تتزوج من غير أندلسي إلا إذا اضطرتها الحاجة لذلك. وكانوا يبالغون في الحيطة والحذر من الآخرين[1].

وقد كانت الجالية الأندلسية بتونس تشعر بوجود فوارق معينة حضارية واجتماعية تفضلها عن بقية السكان، مما حال دون انصهارها في المجتمع الإفريقي. لقد كانوا يشعرون أنهم في بلد انتقلوا إليه اضطرارا لا اختيارا. وأنهم في مجتمع أقل منهم تحضرا. وأنه يجب أن يحصلوا فيه على المراتب العليا في سلمه. وهذا ما يفسر لنا تهافتهم على المناصب وبقاءهم أقلية متميزة، لها سماتها الخاصة[2].

ومما يميز تلك الأقلية الأندلسية أنه كان لتصرفاتها طابع خاص. وذلك بفعل المركبات النفسية والحضارية التي حملها معهم الأندلسيون. لقد احتفظوا بذاتيتهم بعد مرور عشرات السنين من هجرتهم. فبقوا أندلسيين في كل شيء. وليس فقط في أسمائهم التي استمر تداولها[3].

ومن جهة أخرى فإن سيادة روح التعايش التي أبداها أهل بلاد المغرب لهم.ذلك أنهم تقبلوا إخوانهم الوافدين عليهم من أهل الأندلس. ولم يضيقوا بهم أبدا. بل كان هؤلاء الوافدون يتصرفون بأريحية تامة، حتى كأنهم لا يزالون في وطنهم الذي وفدوا منه. وبالنظر الى تشابه الطباع وقرب العادات والتقاليد، فلم يشعروا بالغربة، بل كان ذلك مما ساعدهم على الإعتزاز بالوطن الحاضن كما الوطن الأم. ولتحقيق انجاز يجمعهم ويوفر لهم التلاقي والإجتماع وينفي عنهم الشعور بالإغتراب، قاموا بالتكتل والتعاون من أجل إنجاز مرفق عمراني، فاشتروا الدور والأراضي وبناء الزاويا التي عرفت باسمهم[4].

وكان إحساس الجالية الأندلسية أحيانا بالغربة في أماكن إقامتها الجديدة، هو الدافع على تجمع أفرادها في أحياء خاصة بهم ،تعرف بحارة أو حومة أو زقاق الأندلس. وإن اختلفت التسمية فكلها تعني حي الأندلسيين [5].

---

[1] المقري: نفح الطيب، ج1 228 ؛ حناش فهيمة: العلاقات بين المغرب الأوسط والأندلس،ص65.

[2] محمد رزوق: دراسات،ص45.

[3] المرجع نفسه.

[4] نور الدين عبد القادر: صفحات من تاريخ مدينة الجزائر ،دار الحضارة بير توتة ،الجزائر2007 165.

[5] عبد المجيد قدور: الهجرة الأندلسية إلى المغرب الإسلامي ونتائجها الاجتماعية والحضارية الجزائر كنموذج، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة منتوري قسنطينة، ع20، ديسمبر 2003 5 1741 1741.

ب– بين التميز والإندماج الاجتماعي:

أصبح افراد الجالية الأندلسية بمعظم مدن المغرب الإسلامي، يشكلون عنصرا اجتماعيا له تأثيره في مختلف مجالات الحياة بحكم الرابطة المتجانسة بين أفراد الجالية الأندلسية والمجتمع المحلي من حيث اللغة والدين. لكن هناك ميزة خاصة بهم ميزتهم، إذ اعتبروا أنفسهم في دار الهجرة ، وكانوا ينتظرون العودة إلى ديارهم بالأندلس أرض الآباء والأجداد. لذلك ظلوا يحتفظون بمفاتيح منازلهم ظنا منهم أنهم سوف يرجعون إليها[1].

ومما يدل على عمق الإندماج الذي بلغة الوافدون الأندلسيون ما تولوه من عديد الخطط، التي توفر الثروة لأصحابها. لكنها لا تخلو من العسف والظلم. مثل خطة جباية الأموال. فقد استعمل أبو عبد الرحمن يعقوب بن عمر السلمي، من أهل شاطبة، لجباية أموال الثغور الغربية، في القرن ال7ه/14م، وتولى بدوره أبو بكر محمد بن خلدون خطة الأشغال الى حد قيام حركة الدعي ابن أبي عمارة [2]. "وقد كانت الجالية الأندلسية ببجاية مهيكلة و منظمة تنظيما محكما، خاصة في أواسط القرن ال7ه/13م إذ يوجد على رأسها شيخها وكبيرها الفقيه ابن محرز، من أهل بلنسية(ت655ه/1258م) الذي تسمى أيضا برأس الجماعة الأندلسية ببجاية" [3].

ومما زاد في سكون هؤلاء الوافدين من الأندلس، أنهم عملوا على توسيع أثرهم الإجتماعي بتعميق أوصر الصلة "فعمدوا الى الزواج من التونسيات، ورغم حالات الزواج النادرة هذه، الا أن التشاور القائم بين أهل مدينة تونس وأهل الأندلس، لحل مسائل تخص الطرفين، التي أدت تدريجيا الى انصهار مهاجري القرن ال7ه،ثم ال8 L:9ه، في صلب المجتمع التونسي، وذوبان الخصوصية التي كانت قوية في البداية" [4]. وقد ساعدت المصاهرات على توطيد العلاقات بين الأتراك والمهاجرين الأندلسيين بالمغرب الأوسط. حيث كان أغلب الأتراك يتزوجون من نساء جزائريات لا سيما الباشوات منهم. ونشأ عن ذلك طائفة من الأتراك عرفت بالكراغلة، ولابد أن تكون علاقة المصاهرة بين الأتراك حكام البلاد والأندلسيين قد ساعدت

---

[1] ناصر الدين سعيدوني: دراسات أندلسية، مظاهر التأثير الأيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر،ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،2003 . 35.

[2] محمد حسن: البادية والمدينة،ص587.

[3] الغبريني ابو العباس احمد: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية،تح:عادل نويهض،ط2،دار الأفاق،بيروت1979 287.

[4] البرزلي أبي القاسم بن أحمد البلوي التونسي: جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين من القضايا والأحكام تح: محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي،ج1 137.

على تحسين وضع الجالية الأندلسية ورفع مستواها الاجتماعي[1] . ونظرا لمكانة الكتاب الإجتماعية ما جعل كثيرا من الناس يرغبون في التقرب إليهم، وإقامة روابط وعلاقات اجتماعية معهم، خاصة عن طريق المصاهرة[2].

كما أن الإستقبال الجيد الذي حظيت به عناصر الجالية الأندلسية بالجزائر شجع على الإندماج والإنصهار في المجتمع المغربي، ومن الأمثلة على ذلك أن بعض المصادر تورد أن شيخ الأندلسيين سيدي أحمد الكبير استوطن بوادي الرمان، وأسس مدينة البليدة لم يجد بدا من الزواج من امرأة من قبيلة أولاد سلطان من سكان المنطقة، وهو ما سهل عملية اندماج الأندلسيين هناك بباقي السكان المحليين[3].

ويؤكد المؤرخون اندماج المهاجرين الأندلسيين في المجتمع الجزائري(المغرب الأوسط) مما يرجح أنهم بمرور الزمن تيقنوا أن عودتهم إلى الأندلس مرة أخرى غير ممكنة. فاعتبروا أن هذه الأرض هي وطنهم، وأن أبناءها إخوان لهم، فأخذوا منهم وأعطوا لهم، وكونوا لحمة متماسكة هي الجزائر الموحدة. وأصبح الأندلسي يعرف بالجزائري بدلا من الغرناطي والقرطبي والإشبيلي، مع أن هذا لا يمنع وجود بعض الأندلسيين الذين ظلوا يقدسون أندلسيتهم في بعض الأماكن[4].

وقد ساعد الأندلسيون تمسكهم بلهجتهم الخاصة بهم على انتشار واستعمال اللغة العربية في المناطق التي ظلت تستعمل اللهجة البربرية مثل شرشال ودلس وبجاية.. كما شاع أيضا استعمال المفردات الإسبانية وانتشار لغة فراكنة والتي هي عبارة عن دمج حروف عربية واسبانية[5].

وقد أودت نزعة المحافظة على الهوية في البلاد التي وفدوا إليها، بنشوب بعض النزاعات بينهم وبين أبناء البلد ، وقد كانت تلك النزاعات غالبا ما تحدث بسبب المناصب وتولي بعض المسؤوليات ، أو حول بعض الأملاك والضيعات والبساتين [6].

---

1 عبد المجيد قدور: هجرة الأندلسيين إلى المغرب الأوسط ،ص219.

2 حناش فهيمة: العلاقات بين المغرب الأوسط والأندلس،ص71.

3 نور الدين عبد القادر: صفحات 266.

4 حمدان بن عثمان خوجة: المرآة، تح:محمد العربي الزبيري،الناشرANEP 2005 ص101.

5 ناصر الدين سعيدوني: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر(الفترة الحديثة والمعاصرة)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1985 ج2 145.

6 محمد حسن: المدينة والبادية 590.

ج–تسلق السلم الإجتماعي:

برزت ظاهرة تحسن المستوى المعيشي بصفة عامة، بما في ذلك لدى الأندلسيين الوافدين. خلال مرحلة الحكام الأقوياء. وذلك من خلال استقرار العملة وصحة وزنها. وتسهيل المعاملات بين التجار والعامة مما جعلهم يقتنون حاجياتهم دون عوائق. وهذا دليل على مدى الرخاء الاقتصادي والمالي الذي كانت تعيشه الدولة بالمغرب الإسلامي[1].

وبالنظر إلى الطابع الإجتماعي الذي تميز به الوافدون الأندلسيون فقد وجدوا فرصا كبيرة في كسب ود وثقة مجتمع المغرب الإسلامي. وعليه فقد تمكنوا من التطور والرقي الإجتماعي في شتى الميادين نظرا لما كانوا عليه من تنظيم وتقاليد. حيث تمكن أفرادها من تسلق السلم الإجتماعي واعتلائه والوصول الى المراتب العليا من الثروة، ففي سنة866هـ كان كبير التجار بتونس الحاج أبو القاسم البنبلوني الغرناطي وحوله جماعة من أعيان التجار من الأندلس، وقد مكنته هذه الثروة الطائلة التي تحصل عليها من التجارة الخارجية البحرية من أن يعيش في أجواء الأندلس بالكامل، بمنزله الفخم المكون من طوابق ثلاثة... وأستدعي للغرض ظرفاء و الأدباء والشعراء الأندلسيين، من بينهم محمد الخير المالقي الذي حل بتونس سنة 864هـ. وبذلك ظل الحنين يشد الكثير منهم الى زمان الأنس بالأندلس[2].

ومما يدل على تحسن مستوى الوافدين الاجتماعي تجمع الثروات في أيدي بعض التجار منهم، مما أدى إلى بروز فئات اجتماعية ثرية متخصصة في التجارة الكبرى. ولا سيما في اتجاه بلاد السودان، مصدر بضاعتين ثمينتين من بضائع العصر أنذاك: الذهب والرقيق[3].ولعلى وجود اليهود بمنطقة توات هو دليل على ذلك .

د–انتشار العادات الأندلسية:

وبفعل الوفود الأندلسية المتعاقبة "فقد تسربت عادات أهل الأندلس إلى أغلب الفئات الحضرية بسواحل البلاد، حتى غدت طبعا جديدا لهم. وهذا الوزان يقول عن أهل بجاية أنهم" طيبون ميالون الى المرح

---

1 حورية سكاكو: التحولات،ص355.

2 عبد المجيد قدور: هجرة الأندلسيين 232.

3 حورية سكاكو: التحولات،ص357.

والموسيقى والرقص لا سيما منهم الأمراء... أما أهل دلس فإنهم ذوو بشاشة ومرح، يحسنون تقريبا كلهم العزف على العود والقيثار." [1].

كما "انتشرت بعض الآلات الموسيقية أندلسية الأصل في عدة مناطق من بلاد المغرب الإسلامي احترف بعض الأندلسيين بتونس مهنة الطبال، الى جانب انتشار عدة آلات موسيقية من الصعب معرفة أصولها مثل الدف المغشى من جهة واحدة ، والكبر والطارة بأوتارها وشناشنها، وضرب البرابط آلة أخرى تسمى بالشيرانة، وتتمثل في صفاقتين تستعملان عند رقص النساء في القرن ال8هـ" [2] واسم الشيرانة يبدو أنه كلمة معربة من الكلمة القشتالية:Sirera .

وفيما يخص التنظيم الإجتماعي الداخلي للوافدين كفئة اجتماعية لها تنظيم إداري رسمي يميزها. لم تمدنا المصادر بمعلومات وافية، باستثناء ما ورد في بعضها عن وجود رأس الجماعة الأندلسية ببجاية. وحتى في هذا الخبر تبقى الحقيقة غامضة. و لعلى ما صعب على الأندلسيين تنظيم أنفسهم هو ثورة الصراعات والمنافسات الداخلية بينهم على الخطط السلطانية، وامتلاك الأراضي، وتحقيق المكاسب الاقتصادية، ما أدى الى بعض مظاهر التصدع الاقتصادي عندهم[3].

هـ/ المساهمة في مشاريع الوقف:

يعتبر الوافدون الأندلسيون إلى المغرب الإسلامي من أهم العناصر الذين اهتموا بجانب الوقف. حيث أوقفوا كثيرا من المشاريع الثقافية والإقتصادية في خدمة الفقراء واليتامى والصالح العام. مما جعل لهم بصمة مشرفة في المجتمع المغربي. و قد ذكر عبد المجيد قدور أن صاحب الوقف كان يقوم بتحرير عقد يحمل اسم صاحبه ومهنته، ويتضمن وصيته حول الوقف و أوجه إنفاقها معتبرا هذا الوقف مصدرا هاما للتعرف على العائلات الأندلسية في الجزائر، وحرفها المختلفة، وميدان نشاطها التي يمكن استنتاجها من الألقاب الحرفية التي كانت تضاف إلى الأسماء مثل: الحداد محمد الأندلسي، وصانع الشواشي علي بن حسن الأندلسي، والعطار أحمد بن أحمد الأندلسي، وصانع الصابون علي بن عمر الأندلسي وغيرهم[4].

---

1 الحسن الوزان: وصف افريقيا، ج2 51.43.

2 البرزلي: جامع) ج1 238.

3 فرحات محمد إبراهيم بكار: الهجرات الأندلسية الى بلاد إفريقية في العهد الحفصي،مجلة العلوم والدراسات الإنسانية،جامعة بنغازي، ليبيا ،العدد 27، فيفري2017 1327.

4 عبد المجيد قدور: هجرة الأندلسيين إلى المغرب الأوسط، ص223.

وتنقسم الأوقاف الأندلسية التي تركها الوافدون الأندلسيون إلى قسمين:قسم يصرف لصالح فقراء الأندلس بالمغرب الأوسط (الجزائر) فقط. وقسم مشترك بين الحرمين الشريفين وفقراء الأندلسيين بالجزائر. وتتكون الأوقاف من حيث نوعيتها من بيوت ودكاكين وأراض زراعية أو بساتين وعيون لمياه الشرب "حنفيات" وقد تكون جزءا من أحد البيوت. كما اشتملت على بعض الحمامات والمخازن. جعلها أصحابها أوقافا لصالح فقراء الأندلس أو مناصفة بينهم وبين الحرمين الشريفين[1].

و من جهة ثانية كان الأساس الذي بنيت عليه الزاويا الأندلسية بالمغرب الأوسط اجتماعيا بدرجة أولى. إذ أحس الوافدون الأندلسيون إلى مدينة الجزائر في أول أمرهم بالفرقة والتشتت، فتطلعوا إلى لم الشمل، وانضمام بعضهم إلى بعض. حتى يكونوا مجتمعين في السراء والضراء، ففكروا في تكوين رابطة تضم كافة الأندلسيين. وتكون عونا لهم على تقلبات الدهر. وتقلل من إحساسهم بالغربة والعزلة. رغم وجودهم في بلد كبلدهم، وبين إخوانهم من أبناء جنسهم ودينهم[2].

و/ الوضع الصحي للوفود الأندلسية:

يرجع بعض المؤرخين سبب انتشار الأمراض والأوبئة في بلاد المغرب الإسلامي إلى الوفود الأندلسية الذين وفدوا بعد سقوط غرناطة. حيث حمل اليهود الذين لجأوا إلى المغرب أمراضا خطيرة. وقد منع هؤلاء من دخول مدينة فاس خوفا من انتشار العدوى بين سكانها. وعين لهم مكان بالقرب من أبواب مدينة فاس. خاصة وأن عددهم كان كبيرا جدا (حوالي عشرة آلاف نسمة) [3].

ورغم الإحتياطات التي اتخذتها السلطات بمدينة فاس، فإن الأوبئة استمرت في الإنتشار بهذه المدينة ، إذ كان من ضحاياها أكثر من عشرين ألف نسمة. لذلك قرر اليهود الرجوع إلى إسبانيا واعتناق الديانة المسيحية[4]. وبصفة عامة، فإن الأوبئة التي انتشرت في هذه الفترة بالمغرب، ترجع في جزئها الكبير إلى المهاجرين الأندلسيين سواء كانوا مسلمين أم يهودا[5].

---

1 عبد المجيد قدور: هجرة الأندلسيين 223.

2 نفسه، ص173.

3 محمد رزوق: الأندلسيون وهجراتهم،ص172.

4 نفسه 172.

5 نفسه.

3/العوامل المساعدة على استقبال الوافدين الأندلسيين واستقرارهم:

ساهمت عوامل عديدة في حسن استقبال الوافدين على بلاد المغرب الإسلامي خاصة من الأندلس، وإدماجهم بسهولة وسلاسة في الحياة الاجتماعية أبرزها.

ا-**العامل الديمغرافي**: بسبب الحروب الطويلة سواء تلك التي نشبت بين الموحدين وبني غانية لما يقارب نصف قرن أو تلك التي كانت بين المسلمين والإسبان ، فقد جعلت من الأندلس منطقة مضطربة وغير مستقرة هذا الى أضفنا ما انجر عن تلك الفتن الداخلية، من تعسر للحياة ، وانتشار للأمراض والأوبئة خلال تلك الفترة، فكان ذلك يمثل دافعا قويا للإنتقال الى حواضر المغرب الإسلامي، مثل تلمسان وبجاية وفاس وتونس وصارت تلك المناطق قطبا جاذبا للأندلسيين[1]. وقد كان للعنصر البشري الأندلسي أثره الكبير من حيث النمو الديمغرافي وتعمير البلاد سيما أوقات المجاعات وانتشار الأمراض المعدية والأوبئة[2].

ب- **العامل الاجتماعي**: إن حاجة المجتمع لكفاءات وخبرات متجددة ومدربة في كثير من الصنائع والحرف ، كانت ضرورة ملحة لجذب واحتواء هؤلاء الوافدين الجدد. خاصة اذا علمنا تلكم النكبات التي حلت بالأندلس، فكانت حواضر المغرب الإسلامي دعما اجتماعيا ونفسيا لهؤلاء الوفود [3].

ج-**العامل السياسي**: ويعود تفاعل السلطة السياسية ببلاد المغرب مع موضوع الوافدين الأندلسيين وإكرامهم وتشجيعهم وتوليتهم المناصب والخطط. نظرا لما كان عليه أولئك السلاطين من الحاجة الى الإطارات المختلفة في شغل وظائف الكتابة والحجابة والجباية والتدريس [4]. ولعل أكبر جالية أندلسية نزلت بتلمسان هي التي كانت في عهدي الأميرين عبد الواحد بن أبي عبد الله(814-827هـ/1411-1424م) وخلفه أبي العباس أحمد الزياني(834-862هـ/1431-1462م) وقد استقبلهم ها الأخير بحفاوة، ووجههم حسب طبقاتهم وحرفهم، فالعلماء والوجهاء أنزلهم عاصمته تلمسان، وأنزل التجار والحرفيين وأصحاب رؤوس الأموال في درب خاص بهم، عرف بدرب الأندلسيين[5].

---

1 محمد حسن:المدينة والبادية،ص578-579.

2 عبد المجيد قدور: هجرة الأندلسيين إلى المغرب الأوسط، ص224.

3 محمد حسن:المدينة والبادية،ص578-579.

4 المرجع نفسه.

5 حورية سكاكو: التحولات،ص223.

حيث وجدوا في بلاد المغرب عموما ظروفا ملائمة للإستقرار والأمن. ويبدو أن نسبة كثافتهم، تختلف من مدينة الى أخرى، حسب الأهمية التجارية، وموقعها الإستراتيجي والسياسي. ومن المؤكد أنه في فترات الوحدة السياسية خاصة في العهد المرابطي والموحدي، فقد جاءت وفود عديدة، تطلب الأمان والسكينة في مدينة تلمسان، ومدن وحواضر عديدة أخرى من المغرب [1].

4/الوفود الأولى من النخب:

ولقد شهد تنوع وتوزع الوفود الأندلسية على مدن وقرى المغرب الإسلامي، باعتبار طبقة وحرفة وصنعة وميل كل منهم. فمنهم من استقر بالمدن لأنها تساعده على الإنتفاع والنفع بعلمه. وكذلك منهم من امتهن الحرف والمهن والتجارة فساعدته القرى والمدن على الإستقرار وتبوء مكانة اجتماعية رفيعة.

والملاحظ أن هؤلاء المهاجرين الأندلسيين الوافدين على مدن وحواضر المغرب، كان كثير منهم من الأعلام وأهل البيوتات، ومن وجوه القوم وأعيان الأندلس [2]. ويبدو أن تلك الوفود كانت في أغلبها علمية، ذلك أنها كانت تنشد الإستقرار والسكينة، والتشجيع من قبل الدولة، وأن كثيرا منهم كانوا من ذوي الشأن في أقوامهم ومدنهم. وينتسبون إلى أسر وعائلات علمية عريقة توارثوا تلك البيئة العلمية وورثوها باستقرارهم في مدن المغرب الإسلامي.

وكان سبب سبق هؤلاء الوافدين من الأعيان، هو قدرتهم على دفع تكاليف الرحلة، والإطمئنان على أموالهم التي نقلوها ، اضافة الى حسن الإستقبال الذي حظيوا به من طرف الرسميين والشعبيين في المغرب الإسلامي، وتوليتهم الخطط العليا [3].

وكان يغلب على أولئك الوفود أنهم يتقنون عدة فنون وتخصصات وبنزولهم بالمغرب الإسلامي أخذ أهل كل فن ينصرف الى فنه وتخصصه، سواء أكان بتوجيه من السلطة، أو من اختيار الوافدين أنفسهم. يقول المقري:" ولما نفذ قضاء الله على أهل الأندلس بخروج أكثرهم عنها، في هذه الفتنة الأخيرة، فتفرقوا في بلاد المغرب من بر العدوة حتى بلاد افريقية، فأهل البادية قد مالوا الى البوادي، إلى ما اعتادوه ودخلوه على

[1] ناصح محمد: جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية للمغرب في العصر الوسيط، 61.

[2] ابن خلدون: العبر، ج7 221.

[3] محمد حسن: المدينة والبادية، ص580.

أهلها وشاركوهم فيها، فاستقوا المياه، وغرسوا الأشجار، وأحدقوا الأرض. وعلموهم أشياء لم يكونوا يعلمونها ولا رأوها فشرقت بلادهم، وصلحت أحوالكم" (1).

وكان من أبرز الدوافع لإستقرار وانتقال تلك الجماعات الوافدة هو البحث المستمر على تحسين المستوى المعيشي والإجتماعي لهم ولعوائلهم. لذا فقد وجدوا في فرصة الإنتقال الى تلك الحواضر المشهورة مجالا خصبا لتحقيق ذواتهم اجتماعيا ومعرفيا وظل النزوح مستمرا إلى حواضر المغرب،لأن التحرك بين المغرب وأجزاء العالم الإسلامي بصفة عامة، والرحلة في طلب العلم والوظيف والتجارةكانت من الأمور المحمودة عند المسلمين،حتى صارت تلمسان مقصدا رئيسيا للعلماء والطلاب والتجار وأصحاب الحرف (2).

المبحث الثالث: وفود الأطباء إلى بلاد المغرب الإسلامي ودورهم الاجتماعي

لقد غدت الهجرة من بين العوامل الإجتماعية المؤثرة على الأحوال الصحية لأفراد المجتمع الأندلسي. فبتعرض البلاد الى الأزمات الطبيعية والفتن والأخطار الخارجية، أسهمت في هجرت النخب الطبية الأندلسية، التي كانت إحدى مقومات وأسس ازدهار الوضع الصحي هناك ، من خلال تقديم الخدمات العلاجية لأبناء الأندلس(3).

وبالتحاقهم بالسلطة في المغرب الإسلامي أصبح لهم شأن، وأضحوا من طبقة الخاصة. ورغم أن المصادر تسكت عن وضعيتهم الإجتماعية، إلا أنها أشارت إلى أسماء الذين ارتبطوا منهم ببلاط الحكام كأبي جعفر الذهبي (ت81هـ/1204م) بتلمسان. والذي كان عالما فاضلا ببضاعة الطب، جيد المعرفة لها، حسن التأني في أعمالها. خدم المنصور بالطب وكذلك خدم بعده ولده الناصر(4).

وبانتقال تلك الوفود الطبية فقدت البلاد ركنا أساسيا من العاملين في المجال الصحي، ومن بين الأطباء الذين هاجروا الى مدن أخرى، الطبيب أبو اسحاق الداني(كان حيا في القرن6هـ) هاجر من الأندلس واستقر بمراكش ولبراعته عين أمين البيمارستان في مراكش(5).

[1] المقري: نفح الطيب ، ج3 156.

[2] ابن خلدون: العبر،ج7 205.

[3] الخطابي محمد العربي: الطب والأطباء بالأندلس،دار الغرب الإسلامي بيروت،1988 167؛ شيماء مبدر: المرجع السابق، ص135.

[4] ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء،المطبعة الوهبية، مصر، 1982 ج3 133.

[5] ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء 33 1331.

ووفد الطبيب أبو العباس أحمد بن خالد المالقي(ت660هـ/1261م) على بجاية[1] واستقر بها [2] . وكذلك هاجر الطبيب أبو الحسن علي الششتري(ت668هـ/1269م) على المغرب واستقر بعد ذلك في بلاد الشام. كما وفد الطبيب عبد الله الدباغ المالقي(ت757هـ/1256م) من الأندلس على فاس وغيرهم [3] .

ومن ناحية ثانية فإن دولة الموحدين كان لها اهتماما كبيرا، بالعلوم ومنها علم الطب حيث أن هذا العلم حظي بعناية كبيرة من طرف الحكام الموحدون الذين شجعوا على هذا العلم وأعطوا أصحابه مكانة رفيعة، ومنهم الخليفة أبي يعقوب يوسف ابن عبد المؤمن الذي حكم ما بين (558هـ-580هـ/1162م-1184) فقد كان يهتم كثيرا بالأطباء ومن بينهم الطبيب أبي بكر بن طفيل المتوفي سنة (581هـ) ذلك أن عبد المؤمن منحه منصب الوزارة [4] .

وكان لوباء (571هـ/1176م) تأثيرا نفسيا كبيرا اشتدت فيه مخاوف أهل الأندلس ، بحيث كانوا من ضعف المرض والطاعون لا يقدرون على الحركة، فقد خلف هذا الوباء عددا كبيرا من الوفيات ،مما أدى بالأفراد الى الهروب منه خوفا على حياتهم [5]. وجعلهم يبحثون على مواطن سليمة، فانتقل العديد من الأندلسيين وتوجهوا نحو العدوة المغربية.

ومن الجدير بالذكر ، أنه في تونس على عهد الحفصيين، قد تولى زمام الطب جملة من أطباء الأندلس. ولعل اشهرهم أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد الأموي المعروف بابن أندراس ، وهو من أهل مرسية. وقد وفد على بجاية عام 660هـ وسكن بها وتفرغ للممارسة الطب بها وذاع صيته، فقد عالج كثيرا من الولاة ببجاية. ثم رحل الى حاضرة افريقية باستدعاء من أمير المؤمنين المستنصر بعد أن سمع به وعرف خبرته وانتظم في سلك أطبائه ، وكان من جملة جلسائه [6].

---

1 بجاية: وهي مدينة على البحر,قاعدة المغرب الأوسط يحيط بها البحر من ثلاث جهات في الشرق والغرب والجوف،ينظر الحميري،ص81 80،الإدريسي،المصدر السابق،ص261.

2 الغبريني:عنوان الدراية 73.

3 المقري:أزهار الرياض في أخبار القاضي العياض،تح: سعيد أحمد أعراب، عبد السلام الهراس، مطبعة فضالة، المحمدية،612611980-62؛ شيماء مبدر: المرجع السابق،ص136.

4 المقري: أزهار الرياض0 9 49.

5 المصدر نفسه، ص137.

6 الغبريني: عنوان الدراية،ص.ص75-76.

وكان من أشهر الأطباء الذين وفدوا على المغرب الإسلامي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن أحمد بن السيد الغافقي(ت 560هـ/1165م5 1هو من مواليد قرطبة[1].كان إماما وحكيما عالما، وكان من الأطباء المشهورين في الأندلس، وكان قد انفرد في عصره بمعرفة خصائص الأدوية المفردة، معرفة أسمائها ومنافعها ومضارها[2]) كما كان له اهتمام واسع بعلم النباتات، ذلك أنه كان يقوم بجمع النباتات من الأندلس وشمال إفريقيا. مما أسهم في تقدم علم خصائص النباتات ذات الخواص الطبية في الأندلس[3]. ولقد حظى هذا الطبيب الصيدلاني بمكانة رفيعة لدى الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين وكذلك ابنه علي بن يوسف، و نظرا لمكانته العلمية زاد إهتمام الأمير به، فقد أمر بجمع كل الملاحظات الطبية التي تم تسجيلها ونسخها ونشرها من طرف الغافقي، من أجل الإنتفاع بها في مجال الطب والصيدلة[4]. وله كتاب الأدوية المفردة[5]. وهذا الكتاب له جودة رفيعة ومعانيه تامة[6].وقد ذكر الغافقي في كتابه هذا أهم أسماء النباتات ذات الخواص الطبية في الأندلس باللغة العربية واللاتينية[7].

1–الشفرة أبو الوليد القربلياني (ت 761هـ/1316م):

هو ابن فرح القربلياني يكنى أبو عبد الله، أصله من قره بليان بلد الدجن[8]. كان مشغولا بصناعة الطب والجراحة، وكان له علم بمعرفة النباتات والأعشاب، فقد كان يتجول في الجبال من أجل معرفة خصائص النباتات والأعشاب، وبالفعل فقد تمكن من الوصول إلى عدة نتائج مكنته من معرفة خصائص النباتات والأعشاب[9].

ورغم أنه قرأ على يد أبيه بمسقط رأسه قربليان بلد الدجن[10]. وتعلم الجراحة على يد أحسن المتقنين لعمل اليد آنذاك، غير أنه بعد ما توصل إلى معرفة خصائص النباتات والأعشاب مارس مهنة العلاج وعالج

[1] المصدر نفسه،ص 75-76.

[2] ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء6 3 500.

[3] حسن راضي العامري: المرجع السابق، ص 159.

[4] تهاد عباس زينل: الإنجازات العلمية للأطباء في الأندلس ص 249.

[5] المقري: نفح الطيب9 32 6 3 185.

[6] ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 500.

[7] زينل: الإنجازات ،ص248

[8] زينل: المرجع السابق، ص188؛ حسن راضي العامري: المرجع السابق، ص 159.

[9] ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج3 6 3 860.

[10] قربليان بلد الدجن: هي مدينة بالأندلس كثيرة الزيتون وبها سقي كثيرة، والمقصود ببلد الدجن هو البلد الذي يسكنه المسلمون تحت حكم النصارى، ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص 455، ابن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج3 6 3 682.

السلطان نصر المستقر بوادي آش، رحل إلى مراكش ومكث فيها عدة سنين، وبعدها عاد إلى غرناطة في سنة (761هـ) وأثناء وصوله هلك، وتوفي في نفس سنة عودته بغرناطة [1].

المبحث الرابع: العادات الاجتماعية:

بانتقال الوافدين الأندلسيين إلى العدوة المغربية، كانوا قد جلبوا معهم زخما ثقافيا وتراثا اجتماعيا عظيمين. فنجد العادات والتقاليد ومظاهر الحياة اليومية، حيث حافظ الأندلسيون على تقاليدهم سواء في المعاملات أو في الأفراح أو طرق الطهي وتحضير الطعام، بالإضافة إلى نوعية اللباس والأكل. كما حافظوا على مظاهر الإحتفال بالأعياد الدينية مثل الإحتفال بالمولد النبوي الشريف وليلة القدر وعيد الفطر والأضحى. فقد كانوا يرددون الأناشيد والمدائح الدينية في هذه الأعياد مثلما كانوا يفعلونه ببلدهم الأم[2].

ا/اللغة واللهجة:

لما كثرت الوفود الأندلسية التي حلت واستقرت بمدن وحواضر المغرب الإسلامي، كان من الضروري أن تصبغ العادات الكلامية بطابع اللغة الأندلسية، وخاصة في بدايات الهجرات، حيث تميزت الجالية الأندلسية بطابع لهجتها الغرناطية المتميزة برقة مخارج حروفها وسهولة التلفظ بها ، وهي اللهجة التي كانت سائدة في عموم مدن الأندلس. وتأثرت بها الحواضر الكبرى في المغرب الإسلامي مثل الجزائر وبجاية وتلمسان وفاس وتونس[3].

وفي الفترات الأخيرة التي عرفت توافد أعداد كبيرة من الموركسيين، الذين غلب عليهم الطابع الإسباني خاصة في مجال العلاقات العامة والأعمال التجارية، مما ساهم في انتشار اللغة الإسبانية في بشكل ملفت في وسط المجتمع المغربي بصفة عامة[4].

ومن النماذج التي بقيت شاهدة على ترسخ انتشار اللغة الإسبانية لدى المنظومة اللغوية العامية لمجتمعات شمال إفريقيا، مجموعة كبيرة من الألفاظ الإسبانية التي دخلت على اللهجة العامية وأصبحت بمرور الزمن مألوفة جدا وغير مستغربة. وفيما يلي بعض الجداول التي تدلل على تلك الثروة اللغوية التي خلفها توافد الأندلسيين واستقرارهم بالمغرب الإسلامي.

[1] ابن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج3) 860-861.

[2] ناصر الدين سعيدوني: دراسات أندلسية،ص58.

[3] هلايلي حنيفي: المورسكيون الأندلسيون في المغرب الأوسط ،رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، غير منشورة،جامعة وهران 6758.

[4] هلايلي حنيفي: المورسكيون 6767-68.

*الجدول الأول: [1].

اللفظ باللهجة العامية	المدلول باللغة العربية	اللفظ باللسان الإسباني
براكة	كوخ	Barraca
بلصة	ساحة	Plaza
بندير	دف	Pandera
بلكة	لافتة	Placa
بلكون	شرفة	Balcon
كبو	معطف	Capote
الكوشة	الفرن	Cocha
لمبة	مصباح	Lambara
الماركة	النوع/الصنف	Marca
قرداش	آلة تستعمل في كربلة الصوف	Cards
غالطة	خطأ	Falta
سمانة	أسبوع	Semana
صباط	حذاء	Zapata
نانة	كلمة لتعظيم المرأة في الإسبانية، وتستعمل للجدة والحاضنة.	Nana

*الجدول الثاني: [2].

اللفظ باللهجة المغربية	مدلوله	اللفظ الإسباني
بابور	باخرة	Babor
باشدور	سفير	Emabajador
بلاصة	ساحة	Plaza

[1] محمد رزوق: الأندلسيون وهجراتهم 162-163.
[2] محمد رزوق: المرجع نفسه 63 344-345.

بلوزة	لباس	Blusa
دورو	نقد اسباني	Duro
الرويدة	العجلة	Reuda
الكالة	حجارة أو غيرها توضع أمام العجلة وخلفها كي تثبت مكانها	Cala
طابة	تبغ	abaco
كانتينا	حانة	Cantina
كاميلا	قدر	Gamela
الكنابي	شبه سرير من الخشب	Canapé
كارطة	ورقة اللعب	Carta
ك ارو	سيجارة	Cigarro
صندالة	نعل	Sandalia
كومير	خبز	Comer Elpan
كمبيانة	شركة	Campania
كورنيطة	بوق	Corneta

ب/ اللباس والمظهر الجمالي :

أما من حيث اللباس فقد نجح الأندلسيون في فرض أذواقهم على أغلبية سكان المدن كالجزائر والبليدة وشرشال والقليعة، حيث كان لباس المرأة يتكون من عدة قطع، نذكر منها القمجة، طوق، الفستان، الصدرية، القرباطة، البليغة، الريحية، المحرمة، والملاية. حيث أصبحت هذه الملابس لها شهرة واسعة في جمع الأنحاء الجزائرية خاصة[1].

[1] ناصر الدين سعيدوني: دراسات أندلسية،ص60.

وبذلك أثر الأندلسيون خلال استقرارهم بمدن المغرب الإسلامي في ميدان اللباس وحسن المظهر بصفة عامة، مع ملاحظة أن بعض الألبسة ظلت محتفظة بشكلها العام وتسميتها، في حين نجد أخرى اختفى اسمها الأندلسي[1].

ويشير الدكتور عبد العزيز فيلالي إلى أن المجتمع المغربي عامة والتلمساني خاصة، قد تأثر بالجانب الجمالي والفني الذي كان يتميز به الوافدون الأندلسيون. حيث أن المرأة الزيانية قد تأثرت بلباس المرأة الأندلسية. فقد لبست سراويل وقمصان من القطن وغزارا من الحرير، وغطت رأسها بالطرحة، والأحرام المصنوعة من الحرير و من الكتان الخفيف، وارتدت ضروبا من الثياب مختلفة الألوان والأنواع على الطريقة الأندلسية المشهورة[2].

والملاحظ أن أفراد الجالية الأندلسية كانوا ميالين إلى التأنق في اللباس، حريصين على النظافة، وهذا ما أشار إليه ابن سعيد بقوله:" وأهل الأندلس أشد خلق الله اعتناء بنظافة ما يلبسون وما يفرشون وغير ذلك ما يتعلق بهم. وفيهم من لا يكون عنده إلا ما يقوت به يومه فيطويه صائما ويبتاع صابونا ينظف به ثيابه، ولا يظهر فيها ساعة على حالة من تنبو العين عنها." ومنهم من ينسب–إلى البخل- بسبب كثرة احتياطه وتدبير معاشه، وحفظ ما في أيديهم خوف ذل السؤال [3].

وبالنسبة للباس الرجال الأندلسيين فقد وجدنا أن المصادر تغفل هذا الموضوع، إلا أن الثابت تاريخيا أن الشاشيّة الأندلسية، والتي تعدّ من الألبسة التي أخذها معهم الوافدون الأندلسيون إلى شمال افريقيا، وهي عبارة عن قلنسوة حمراء كان يضعها رجال المخزن، والعلماء، والتجار، والطلبة، واستمر وجودها إلى اليوم. أما الشاشية السوداء فهي خاصة باليهود[4].

ويذكر أن المرأة في المغرب الإسلامي قد تأثرت بلباس وزينة المرأة الأندلسية. حيث لبست سراويل وقمصان من القطن وإزارا من الحرير، وغطت رأسها بالطرحة، والأحرام المصنوعة من الحرير أو من الكتان الخفيف، وارتدت من ضروبا من الثياب مختلفة الألوان والأنواع على الطريقة الأندلسية المشهورة[5].

---

[1] محمد رزوق: الأندلسيون وهجراتهم،ص349.

[2]فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، 269.

[3] محمد رزوق: الأندلسيون وهجراتهم،ص348.

[4] محمد رزوق: الأندلسيون وهجراتهم،ص296.

[5] عبد العزيز فيلالي: تلمسان،ص 269.

ومما يشار إليه في اقتباس المرأة التلمسانية زي اللباس النسوي الأندلسي مثل لبس وارتداء العصّابة، والغفّارة المتمثلة في قطعة من القماش تضعها المرأة بين رأسها والخمار حتى لا يتسخ خمارها بالزيت الذي تتعطر به[1]. وقد لبست المرأة النعال في معظم المدن التي نزل بها الأندلسيون، كنظيرتها الأندلسية، حيث أن النساء كنّ يمشين بنوع من النعال يحدث صوتا عند المشي لجلب الأنظار ويسمّى" الخفاف الصرارة " وكان المحتسب ينهى الخرّازين عن صنع تلك النعال[2].

وفي عموم حواضر المغرب الإسلامي مثل تلمسان وفاس وتونس فقد استمر الزي الأندلسي في الظهور والتداول، بما في ذلك اللباس الأندلسي الأصيل .فقد عرفت تلمسان بالطابع الأندلسي الغرناطي في لباسها، حيث لازالت النساء التلمسانيات تحتفظن بالمورو الذي استقدمته أسلفهن من الأندلس أو أخذنه عن الأندلسيات اللواتي لجأن واستقرين بتلمسان، ليصبح مزيجا بين المحلي والوافد.

ج/الإحتفالات والأعراس:

ومن الآثار الأندلسية في أعراس المغرب الإسلامي برزت ظاهرة الإختلاط بين الرجال والنساء لسماع المغنين والمغنيات. إذ انتشر في تلمسان خلال العهد الزياني هذا اللون من الطرب والموسيقى الأندلسية والترف الاجتماعي[3].

ومن النماذج السلبية لتلك الحفلات الماجنة ما ذكره الونشريسي وهو يصف مدى اللهو والمجون الذي حصل في إحدى حفلات الأعراس. فيقول:" صفة العرس أن يخمر في المزامير فيجمع مع الفسق ويخرجون لهم موضعا واسعا فيجلبون الخمر ويشربونها، وإن كان الليل يحضرون النساء والزواني مختلطات معهم فوق أسقف الديار والجدران والطرق" [4].

ومهما يكن من أمر، فإن الوجود الأندلسي في بلاد المغرب الإسلامي كان له الدور الايجابي البارز في تنمية عدة مجالات اجتماعية، وبالنظر لما كان عليه هؤلاء الوفود من حضارة ورقي في التفكير والمعاملة

---

[1] دوزي رينهرت :المسلمون في الأندلس تر :حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1990 ص114 .

[2] الونشريسي أبو العباس احمد: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب،تح:محمد حجي،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط،1983 ج6 : 420.

[3] مريم بوخاوش :آثار سقوط الأندلس على بلاد المغرب الأوسط دكتوراه غير منشورة، قسم التاريخ، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، 2015 ص290.

[4] الونشريسي: المعيار، ج3 :271.

والصنائع وغيرها ، بثوا تلك الأمور في المجتمع الجديد من أجل إيجاد جو للتأقلم والسعي إلى تعويض وطنهم الأم ونفي الغربة. ومع ذلك منهم من لم يستطع الإندماج والانصهار فحافظ على هويته وانكفأ على نفسه.

الفصل الثالث: الدور الاقتصادي للوافدين إلى بلاد المغرب الإسلامي

المبحث الأول:دور الوفود الأندلسية في تفعيل النشاط الحرفي والصناعي.

المبحث الثاني: دور الوفود الأندلسية في الزراعة والنشاط الفلاحي.

المبحث الثالث: دور الوفود الأندلسية في التجارة والشؤون المالية.

يعتبر العامل الاقتصادي دافعا رئيسيا اضطر الأندلسيون بسببه إلى الانتقال إلى العدوة المغربية. ذلك أن الأوضاع الاقتصادية قد تردت نتيجة زيادة الخطر النصراني. فغلت الأسعار وضاقت المعيشة. هذا من جانب ومن جانب آخر فإن الوافدين الأندلسيين وجدوا في بلاد المغرب الإسلامي فرص العمل والكسب والعيش الكريم. مما جعلهم يستقرون هناك ويؤسسون لتجارات وصنائع ومزروعات كانوا قد اشتهروا بها في الأندلس.

لقد كان للوفود القادمة الى بلاد المغرب الإسلامي والمتنقلة خلاله، وبين ربوعه، دورا اقتصاديا مهما. لاسيما وأن كثيرا من أولئك الوافدين كانوا من أهل الأندلس. وعلى مر الفترات المتعاقبة استقرت تلك العناصر الوافدة، وأصبحت ضمن النسيج الإجتماعي والإقتصادي المغربي فاشتغلوا في معظم الأنشطة التجارية والفلاحية والصناعية والحرفية، ناهيك عن مجال الإدارة الذي تعرضنا له من قبل.

المبحث الأول: دور الوفود الأندلسية في تفعيل النشاط الحرفي والصناعي

1/اندماج الحرفيين والصناع الأندلسيين في مجتمع المغرب الإسلامي:

لقد وجد لدى هؤلاء الوافدين طاقات ومهارات كبيرة في مختلف صنوف الحرف والمهن. لذا فقد اندمجوا بسرعة في عديد النشاطات الزراعية والتجارية والمعمارية. وحققوا نجاحات باهرة على مستوى تمكنهم من الصنعة وإبداعهم في ابتكار أساليب جديدة لم تكن معروفة عند أهل المغرب.

ولما كانت الحرف والمهن من أهم مصادر دخل الدولة الزيانية بما تساهم به في إضفاء الطابع العمراني المتميز خاصة للحاضرة العريقة تلمسان. مما استدعى أن تكثف السلطة الزيانية جهودها لتفعيل النشاط الحرفي بها. عن طريق الإستفادة من خبرة الأندلسيين خاصة بعد أن أعطيت لهم ضمانات من قبل السلطان يغمراسن بن زيان(633-681هـ/1235-1282م) الذي أصدر ظهيرا يخص الجالية الأندلسية[1].يقول المقري " وأما أهل الصنائع فإنهم كانوا أهل البلاد وقطعوا معاشهم، واخملوا أعمالهم، وصيروهم أتباعا لهم، ومتصرفين بين أيديهم. ومتى دخلوا في شغل عملوه في أقرب مدة، وأفرغوا فيه من انواع الحذق والتجويد ما يميلون به النفوس إليهم، ويصير الذكر لهم" [2].

---

[1] نصيرة عزرودي الدولة الزيانية ودورها في تفعيل النشاط الحرفي بالمغرب الأوسط، مجلة الناصرية جامعة مصطفى اسطنبولي معسكر مج4 1،يونيو2013 244.

[2] المقري نفح الطيب ج3 152.

وكانت وجوه الصنائع في دولة أبي زكرياء الحفصي لا تكاد تجدهم إلا من الأندلس. وفعلا فإن تنظيم أسواق مدينة تونس في العهد الحفصي قد وقع تجديده، بفعل الهجرة الأندلسية، ومدى تأثيرها على تطور الحرف. فالآلة المستعملة في قطاع النسيج والغزل تبدو مستقدمة من شبه الجزيرة الأيبيرية[(1)].

وبسبب الفراغ الديمغرافي الذي عرفته تونس، فإن قدوم أيد عاملة جديدة قد ساهم في التوازن في اقتصاد المنطقة. خاصة وأن منهم من كان يبحث عن سبل الإرتزاق مع براعة العمل التي اشتهروا بها. فكان سكان بلاد المغرب تستهويهم منتجات الحضارة الأندلسية مع خبرة الأندلسيين بالبلاد المسيحية في التجارة. فكانت تؤهلهم لأن يلعبوا الدور الحاسم مع وجود تنظيمات نقلها الأندلسيون إلى أسواق بجاية خصوصا والمغرب عموما[(2)].

وباستمرار تدفق الهجرات الأندلسية إلى بلاد المغرب الإسلامي والمغرب الأوسط خاصة، فقد تقاطرت منهم أعداد وفيرة إلى تلمسان. وامتهنوا مختلف المهن والصناعات كالبناء والعمارة وصناعة الجلود وفن الخطوط والتعليم ونجارة الخشب، ومختلف الصناعات المفيدة من طرز نسيج الحرير خياطة القطن والكتان وغزل الصوف. وقاموا بتطوير صناعة الفخار.. وسائر الأواني المنزلية المعروفة آنذاك[(3)]. وينقل لنا الدكتور عبد العزيز فيلالي نصا عن ابن الأعرج عن الصناعات الأندلسية بتلمسان يقول فيه " وكان لعهد نزول الأندلسيين بها(أي تلمسان) مزدانة بالمصانع المفيدة، فما شئت من أطرزة، ومنسوجات الحرير، والقطن والكتان والصوف، ومعامل الفخار وأنواع الأسلحة، وسائر الأواني المنزلية... وراجت بين الناس آدابهم وراجت مصانعهم"[(4)].

حيث يرجع الفضل في انتشار كثير من المنتوجات الصناعية إلى تنوع المواد الأولية التي تزخر بها بلاد المغرب من جانب ومن جانب آخر فإن الفضل يعود لقدوم الوافدين الأندلسيين نحو بلاد المغرب بصفة عامة. والإرتقاء بهذا النوع من الصناعات التي لقيت اهتماما كبيرا ورواجا واسعا، لدى معظم شرائح المجتمع. بما في ذلك النساء اللواتي برعن في صناعة النسيج وخاصة صناعة الزرابي، والطربوش المغربي الذي

---

[1] محمد حسن البادية والمدينة،ص597.

[2] حورية سكاكو التحولات،ص225.

[3] نصيرة عزرودي الدولة الزيانية ودورها في تفعيل النشاط الحرفي بالمغرب الأوسط،ص246-247.

[4] فيلالي تلمسان في العهد الزياني،ج1 177.

انتشرت صناعته في تونس مع الوفود الأندلسية. وكانت توضع علامة بالخيط الأسود داخل الطربوش لتدل على هوية صاحب الصنعة[1].

وقد استعانت تلمسان في أيام أبي حمو الأول(707-718هـ/1307-1318م) وابنه الأمير أبي تاشفين(718-737هـ/1318-1336م) بالصناع والفعلة من أهل غرناطة. وهؤلاء مهروا في مختلف الميادين من صناعة البناء، وهندسة البساتين، وبناء المنازل، مما جعلهم محط إعجاب التلمسانيين وغيرهم من المغاربة. وقد توافد هؤلاء الصناع على المغرب الأوسط فيما بعد وعلى فترات مختلفة، مما ساعد على نمو الحرف في البلاد[2].

كما عرفت في تلمسان خلال العهد الزياني أسرا اشتهرت بحرف وصنائع معينة، منها أسرة بني الملاح الذين كانوا يشتغلون بحرفة صياغة الذهب والفضة. ونزلوا في جملة من وفد إليها من جالية قرطبة فزاولوا بها حرفتهم، واستعملهم ملوك بني زيان في أشغال دولتهم. وعينوا في وظيفة سكة الدنانير والدراهم[3].

كما كان انتقال بعض الحرف والصنائع من الأندلس مع الوفود الأندلسية المستقرة ببلاد المغرب، حيث بعد أن انتشرت الصناعات الجلدية بقرطبة تلاشت في العصر الموحدي وتصدرت مكانها في بجاية التي برع أهلها في صناعة الأحذية بمختلف الأشكال[4].

ومما زاد في نزول الوفود الأندلسية على حواضر المغرب الاسلامي، الحركية الاقتصادية التي كانت رائجة آنذاك. ولا شك أن تشجيع ولاة الأمر للصناع الأندلسيين على المجيء قد أحدث تقدما صناعيا نتيجة الإحتكاك المباشر بين صناع البلاد والخبرة الصناعية الوافدة من الأندلس[5].

2/ تشجيع السلطة للنشاط الحرفي والحرفيين الوافدين:

اكتسى النشاط الحرفي أهمية بالغة في اقتصاد المغرب الإسلامي، سيما وأنه يستقطب أعدادا كبيرة من اليد العاملة سواء من الأهالي أو من الأندلسيين. وكان منهم الحرفيون والتجار، كلهم عملوا على تنمية

[1] مريم بوعامر الهجرة الأندلسية 52.

[2] عمر بلبشير مساهمة في دراسة النشاط الصناعي والحرفي في المغرب الإسلامي من خلال النصوص النوازلية والجغرافية، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية جامعة مصطفى اسطنبولي معسكر 04، جوان 2013 ص290.

[3] عبد الحميد حاجيات تطور العلاقات بين تلمسان وغرناطة في العصر الوسيط،ص41.

[4] عز الدين أحمد موسى المرجع السابق،ص230.

[5] حورية سكاكو التحولا 223230.

الصناعة والتجارة. لكنهم تعرضوا في فترة من الزمن للسلب والنهب بعد وفاة الملك أبي عبد الله الحفصي بعد سنة 923هـ، من طرف بابا عروج مرة ومن طرف الكونت دالكاوديت مرة أخرى فأصبحوا بعد ذلك يتكففون[1].

ورغم هذا المثلب الذي تعرض له الأندلسيون، إلا أن رغبة كثير منهم في احتراف الجندية كان أمرا واقعا. ففي العهد الحفصي كانوا يمتهنون مختلف الحرف، وبلغ بهم الحال للعمل في الجيش، وأصبحوا يكونون فيلقا مستقلا بذاته[2]. واتبع خلفاء الموحدين سياسة استقدام الصناع المهرة إلى العاصمة مراكش وغيرها من المدن المغربية. وذلك للاستفادة من خبراتهم، ومن أمثلة ذلك استقدام الخليفة عبد المؤمن الحاج يعيش المالقي والذي أمره بصناعة مقصورة هندسية ميكانيكية بالمسجد الجامع[3].

كما أن تشجيع ولاة الأمر للصناع الأندلسيين على المجيء إلى البلاد قد أثمر تقدما صناعيا نتيجة الإحتكاك المباشر بين الصناع من البلاد والخبرة الصناعية الوافدة من الأندلس. وحتى في أوقات الحروب وما يصاحبها من سفك الدماء ، فإن الخليفة عبد المؤمن كان حريصا على حياة الصناع حتى لا تصاب الصناعات بالإضمحلال[4].

وكان لملوك بني زيان مؤسسة " دار الصنعة" التابعة للدولة لإنتاج الأسلحة والعتاد التي كانت الدولة بحاجة إليه.. ولا شك فإن هذه الصناعة التقليدية التي أشاد بأهميتها الجغرافيون مثل البكري والإدريسي والزهري خلا عهد المرابطين والموحدين، قدا ازدادت نموا وازدهارا أيام الزيانيين. كما أن العديد من الأندلسيين المسلمين والنصارى قد ساهموا في ذلك التطور بقسط وافر، إلى جانب العناصر المحلية[5].

ولم يكتف الأندلسيون الوافدون إلى بلاد المغرب الإسلامي بذلك، بل حملوا معهم تنظيماتهم إلى المغرب، فقد كانوا منتظمين في طوائف حرفية تسمى "نقابات" وبالنظر لما وجدوه من إقبال فقد أدخلوا العديد من الحرف إلى المغرب ووجدوا لها البيئة الملائمة لتطويرها وتصريفها[6].

---

[1] الوزان وصف إفريقيا،ج2 20؛ برونشفيك افريقية، ج161202.

[2] برونشفيك افريقية، ج159202-160.

[3] حسن علي حسن الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس،ص261.

[4] المرجع نفسه

[5] عبد الحميد حاجيات تطور العلاقات بين تلمسان وغرناطة في العصر الوسيط،مجلة عصور الجديدة،جامعة وهران، ع2 201112 402.

[6] محمد رزوق الأندلسيون وهجراتهم،ص320.

هذا وقد برعت أغلب العائلات الأندلسية الحضرية في صناعة ملابس العروس التي أعطتها اهتماما كبيرا وفي فن التطريز وصناعة الألبسة المصنوعة من الحرير والمطرزة بالذهب والفضة وصناعة أجود غرز للتطريز[1]. كما نذكر أيضا من جملة الصناعات التي حملها معهم الأندلسيون إلى الجزائر صندوق العروس الذي كان يصنع من عود العرعار الصلب في هيكل غاية في الكبر لتجمع فيه العروس لباسها[2].

وقد لعبت الجالية الأندلسية دورا هاما في تطوير الصناعات الجلدية في المجتمع الزياني. فكانت تلك الأحذية تباع في الأسواق التابعة للدولة الزيانية. حيث كان التجار يشترونها من الورشات الخاصة بصناعتها ثم يوزعونها على التجار الصغار بالمدن والأرياف[3].

كما أن صناعة السروج ازدهرت على أيدي الأندلسيين الذين استقروا في تلمسان وفتحوا لهم ورشات بها. ولا تزال لحد الآن في المناطق الغربية من الدولة الجزائرية. ومن هذه الصناعات اللجوم، كما راجت في بلاد بني زيان صناعة الزيوت لما لها من أهمية كبيرة في إضاءة البيوت والقصور[4].

3/ استعمال الحرفيين النصارى:

وبفعل شهرة البنائين الأندلسيين وإتقانهم لفنون البناء والعمارة، فقد ولع السلطان الزياني بالبناء والتعمير، مما جعله لا يكتفي بالخبرة الأندلسية، بل استعان بالأسرى النصارى والنجارين والزلاجين والزواقين. فبنى البلاد، وشيد القصبات والأسواق والمساجد وزين البلاد. فكانت مملكته عظيمة[5].

ولما انتقل كثير من الوافدين اليهود إلى المغرب، كانوا مهرة في عدد من الحرف مثل النجارة والبناء وخرط الأخشاب. فكانوا بدورهم يوظفون لهذا العمل عددا من رقيق النصارى الذين كان مواليهم يقدمون لهم ما يتعيشون به بدلا عن الدراهم التي يستحقونها[6].

نستنتج من خلال ما سبق أن براعة الوافدين الأندلسيين في الحرف والصنائع مكنهم من الشهرة والتميز في حواضر المغرب الإسلامي. ونظرا لجودة منتجاتهم اليدوية فقد أصبحت الأسواق تشتهر بهذه الأنواع من

---

[1] شريفة طيان ساجد ملابس المرأة وأزياؤها في العهد العثمان مجلة الدراسات التاريخية، العدد 15 ،معهد الآثار، جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله 2012-2013 214.

[2] محمد رزوق الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب ، ص 267 .

[3] مختار حساني تاريخ الدولة الزيانية،ج2 93.

[4] المرجع نفسه.

[5] نصيرة عزرودي الدولة الزيانية ودورها في تفعيل النشاط الحرفي بالمغرب الأوسط،ص245.

[6] عطا علي محمد شحاتة اليهود في بلاد المغرب الأقصى في عصر المرينيين والوطاسيين،ط1دار الكلمة للطباعة،دمشق،سوريا،1999 148.

الصناعة خاصة الجلدية والفخارية.. وأصبحت السلطة تشجع هؤلاء الصناع والحرفيين لما يحدثونه من حركية اقتصادية وتجارية. كما استثمروا في وجود الحرفيين اليهود والنصارى الذين برعوا في البناء والنجارة. واستفاد المجتمع من إبداعاتهم ومهاراتهم.

المبحث الثاني: دورهم في الزراعة والنشاط الفلاحي.

كان سكان بلاد المغرب خلال العصور الوسطى مثل باقي الشعوب يعتمدون اعتمادا كبيرا على الفلاحة. التي ارتبطت بالأرض والماء والتقنيات والمجهود البشري. وقد اختلفت التقنيات المتبعة من منطقة إلى أخرى. وذلك بإختلاف المهارات وطبيعة الأرض ودرجة غنى تربتها وقابلية مناخها لهذا النوع الزراعي أو ذاك[1].

كما أن التنوع الطبيعي والإقليمي الذي تتمتع به بلاد المغرب انعكس إيجابا على مردوده الفلاحي النباتي منه والحيواني على مر العصور التاريخية. وهذا ما أظهرته معظم أسواقه التي عرفت رواج أنواع مختلفة مما جادت به أراضيه من فواكه وخضر ، أو مما جادت به فصائله الحيوانية الممتازة نوعا[2].

1/نقل المؤثرات الزراعية الأندلسية إلى بلاد المغرب الإسلامي:

وأما التأثيرات الأندلسية في مجال الزراعة في المغرب الإسلامي. وبفعل الأعداد الكبيرة من الوفود الأندلسية التي تهافتت على حواضره مما جعل السلطة تستعين بهم وتستفيد من خبراتهم وخدماتهم خاصة في البستنة وفلاحة الأرض. لا سيما وادي اللوريط الواقع شرق تلمسان. فشيدوا قرى وبساتين، وأسسوا مصانع عديدة ومتاجر كثيرة. وغرسوا الحقول والمزارع المختلفة الثمار، فجلبت للبلاد وأهلها الخير والنعمة[3].

ويعود الفضل إلى الفلاحين الأندلسيين الوافدين إلى بلاد المغرب الإسلامي في نقل بعض المزروعات الجديدة التي جلبوها معهم من الأندلس. حيث زرعوا بالمنطقة النارنج والفلفل والبطاطس والقرمز والبذنجان

1 بلعمر جوانب،ص153.

2 المرجع نفسه،ص179.

3 نصيرة عزرودي الدولة الزيانية ودورها في تفعيل النشاط الحرفي بالمغرب الأوسط،ص248.

والزعفران والسبانخ والجلبان وأنواع الزهور، وقاموا بتوسيع زراعة الليمون والبرتقال في نواحي البليدة، وكذلك التوت في كل من القليعة وشرشال من أجل تربية دودة الحرير[1].

كما قام الأندلسيون المستقرون بالجزائر والبليدة والقليعة والمدية بإدخال التقنيات الزراعية المتطورة إلى هذه المدن، من حيث آلات العمل الفلاحي وطرق التجذيب والتلقيح والغراسة واختيار التربة ونوعية المياه. مما أدى إلى تطوير انتاجها وتحسين أنواعها بعد أن كانت تعاني الإهمال، ومنها البرتقال والعنب والزيتون والجوز واللوز والأجاص والكروم، بالإضافة إلى أنواع أخرى من البطيخ[2].

ويورد لنا المقري نصا عن هجرة الأندلسيين ودورهم الفلاحي ، فيقول " ولما نفذ قضاء الله تعالى على أهل الأندلس، بخروج أكثرهم عنها في هذه الفتنة الأخيرة المسيرة، تفرقوا ببلاد المغرب الأقصى من بر العدوة مع بلاد إفريقية، فأما أهل البادية فمالوا في البوادي إلى ما اعتادوه، ودخلوا أهلها وشاركوهم فيها فاستنبطوا المياه، وغرسوا الأشجار، وأحدثوا الأرحي المطاحنة بالماء وغير ذلك. وعلموهم أشياء لم يكونوا يعلمونها ولا رأوها. فشرفت بلادهم وصلحت أمورهم، وكثرت مستغلاتهم، وعمت الخيرات"[3].

كما قام الأندلسيون المستقرون بتلمسان وضواحيها بدور فعال في المجال الزراعي. حيث استقر الفلاحون منهم بالريف، فأفادوا مواطنها بتجربتهم من ري إلى غراسة وتربية الحيوانات كالأغنام والأبقار والخيل والماعز، لأنها حرفة تلائم أهل الريف وتمكنهم من التهرب من الضرائب[4].

ويظهر لنا من خلال هذا النص أن الوافدين الذين كانوا من أهل البوادي كانوا قد توجهوا إلى البوادي والأراضي الزراعية. فظهر منهم نشاط لافت في الفلاحة واستخراج المياه، وغرس أنواع ا لأشجار وبناء الطواحين الهوائية. وجاؤوا بطرق جديدة متطورة في الزراعة والري. علموها لمن خالطهوهم من أهل المغرب الإسلامي. فنتج عن هذا ازدهارا وتجديدا في مهنة الفلاحة، ووفرة في الإنتاج، وفائض في المحاصيل[5].

---

[1] ناصر الدين سعيدوني الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية، (الجزائر –تونس –طرابلس. الغرب)من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر الميلادي، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت 1431 هـ/ 2010) ص29.

[2] بلغيث محمد الأمين الأندلسيون وآثارهم بفحص الجزائر ومتيجة،دراسة مهداة إلى الأستاذ موسى لقبال،كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر 06. 2009

[3] المقري نفح الطيب،ج3 152063.

[4] محمد طمار الروابط الثقافية،ص237.

[5] محمد سعداني الأندلسيون وتأثيراتهم،ص163.

وفي إفريقية استخدموا مهاراتهم في فلاحة الأرض وزراعتها بأساليبهم الزراعية حيث مصروا إقليمها – أي تونس– ونوعوا بها الغراس. فكثرت متنزهاتها وامتد بسيط بساتينها. وفي القرن ال9هـ/15م، توافد على تونس أعداد من المهاجرين الصقالبة إثر الإحتلال النورماندي لصقلية، وكذلك سكان البليار من بني غانية الذين كانوا يسكنون إفريقية[1].

وقد اشتهر عن الأندلسيين الوافدين شغفهم بالبستنة وطرق الري الكثيرة. والجدير بالذكر هنا أن الطوبونوميا(المواقع الحضر–ريفية) التي تركت لنا بصمات الماضي وذكرتنا بالجهد البشري، فقد أطلق على الأجنة الواقعة قرب القصر السلطاني برأس الطابية اسم مالقة[2]. والملاحظ أن البستنة لم تكن حكرا على الوافدين من أهل البادية، إنما شغف بها كذلك أعيان الأندلسيين في الحضر الذين أقطعهم السلطان الحفصي أجنة في المجال المحيط بالمدن الكبرى[3].

وباستقرار الوفود الأندلسية بمدينة الجزائر أصبح لهم نشاطا زراعيا ملحوظا، فقد تمكنوا من استصلاح مساحات شاسعة من الأراضي بنواحي متيجة وشرشال ووهران وتلمسان وعنابة، فأصبحت سهول متيجة والضواحي المحيطة بمدينة الجزائر تشتهر بزراعة الأشجار المثمرة كحب الملوك(الكرز) والإجاص والتفاح وخاصة البرتقال والعنب. وذلك بفضل فلاحي فلانسيا وأرغون ذوي التقاليد العريقة في ممارسة الفلاحة[4].

2/ التشجيع الرسمي للفلاحين الوافدين:

كما تم الترحيب بالوافدين الأندلسيين رسميا وشعبيا أثناء العهد الزياني، وتم توزيع الأراضي على الفلاحين منهم. ومن المؤكد أن تواجدت كثير من الأسر الخبيرة بشؤون الزراعة في حاضرة تلمسان، مما ساهم بقسط وافر من تطوير الناحية الزراعية والتجارية للدولة الزيانية. بسبب كثرة وجودة اليد العاملة ، واستعمال التقنيات الزراعية والإروائية الأندلسية المتطورة، وكثرة الإنتاج وسهولة طرق تصريفه. ومن الأمثلة على ذلك الأسرة العريقة التي وفدت من الأندلس إلى بلاد المغرب أسرة بني الملاح الذين نزلوا حاضرة

---

1 سكاكو حورية التحولات ،ص225.

2 محمد حسن البادية والمدينة،ص592.

3 المرجع نفسه.

4 ناصر الدين سعيدوني دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر(الفترة الحديثة والمعاصرة) ،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر1985) 139-140.

تلمسان، واحترفوا الأرض وفلاحتها بعد أن أقطع لهم الأمير يغمراسن ملكيات زراعية واسعة في تلمسان وأرباضها وعمم ذلك على كل الجالية الأندلسية المستوطنة في مملكته[1]

أما في إفريقية (تونس) فقد منح أبو زكرياء الحفصي الإقطاعات للحسن بن محمد بن خلدون، وكان حفيده عبد الرحمن يمتلك ضيعة الرياحين بناحية تبسة. أما الوزير أبو عبد الله محمد الرميمي الذي خرج من ألمرية سنة 643هـ/1244م، فإنه تملك بتونس الضياع والقرى، وشيد القصور[2].

3/ الإستفادة من خبرات النصارى واليهود الوافدين في مجال الزراعة:

أما الجاليات المسيحية القادمة إلى المغرب فقد تركت في ميدان الفلاحة أثرا ايجابيا وكان لتلك الجاليات القادمة من اسبانيا خبرة كبيرة في مجال العمارة والفلاحة والسقي وغيرها. ولهذا السبب لا نشك في أن هؤلاء ساهموا في تقدم الزراعة بالمغرب[3].

وساهمت تلك الوفود المتتابعة من الأندلس في تزويد سكان البلاد بالخبرات الفلاحية، مما أسهم في تنشيط الزراعة، حيث اقتبس المغاربة الكثير من العادات الفلاحية من أهل الأندلس. إذ اشترك الأندلسيون مع إخوانهم المغاربة، في تبادل الخبرات بشأن تنمية الزراعة والعمل على نهضتها[4]. حيث كانت الإستعانة بخبراء الزراعة والفلاحة من أهل الأندلس، ومنهم المهندس الأندلسي أحمد بن ملحان الطائي، والذي عهد إليه عبد المؤمن بن علي بإنشاء بستان كبير له في مراكش[5].

وبسبب التوافد لمنقطع النظير لليهود والنصارى على بلاد المغرب الإسلامي، فقد كانوا في غالبيتهم يسكنون المدن ويشتغلون بالحرف والتجارة. والقليل منهم كسب أرضا أو توجه إلى الزراعة. ونظرا لعدم امتلاكهم أراض زراعية، ففي بداية نزولهم اشتغلوا بالرعي ثم تعلموا شؤون الزراعة تدريجيا. فاهتموا بعقد المغارسة الذي انتشر في بلاد المغرب. يسلم بموجبه صاحب الأرض لشريكه ليعمل له من اعمال الغرس

---

1 رفيق خليفي حرفيو السك النقدي في المغرب الزياني،أسرة ابن الملاح نموذجا(633-718هـ/1236-1318م) مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية،جامعة مصطى اسطنبولي معسكر 04،جوان2013 90042.

2 محمد حسن البادية والمدينة،ص59.

3 بوتشيش تاريخ الغرب الإسلامي،ص105.

4 حسن علي حسن الحضارة الإسلامية،ص236.

5 هشام أبو رميلة علاقة الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس، جامعة النجاح نابلس،دار الفرقان،2007 389.

والبذر شراكة على ان يكن الربح بينهما حسب الإتفاق في أصل العقد. حيث يكون للغارس نسبة متفق عليها من الربح. وتكون القسمة في فترة الإطعام. ولا يمكن للغارس التصرف في نصيبه قبل المدة المعينة[1].

وفي القرن السابع الهجري توافدت أعداد كبيرة من يهود الأندلس. فقام المهاجرون الأثرياء بكراء الأراضي الزراعية. كما امتلكوا بعض القرى التي كانت تتوفر على الحقوق والبساتين. وبينما كان اليهود الأهالي ذوو الدخل القليل يشتغلون بالزراعة وبيع المنتوج[2]) لذلك وجدت إشارات نادرة عن دورهم في الزراعة بخلاف اليهود المستقرين منذ فترات طويلة. فكان بعضهم من الأثرياء يزرعون ويمتلكون الأرض بل ويمتلكون قرى أو ضواحي بعض المدن بما فيها من حقول وبساتين وحدائق الفاكهة ومزارع العنب. أما اليهود الأقل ثراء فكانوا يعملون بأنفسهم ثم يبيعوا المحاصيل في الأسواق. ونظرا لإمتلاك بعض اليهود أراض زراعية في العهد الموحدي، فقد اشتغلوا في زراعة الكروم والذرة والقطن والكمون والحناء، التي كانت تصدر إلى مختلف البلدان مما ساهم في تطوير الاقتصاد الموحدي[3].

ولم يكتف الأندلسيون بالجانب العلمي، بل اهتموا أيضا بالجانب النظري، فقد ألف محمد بن علي الشطيبي الأندلسي رسالة رتبها على ثمانية أبواب. اعتمد فيها على ما تقرر في كتب الفلاحيين الأندلسيين. أمثال بن بصال، وابن وافد ، وابن ليون التجيبي، كما اعتمد على تجاربه الشخصية لاستخلاص ما يلائم طبيعة البلاد المغربية[4].

4/ نقل التقنيات المائية الأندلسية:

وإذا أضفنا إلى المعطيات السابقة تأثيرات الأندلسيون في الجانب الإقتصادي، فإننا نجدهم قد نقلوا ما عرفوا به من حذق وفن في مجال التقنيات المائية، بمشاركتهم في تشييد السواقي والبرك والنافورات. فإن مشاركة الأندلسيين في إنجاز هذه الأعمال المائية الكبرى تبدو واضحة . فكان ترميم الحنايا التي توصل الماء إلى مدينة تونس والرياض السلطانية(جنة أبي نهر) سنة661هـ/1226م) حيث يعتبر أهم إنجاز يرجع إلى

---

[1] محمد حسن المدينة والبادية،ص411-416؛ سميرة نميش أهل الذمة،ص90.

[2] سميرة نميش المرجع السابق 89.

[3] عبد الرحمان بشير اليهود في بلاد المغرب العربي، (22-462هـ/662-1070م)) ط2، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، مصر،2001 90-91.

[4] محمد رزوق الأندلسيون،ص318.

تلك الفترة. وقد تزامن هذا العمل الضخم مع الهجرة الأولى، واستيطان النخب الأندلسية من مهندسين وخبراء في البناء وازدياد "الصناع وأرباب المعارف وأرباب البصر" بالحضرة التونسية[1].

كما برز أثر الأندلسيون في تطوير بعض تقنيات الري بالمغرب، إذ ساهموا في هذا المجال في تركيب عدة نواعير، خاصة في فاس. كما أسهم أندلسيو مراكش بمد عدة قنوات انطلاقا من تانسيفت. وقاموا باستغلال العديد من الضيعات الزراعية الممنوحة لهم من طرف الدولة[2].

وقد ساعد الوافدون الأندلسيون على تطوير الزراعة معرفتهم بطرق الري الملائمة و أهلهم بأن يقوموا بتنظيم محكم ودقيق للمصادر المائية المتوفرة بمقاطعة الجزائر حيث أنشأوا الأحواض والصهاريج، ومدوا السواقي والقنوات، وبنوا الحنايا والقناطير والناعورات، والسواقي ، ففي الجهات الغربية من الجزائر أصبحت كل من سهول الحامة ومنخفضات وادي كنيس وبئر مراد رايس وبني مسوس تنتشر الأحواض و الناعورات التي أقيمت على الآبار، هذا في الوقت الذي نجح فيه الصناع الأندلسيون في استغلال مياه العيون، فاستعملوا جزءا منها في ري البساتين[3].

كما اهتم اليهود الوافدون إلى بلاد المغرب الإسلامي بأمر الموارد المائية، وبعث السواقي ومدها إلى مختلف الأراضي الزراعية لسقيها. وأعدوا قنوات وشبكات مائية تصل التجمعات السكانية. وحتى داخل المباني والقصور. كما قام النصارى ببناء قصبة النصراني، بمنطقة شمال مدينة فاس[4].

وقام الأندلسيون باستخدام التقنيات الأندلسية الحديثة في استخراج المياه الجوفية من باطن الأرض وتوزيعها على الحقول والبساتين بإحداث الأراحي الدوارة للمياه[5]. أما عن طرق الري فقد كانت منظمة جدا بتلمسان حيث وضع جدولا يتضمن أوقات ري المحاصيل وعلى المزارعين اتباع الأوقات المحددة لذلك، وتتم العملية على مراحل باليوم الواحد فهناك من يروي نهارا وهناك من يروي ليلا، وهناك من الغداة إلى الزوال، ومنهم من الزوال إلى العصر. إذ كان مصدر المياه في المدينة نهر سطسيف ينقل إلى الساقيات

1 ابن قنفذ الفارسية،ص113.112؛ محمد حسن البادية والمدينة،ص594.

2 محمد رزوق الأندلسيون،ص318.

3 ناصرالدين سعيدوني دراسات أندلسية،ص44-45.

4 إبراهيم حركات المغرب عبر العصور،دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 2000 ص244.

5 فرحات محمد إبراهيم بكار الهجرات الأندلسية إلى بلاد إفريقية في العهد الحفصي(625-932هـ/1222-1474م)) مجلة العلوم والدراسات الإنسانية، العدد 27 جامعة محمد بن غازي، ليبيا،2016 .12

والقنوات. وتمر المياه لتصل إلى صهريج غرب المدينة ثم تسير بالقنوات إلى داخل المدينة للإستهلاك المنزلي والزراعي بعد أن تكون قد تشعبت إلى قنوات كثيرة لري المزارع والبساتين[1].

نستنتج أن الوافدين الأندلسيين قد وظفوا كامل قدراتهم وخبراتهم في الزراعة والسقي التي اكتسبوها في الأندلس واستعملوها في بلاد المغرب الإسلامي. فكثر الإنتاج وتنوع بحيث جلبوا معهم من الوسائل والبذور وأنواع الشجر المثمر ما لم يكن يوجد من قبل. كما نقلوا التقنيات المائية من تشييد السواقي والنافورات. واستفادت البلاد من خبرات وتجارب اليهود والنصارى في مجال الفلاحة والبستنة وغراسة الأرض. وكل ذلك مرده إلى تشجيع السلطة لهم على العمل في الزراعة بإقطاعهم أراض زراعية شاسعة لإستصلاحها وبعثها من جديد، فأصبحت من أخصب الحقول على الإطلاق.

المبحث الثالث: دور الوفود الأندلسية في التجارة والشؤون المالية:

ونتيجة تشجيع الخلفاء والسلاطين في العدوة المغربية، واستتباب الأمن، فقد أسهم كل ذلك في جذب كثير من أهل التجارة من الأندلسيين واستقرارهم بحواضر المغرب الإسلامي. فكثرت المبادلات التجارية ، وسادت السلع الأندلسية، وازدحمت الموانئ ، وامتلأت الأسواق ، وانتعش الإقتصاد ، وظهر ذلك جليا في ازدهار الحياة الإجتماعية أيضا.

1/ تفوق الوافدين الأندلسيين في الشؤون المالية:

عرف المسؤول عن المالية منذ وقت مبكر في الدولة الحفصية باللقب الذي كان يحمله في الدولة الموحدية. وهو "صاحب الأشغال" ففي عهد أبي زكرياء اضطر شيوخ الوحدين الذين كانوا يشرفون على مالية افريقية في أول الأمر إلى تحويل إدارة تلك المالية على مضض إلى بعض الموظفين الآخرين، بسبب تشعب المسائل المالية وتطور الاقتصاد. وأصبح من الضروري تدخل بعض الإختصاصيين الأكثر إطلاعا على الحقائق الاقتصادية، والمتعودين على الطرق الفنية الإدارية. وتداول بعض الأندلسيين العمل على هذه الخطة ومنهم سعيد بن أبي الحسن وأبي بكر بن خلدون في القرن 16م، وأبو القاسم بن طاهر في النصف الأول من القرن 14م[2].

[1] البكري المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب،ص77 .

[2] برنشفيك المرجع السابق،ج2 57.

ومما يدل على البعد الاقتصادي الذي برع فيه الوافدون الأندلسيون ، هو إسناد خطة صاحب الأعمال لأحدهم على عهد ملوك بني زيان. وحقيقة الخطة كما يقول ابن خلدون "هي القيام على أعمال الجبايات وحفظ حقوق الدولة في الدخل والخرج. وإحصاء العساكر بأسمائهم، وتقدير أرزاقهم، وصرف أعطياتهم في إباناتها، والرجوع في ذلك إلى القوانين التي يرتبها قَوَمَةُ تلك الأعمال وقهارمة الدولة، وهي كلها مسطورة في كتاب شاهد بتفاصيل ذلك في الدخل والخرج. مبني على جزء كبير من الحساب لا يقوم به إلا المهرة من أهل تلك الأعمال"[(1)].

والملاحظ أن صاحب هده الخطة ينبغي أن تكون لديه خبرة واسعة، ومقدرة كبيرة في مجال الأموال والحسابات، لذا نجد أن مؤسس الدولة الزيانية يغمراسن قد اعتمد على أحد أفراد أسرة بني ملاح[(2)] الأندلسية، وهو عبد الرحمن بن ملاح[(3)]. حيث كانت أهم ميزة وخبرة لهم في مجال المالية هو سك العملة وضرب النقود منذ تواجدهم بالأندلس. لذا أوكل لهم السلطان يغمران الإشراف على دار الضرب(دار السكة) بتلمسان في حدود سنة 633هـ/1235م. ولم يستغن عنهم خلفاء عرشه. ويظهر أن بني الملاح كانوا أصحاب فضل في نشأة العملة الزيانية، رغم التداول الذي ظل قائما للدنانير والدراهم الموحدية[(4)]

إلا أن خطة (وزارة) المالية هذه كانت منذرة بالخطر بالنسبة إلى الماسكين بزمامها لأن إقدام هؤلاء على جمع الثروات كان يثير باستمرار حسد رجال البلاط. إذ من السهل إقناع السلطان بما مثله ذلك الجمع بين سلطة ال (المهاب) السياسية والمال من خطر... فكثيرا ما كان يتعرض صاحب الأشغال المهاب للسجن والتعذيب والإعدام. وقد لقي أبو بكر بن خلدون حتفه بهذه الصورة سنة 1283م[(5)].

وهكذا أصبح للأندلسيين قوة تجارية لا يستهان بها. فمدخول سنة واحدة من الجهاد البحري كان يعطي بديوان سلا أكثر مما كان يعطيه مدخول الضرائب في عهد أحمد المنصور الذهبي بالنسبة لمجموع المغرب الأقصى[(6)]. وتذكر كتب الجغرافيا والرّحلات عددًا من الموانئ التّي قامت بدور فاعل في الحركة

---

1 ابن خلدون المقدمة . 14-15؛ محمد سعداني الأندلسيون وتأثيراتهم،ص134.

2 من الأسر الأندلسية القرطبية التي لعبت دورا ملحوظا في تنشيط التجارة والفلاحة، فقدكانت حرفتهم سكة الدنانير والدراهم. وبرعوا في مهنة الفلاحة. وقد كانوا مقربين من بعض سلاطين بني زيان.ينظر المقري نفح الطيب، ج7 140-141.

3 يحيى بن خلدون بغية الرواد، ج1 113؛ محمد سعداني الأندلسيون وتأثيراتهم،ص134.

4 رفيق خليفي حرفيو السك النقدي،ص91.

5 برنشفيك المرجع السابق، ج2 57.

6 محمد رزوق الأندلسيون وهجراتهم،ص269.

التّجارية ومن هذه الموانئ ميناء تنّس فهو من أكبر الموانئ التي يتعدى إليها الأندلسيّون بمراكبهم ويقصدونها بمتاجرهم . أمّا المرسى الكبير الذي لا يبعد عن وهران سوى بضعة أميال فهو من أشهر موانئ المغرب الأوسط، ترسوا فيه بسهولة مئات المراكب والسّفن المحمّلة بالبضائع والقادمة من أوروبا[1].

وتعتبر الأنشطة التجارية من أكثر المهارات التي برع فيها الوافدون الأندلسيون مقارنة بالفلاحة والصناعة. حيث اتجهوا إلى التجارة البحرية فامتلأت موانيء المغرب الإسلامي بالتجار القادمين من الأندلس. والسبب في ذلك أن النشاط التجاري كان يدر ربحا واسعا على أصحابه من جهة، ومن جهة أخرى نظرا لخبرة التجار الأندلسيين ومعرفتهم بالمسالك التجارية في البلاد المسيحية وفي خوض المبادلات التجارية مع مدن المغرب الإسلامي[2].

2/ دور التجار المسيحيين الوافدين:

يظهر دور التجار المسيحيين الوافدين بوضوح تام. حيث ساهموا في زيادة مداخيل الدولة الموحدية عن طريق استخلاص هذه الأخيرة للرسوم الجمركية المفروضة على البضائع كما لعبوا دورا هاما في توفير الحاجات التي لا يتوفر عليها المغرب. وشكلوا في الوقت نفسه مصدر تسويق للمنتجات المغربية وخاصة الذهب والعبيد، مما يدر ربحا هائلا على بلاد المغرب الإسلامي[3].

كما ساهم هؤلاء التجار المسيحيون في انتشار ظاهرة أسواق الرقيق في بلاد المغرب، حيث نتج عن هذا الإتصال بين المغاربة والجاليات المسيحية ظاهرة كثرة أسواق الرقيق في كبريات المدن، وانتشار ظاهرة التسري بالجواري المسيحيات[4].

فكانت حركة التجارة البحرية قد نمت بسبب التجار الأوروبيين الذين كانوا يتاجرون بمصب أبي الرقراق. وكانت هذه التجارة ضرورية بالنسبة للأندلسيين. لأنهم لا يستطيعون بيع جميع بضائعهم المغتنمة بالمغرب.. فكانوا يجدون المكان الملائم لبيع غنائمهم. مثل الولايات الايطالية الصغيرة في كل من ليفرون وجنوة وبيزة[5].

---

[1] فؤاد طوهارة المجتمع والإقتصاد في تلمسان خلال العهد الزياني(7-9هـ/13-15م)،مجلة دراسات تاريخية،جامعة البصرة، العراق، ع16 9316

[2] عزالدين موسى المرجع السابق،ص230؛ محمد الطالبي المرجع السابق،ص82.

[3] بوتشيش تاريخ الغرب الإسلامي،ص101-102.

[4] المرجع نفسه ،ص104.

[5] محمد رزوق الأندلسيون،ص268.

125

وبسبب كثرة تعامل هؤلاء التجار النصارى الوافدين إلى بلاد المغرب، فقد أصبحوا يشكلون جزءا لا يتجزأ من المجتمع المغربي و انصهروا بشكل كبير. ومن مظاهر هذا الانصهار إقدام الكثير منهم على تعلم اللغة العربية. فكان تجار جنوة الإيطاليين قد فهموا ضرورة تعلم اللغة العربية من البدايات الأولى لنهضتهم التجارية. ولذلك وجد في ايطاليا ديوان قنصلي لتعليم اللغة العربية[(1)].

وكان ميناء فاس مهبطا للتجار المسيحيين من مختلف الجنسيات من جنوبيين وبندقيين وانجليزيين[(2)]. وكان مما لقيه هؤلاء التجار المسيحيون من حماية وأمن خلال رحلاتهم أو إقامتهم بموانئ ومدن المغرب الأوسط. إضافة إلى الإرتياح التام في بيع سلعهم إمّا نقدا أو مقايضة على أن يلتزموا بواجبات مقابل هذه الضمانات، منها الرقابة الدائمة على السلع والبضائع الواردة إلى أسواق المغرب الأوسط وعدم الإحتكار التجاري لسلعة معينة. إلى جانب التقيد ببعض المحظورات المتعلقة بنوع البضائع المتبادلة ودفعهم للضرائب المفروضة على سلعهم للسلطة الحاكمة في تلمسان[(3)]. وساهموا في زيادة مداخيل الدولة عن طريق استخلاص الرسوم الجمركية المفروضة على البضائع، وأدخلوا إلى بلاد المغرب العديد من المنتوجات التي كانت تفتقر إليها المنطقة[(4)].

كما لهؤلاء التجار المسيحيين أيضا دورا هاما في التجارة فكانوا يقيمون بمدن المغرب الإسلامي، وكان جميعهم يحافظون على جنسياتهم ويتمتعون بالحرية الدينية ويعيشون تحت حماية قناصلهم. وقد عمل هؤلاء المسيحيون على جلب كميات من السلع المختلفة فيبيعونها بأسواق المغرب الأوسط كوهران ، هنين وتلمسان التي كان بها مراكز القيصرية. وفيه تتجمع السلع ويتم عقد الصفقات بين التجار المسلمين والمسيحيين[(5)].

---

[1] بوتشيش تاريخ الغرب الإسلامي،ص103.

[2] الوزان المصدر السابق، ص 208.

[3] فؤاد طوهارة المجتمع والاقتصاد في تلمسان،ص94.

[4] إبراهيم القادري بوتشيش تاريخ الغرب الإسلامي، المرجع السابق، ص 101 .

[5] مبخوت بودواية الحياة الاقتصادية بالمغرب الأوسط في العهد الزياني،مجلة قرطاس للدراسات الحضارية والفكرية ع تجريبي ،جامعة تلمسان ديسمبر 2008 ص57.

ولقد أقيمت العديد من المعاهدات بين الخلفاء الموحدين والتجار النصارى المعاهدين[1]. وذلك لتأمين أموالهم وبضائعهم[2]. ففي عهد الخليفة الموحدي أبي يوسف يعقوب المنصور عقدت معاهدة للتجارة تضمن حرية تجار بيزة في كل من سبتة، ووهران، بجاية وتونس لإنشاء فنادق في هاته المناطق، لتخزين منتوجاتهم والإقامة فيها، وكانت هذه الفنادق عبارة عن حي كبير أو مدينة صغيرة، وكانت تحتوي على كل المرافق الضرورية التي يحتاجها التجار النصارى، فقد وجدت دكاكين وكنيسة وكاتب عدل وأن الجاليات المسيحية كان لها قنصلها الخاص[3].

وفي العهد الحفصي استمر التجار الأندلسيون في الوفود برا وبحرا إلى مدينة بجاية، سواء للتجارة أو الاستقرار. وعلى الأغلب فقد كانوا هم الذين يسهل عليهم الوصول إلى هذه المدينة القريبة من الأندلس. ولاشك أن هذا ها النشاط التجاري بقي مستمرا خلال القرن ال6ه خصوصا مع رحيل عدد من الأندلسيين ومن ضمنهم التجار[4]. الذين كان لهم دور فعال في رفع المستوى الإقتصادي لتونس. وهذا راجع إلى رعاية السلطة الحاكمة للوافدين الأندلسيين وإدراكهم مدى كفاءتهم في جميع القطاعات الاقتصادية. وسعي هؤلاء المهاجرين إلى تطوير القطاع الاقتصادي[5].

واشتهر من هؤلاء التجار الأندلسيين المصري عبد الباسط وأصبح أحد أعيانهم. وذلك بالنظر لما اشتهرت به مدينة تونس من ايواء عدد كبير من الوافدين الأندلسيين، ففي سنة 1462م دعا التاجر عبد الباسط المصري إلى حضور مأدبة أقامها براس الطابية، وذلك بالخصوص صحبة أعضاء الجالية الأندلسية الذين كانوا مازالوا مولعين بأطعمتهم التقليدية[6].

1 ابن رشد فتاوى ابن رشد، تقديم وتحقيق وتعليق، المختار بن الطاهر التليلي، ط 01 دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987 ج 03 ص 1425.

2 المصدر نفسه.

3 عبد الرحمن الجيلالي تاريخ الجزائر العام ،دار مكتبة الحياة ط2 بيروت، لبنان، ، 1965 2 195-196.

4 حسن علي حسن الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس،ص267.

5 فرحات محمد إبراهيم بكار المرجع السابق،ص13.

6 برنشفيك المرجع السابق ، ج2 159.

وقد تعود الأندلسيون على مخالطة النصارى والرحلة من بلد إلى آخر. وهو عامل اجتماعي وسيكولوجي مهم. ساعدهم على تعاطي التجارة الخارجية، والنجاح فيها. مثل التاجر أبو القاسم البنبلوني في أواسط القرن15م فقد كان من كبار التجار الأندلسيين بمدينة تونس وقتذاك[1].

وكان التجار المسيحيون قد بدأوا يتعلمون اللغة العربية في البدايات الأولى لنهضتهم التجارية، لذلك خصص الإيطاليون ديوان قنصل لتعليم اللغة العربية حتى يسهل التعامل مع المسلمين[2].

3/ الفنادف لإيواء التجار الوافدين:

ومن مستلزمات استقبال التجار الوافدين وجود الفنادق لإيوائهم، حيث أنشأ الخليفة الموحدي المنصور عدة فنادق في مراكش. وهذه الفنادق كانت تقوم بمهمة مزدوجة ، فوظيفتها الأولى خزن المتاجر والسلع لتوزيعها بعد ذلك بالجملة. والثانية إيواء النزلاء من التجار الوافدين، وكلما كانت المدينة عامرة بالمتاجر كلما ازداد عدد فنادقها[3].

فالفنادق[4] عبارة عن مؤسسة ذات صلاحية مختلفة ومتعددة، حيث أنها كانت تحتوي على مجموع من من الهياكل والمنشآت بداخلها. جزء منها مخصص للتجار والمسافرين يتوفر على أماكن للإقامة ، وآخر متعلق بتخزين السلع والبضائع، وجانب خاص بالدواب المختلفة.كما أنه يحتوي على مكاتب تعتبر بمثابة الإدارة المسيرة لشؤون الفندق والقائمة على مصالح الجالية من التجار وغيرهم[5].

وتعتبر مؤسسة الفندق كهيكل تجاري خاص بالتجار الأجانب قديمة العهد في بلاد المغرب من حيث الظهور. إذ توفرت منذ الفترة الإسلامية الأولى في إفريقية والمغرب الأوسط مبان ذات أفنية صغيرة ، كما تحتوي على مخازن ودكاكين وغرف مبيت للتجار وأخرى للاستحمام، خلا الحيوانات التي لم يخصص لها في

---

[1] محمد حسن المرجع السابق 596.

[2] عبد العزيز فيلالي الأقلية المسيحية في تلمسان الزيانية ودورها في المجال العسكري والتجاري والعمراني،المجلة التاريخية الجزائرية،جامعة محمد بوضياف لمسيلة، المجلد4،العدد3،ديسمبر2020 199.

[3] محمد حسن المرجع نفسه،ص596.

[4] تستعمل المصادر العربية واللاتينية مصطلح "فندق" للتعبير عن مقر إقامة التجار المسيحيين. لكن لا يفهم من من هذا المصطلح أنه يعني الفندق بمفهومه المتداول اليوم. ليشير إلى حي كبير أو مدينة صغيرة تقع بجوار المدينة المغربية. أي في ربطها.. والراجح أن مختلف هذه الجاليات المتوسطية كانت تقيم في المدن الساحلية مثل سبتة، الجزائر،بجاية،مهدية، سفاقس،قابس،جربة وطرابلس، وقد أعد الباحثون 15مركزا لإقامة هذه الجاليات.ينظر بوتشيش تاريخ الغرب الإسلامي،ص95.

[5] بغداد غربي العلاقات التجارية للدولة الموحدية، أطروحة دكتوراه علوم، قسم التاريخ جامعة وهران،1435-1436هـ/ 2014-2015 12915 .
2015 12915.

هذا المكان حيز لتوضع فيه على خلاف الفندق في العصر الموحدي وما بعده. حيث خصصت أماكن للحيوانات المستخدمة في نقل التجار والسلع[1].

وللفندق بوابون يراقبون رواده، وحتى رجال السلطة لا يسمح لهم بدخوله، إلا برخصة من القنصل عندما يريد إلقاء القبض على مذنب[2]. وأما القناصل فهم تجار أيضا، تعينهم حكومتهم طبقا للإتفاقية المبرمة مع بني زيان. وكانت مدة خدمتهم لا تتعدى ثلاث سنوات. ويبلغ راتبه ثلثي داخل الفندق. وكان لكل دولة أكثر من قنصل. ولا سيما في المدن والثغور البحرية. وكان يسمح للقنصل بمقابلة السلطان مرة في الشهر، وبإمكانه مقابلة حاكم المدينة أو الإقليم الذي يعيش فيه[3].

4/ اختيار الوافدين للتجارة الصحراوية:

ويبدو أن الإنصراف إلى التجارة الصحراوية يفسر اختيار بعض الأندلسيين الهجرة إلى واحة نفطة سنة 1492هـ التي تعتبر محطة هامة لتجارة الذهب والرقيق[4].

وبالنظر إلى وجود التجار اليهود بمعظم مدن المغرب الأقصى، فإنه كان منهم بسجلماسة تجارا مشهورون بتجارتهم مع ساحل النيجر ووسط إفريقيا. وعن طريق البرتغاليين والإسبان تمركز البعض منهم في قواعد مثل قاعدة ساوتومي وفرناندوبو[5]. كما استخدم اليهود سلاح الرشاوى والهدايا المحرمة. مما يؤكد انتشار ظاهرة الرشوة بينهم وبين مجموعة من أمناء الأسواق. ولذلك سيطر اليهود على أهم المدن وعلى مصادرة التجارة والمال وتوغلوا في شراء ذمم بعض المسؤولين فأصبحوا صنائع لهم. ولذلك عملوا على السيطرة على تجارة السودان الغربي. فوصلت أقمشة أوروبا إلى تنبكت عن طريقهم. وكرد فعل لهذه الهيمنة اليهودية التجارية، إلى جانب آراء محمد بن عبد الكريم المغيلي المحرضة على التصدي لهم. حرم عليهم حاكم تنبكت التجارة مع هذه المدينة[6]. ولم تكن الصحراء حائلا بين المغرب وبقية الأقطار الإفريقية، بل كانت أداة ربط، فعبرتها قوافل التجارة محملة بمختلف المنتجات. وكان بين المغرب وإفريقية عبر الصحراء عدة طرق.

---

1 بغداد غربي المرجع السابق،ص129.

2 عبد العزيز فيلالي الأقلية المسيحية في تلمسان،ص198.

3 عبد العزيز فيلالي الأقلية المسيحية في تلمسان،ص199.

4 ابن الخطيب الإحاطة في أخبار غرناطة،ج1 329.

5 عطا علي محمد شحاتة رية اليهود في المغرب الأقصى في عهد المرينيين والوطاسيين،ط1،دمشق،9199 1701.

6 المرجع نفسه0 1691.

طريق من سجلماسة إلى أودغست ومنها إلى غانة. ومن سجلماسة إلى مدينة تمبكت عبر مدينة تغازي، وطريق من درعة إلى سجلماسة إلى بلاد السودان[1].

5/ الدور الإقتصادي لليهود في المغرب الإسلامي:

يعتبر الدافع الإقتصادي من الأسباب الدافعة لتنقل الوفود الأندلسية عامة واليهود خاصة إلى حواضر المغرب الإسلامي. فاهتماهم البالغ بجمع الأموال وتكوين الثروة جعل الكثير منهم ينتقلون إلى فرص أكبر ومساحات أرحب مما كان في الأندلس. "فدخلوا بلاد المغرب، ودفعوا لهم الإيتاوات كضريبة سلمت لحمايتهم من الغارات التي كان يشنها البربر وسكان المنطقة على القوافل التجارية[2].

و بالنظر لما تميزت به الدولة الموحدية من سياسة التسامح التي اتبعها الخلفاء الموحدون تجاه أهل الذمة، فقد كان ذلك عامل جذب واستقرار لهم. إذ استقر عدد معتبر من اليهود والنصارى بحواضر المغرب الإسلامي، واشتغلوا في التجارة وبرعوا فيها، مما زاد من إثراء الإقتصاد الموحدي، سيما جانب النشاط التجاري منه [3].

وخلال العهد الموحدي بلغ اليهود مراتب معتبرة في المجتمع. وذلك لما كان لهم من دور في تحريك حركة التجارة. والإبداع في أساليبها. وما نجم عن ذلك من نمو عجلة الصناعة التعدينية. فاحتاجت السلطة الموحدية إلى توظيف تلك المهارات والإستفادة منها في مجال سك العملة النقدية[4].

ومن علامات براعة اليهود في التجارة استقرارهم في المدن والحواضر الكبيرة ذات الحركية والنشاط الإقتصادي حيث تكثر حاجة الناس للسلع المختلفة، وتكثر الحاجة لتصريف كل عروض التجارة والتعامل النقدي والمالي[5].ويذكر مختار حساني أنه كان للسلطان الزياني أعوانا من اليهود لجباية الأموال وقبض الأعشار والمكوس من الإسبان، وغيرهم من المتوافدين للتجارة على سواحل المغرب الأوسط، فاستطالوا على الرعايا لظروف الشغل وأخذ الأموال بغير حق، وتوظيف الضرائب المتنوعة[6]. وبراعة اليهود في التجارة

[1] عطا علي محمد شحاتة رية المرجع السابق 153.

[2] سميرة نميش أهل الذمة،ص21.

[3] إبراهيم القادري بوتشيش تاريخ الغرب الإسلامي، قراءات جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة، ط 01 دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1994 ص 103.

[4] سميرة نميش المرجع السابق، ص22.

[5] ماهر سمك **اليهود في المغرب** ط 01 دار الحرية للصحافة والنشر والتوزيع، مصر،1998 ص7.

[6] مختار حساني تاريخ الدولة الزيانية، ج2 161.

التجارة لم تأت بين عيشة وضحاها بل من ممارستهم الكثيرة لصنوف التجارة، فبرعوا في فن البيع والشراء والتسويق، سواء ما تعلق بالتجارة الداخلية أو الخارجية[1]. حيث عملوا في البداية كوسطاء بين التجار، وسيطروا على القوافل التجارية التي كانت تمر بين بلدان المشرق وأروبا وغيرها[2]. كما يشير المؤرخ إبراهيم حركات إلى أن الأوروبيين باعوا بواسطة تجار اليهود، في مدينة سبتة وبجاية ووهران وتلمسان خلال الحكم الموحدي قطعا مالية عربية تساوي نصف درهم قصد تصديره[3].

ا/ دور اليهود المالي والتجاري:

كان اليهود يشغلون غالبا خطة أو وظيفة الصرف ببيت مال المسلمين لخبرتهم في أعمال الصيرفة. والجبايات المالية فيتولون وزن الدراهم أو الدنانير المقبوضة والمنصرفة. ويعتمد ولاة الأمر في البلدان المغربية على ما يقولونه ويكتبونه في سجلاتهم. رغم أن الفقهاء وأهل الفتوى كانوا يحثون دائما على عدم إبقاء اليهود في العمل ببيت مال المسلمين[4].

وبفعل تمكن اليهود في البلاط المريني فقد كانت الأمور تجري في غير صالح الدولة. فبتتالي الصراعات السياسية في البلاط المريني، وسوء الأوضاع الإقليمية، فقد أفلست الخزينة، وأصبحت الدولة في حالة عجز مالي وإقتصادي. فلجأ اليهودي هارون بفطنته وأشار على السلطان بضرورة جمع الضرائب من المسلمين. بل أصبح هو يقوم بأعمال دون استشارة السلطان، وكأنه هو صاحب السلطة الفعلية في البلاد[5].

كما لعب اليهود دور الوسيط أو السمسرة بين التاجر الأجنبي الوافد على البلاد وأهل البلاد من المغاربة. وهذا راجع إلى معرفتهم بلغات الشرق والغرب. ونظرا لإنتشارهم في الجنوب، وظهور أهمية الإقليم لما به من مواد خام، لعب اليهود الدور الأهم في تجارته، فكانوا ينتقلون بين البوادي والمدن الداخلية[6].

---

[1] محمد أرحو دور اليهود في الجنوب المغربي في تجارة القوافل الصحراوية مجلة الإجتهاد، مجلة متخصصة تعنى بقضايا الدين ، والمجتمع والتجديد العربي الإسلامي، العددان 34 – 35- السنة التاسعة، 1997 9934.

[2] نوارة شرقي الحياة الإجتماعية في المغرب الإسلامي في عهد الموحدين(524 – 667هـ/ 1126–1268 م)، أطروحة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ الإسلامي الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر2 2007- 2008 8 0 68.

[3] إبراهيم حركات المرجع السابق ج 01 ص340

[4] الونشريسي المعيار ج3761212؛ حورية سكاكو التحولات،ص227.

[5] الزركشي المصدر السابق،ص156.

[6] عطا علي محمد شحاتة رية اليهود في المغرب الأقصى، ص153.

كما كانوا ينتقلون بين المدن الأوروبية وخاصة ميورقة وبرشلونة وبين مدن المغرب الأوسط لممارسة التبادل التجاري، وكانوا يقومون بدور الوساطة بين تجارة المسلمين والأوروبيين خاصة تجار أرغون[1].

وبالنظر إلى سعة انتشار الوجود اليهودي وأثره الفعال في التجارة المغربية، وخاصة بمدينة فاس حتى قيل عنها "فاس بلد بلا ناس " أي ليس فيها غير اليهود الذين امتلكوا الثروة والجاه في عصر الموحدين[2] ومكناس ومراكش وسجلماسة التي سكنت فيها طائفة يهودية كبرى وكانت مدينة مشهورة بتجارتها[3]. إذ كانت المدينتان (سلجماسة وفاس) في العهد الموحدي مركزا تمارس فيه الأنشطة التجارية، وقد ساهم اليهود بشكل كبير في المعاملات التجارية في الدولة الموحدية[4].

وكان سوق الشماعين من أهم الأسواق المنتشرة في الجنوب المغربي، الذي ازدادت أهميته في القرون المتأخرة ، نظرا لأنه كان مهملا قبل ذلك. ولكن الإستخدام الواسع له أظهر أهميته وزاد من الطلب عليه. فأصبح الشمع من أهم المواد التي يتم التبادل بها في الأسواق. لدرجة أن اليهود أقاموا بناية لعصر شمع العسل. وكان اليهود وسطاء في الحصول على هذه السلعة، فكانوا يجمعونه من عدة مناطق ويبيعونه لتجار جنوة والبرتغاليين[5].

ولم يكن تأثير التجار اليهود مقتصرا على الواحات الصحراوية فقط بل إمتد إلى موانيء الدولة الزيانية فمدينة وهران التي لم تكن في الفترة الأولى من العصور الوسطى ضمن المناطق التي تتميز بوفرة أفراد الجالية اليهودية إلا أن توافد هؤلاء بدأ مع ازدهار الحركة التجارية بين الدولة الزيانية و الدول الأوروبية والمضايقات التي تعرض لها اليهود في الأسواق الأوروبية مما جعلهم يفضلون الهجرة إلى أراضي الدولة الزيانية[6].

وكان تجار اليهود ينتقلون من بلد لآخر ويأتون بمختلف البضائع، حيث ساهموا بوفرة في تجارة الأقمشة والتوابل[7]. يضاف إلى ذلك تلك الأعمال التي عرف بها الأندلسيون كتجارة الذهب المستخرج من بلاد

---

1 مبخوت بودواية الحياة الاقتصادية بالمغرب الأوسط في العهد الزياني،ص57.

2 عبد الرحمان بشير، اليهود في بلاد المغرب العربي،ص50.

3 حاييم الزعفراني يهود المغرب والأندلس،تر أحمد شحلان،مطبعة النجاح الجديدة، الرباط 2000 ج 2 ص 325 .

4 جمال طه الحياة الاجتماعية بالمغرب الأقصى في العصر الإسلامي،(عصر المرابطين والموحدين)) ط 01 دار الوفاء، الاسكندرية، 2004 ص75.

5 عطا علي محمد شحاتة رية اليهود في المغرب الأقصى، ص161.

6 مختار حساني تاريخ الدولة الزيانية، ج2 163.

7 ابتسام مرعي خلف الله العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي(524-936 هـ) دار المعارف1985 ص264 .

السودان، وتأتي المنسوجات المصنوعة من الكتان أو من القطن في قائمة البضائع التي يعمل الأندلسيون على تصديرها من مدن المغرب[1])كما عملوا في تجارة الذهب والفضة، واشتغلوا في دار سك النقود المعدنية[2]. وكذلك أصناف السجاد والحرير بجميع أنواعه وأشكاله كما صدروا المعادن الثمينة ومعادن أخرى مثل الرصاص الزئبق،

وقد ساهم الوفود الأندلسيون في تنشيط حركة المبادلات التجارية مع الممالك المسيحية الأوروبية والأندلس والمشرق الإسلامي، ونتيجة لإتقانهم عدة لغات كالعربية والفارسية والإفرنجية والرومية والأندلسية والصقلية ساعدهم ذلك في تنمية معاملاتهم مع التجار وزاد من رواج تجارتهم، فكونوا بذلك شركات تجارية بها وكلاء في الموانئ والأسواق الجنوبية وموانئ دول أوروبية، وقد كانت هناك علاقات تجارية بين الأندلسيين بالأسواق التجارية الواقعة بطرق القوافل وأبناء عمومتهم بميرورقة، وكان الإتصال يتم بواسطة موانئ الدولة الزيانية مثل الجزائر وتنس ووهران[3].

وقد ساهم التجار الأندلسيون عامة واليهود والنصارى خاصة في تنشيط الحركة التجارية البحرية، فعجت الموانئ بالحركة الاقتصادية. ولذلك فقد اعتبر النشاط التجاري من أكثر الأنشطة الاقتصادية التي استهوت المهاجرين الأندلسيين مقارنة بالزراعة والصناعة.

كذلك فقد انتقل بعض اليهود المقيمين بالداخل، إلى جانب اليهود المهاجرين من الأندلس والبرتغال وباقي أوروبا، واستقروا في المدن الساحلية ولعبوا دور الوسيط. ولذلك انتشر اليهود في أرجاء المغرب الأقصى خاصة في الأماكن ذات الموقع الإستراتيجي الذي يتحكم في مفارق الطرق أو الموانيء [4].

ومن بين التجار الذين كانوا يتوافدون على هذه الموانيء جورد انجيلو (Jord Angulo) لم يكن دوره مقتصرا على زيارة الموانيء بل ربط علاقات بتجار الدولة للحصول على ما يحتاج إليه من السلع التي كان عليها الطلب في إسبانيا وهنين. وهي السلع الآتية من السودان الغربي كالعاج والذهب والعبيد[5].

---

1 أمين توفيق الطيبي دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، الدار العربية للكتاب، تونس1997 65.

2 جواتيباين دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، تحقيق، عطية القوصي، ط01 وكالة المطبوعات، الكويت 1970 16801.

3 ميلودي زهرة الرحلات البحرية ودور اليهود في تنشيط التجارة الساحلية للمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط "،المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات والدراسات التاريخية المتوسطية، العدد الثالث، جامعة عبد الحميد مهري، قسنطينة، رمضان 1437 هـ- جوان 2016 ص193.

4 عطا علي محمد شحاتة رية اليهود في المغرب الأقصى، ص155.

5 محتار حساني تاريخ الدولة الزيانية، ج2 180.

وهناك وثائق ترجع إلى سنة 901هـ/1551م تذكر في هذا الصدد أن تجار إسبانيا كانوا يشترون الزنوج القادمين من إفريقيا بواسطة القوافل التجارية القادمة إلى موانيء الدولة ومنها الأسواق الإسبانية حيث يسارعون لأصحاب الأراضي أو الأعيان الذين يستعملونهم للعمل في قصورهم[1].

و ومن التجار الذين كانوا يتوافدون على أراضي الدولة الزيانية، (جون مرتنا غنزالوا) ففي إحدى الوثائق ترجع إلى سنة 927هـ/120م يذكر مختار حساني أن أهم ما جاء فيها أن مدينة مالقا يوجد بأحد مراكزها 16 من العبيد نقلوا من أراضي الدولة الزيانية. وهناك 81 شخصا أسروا من أراضي الدولة الزيانية فنقلوا من وهران بواسطة الأسطول الإسباني إلى مدينة مالقة وبيعوا في أسواق العبيد بالمدن الإسبانية[2].

ب/ دورهم الصناعي:

باستقراء تاريخ الوجود اليهودي بالمغرب الإسلامي، نجد انشغال اليهود بعديد الأنشطة الحرفية والصناعية وخاصة حرفة صناعة الأقمشة. كما مارس اليهود أنواع الصناعات على اختلافها منهم الدباغون والصاغة خاصة في صناعة النحاس والحديد. فاختلط اليهود بالسكان الأصليين فعلموهم مهنة الحدادة التي كانوا يزاولونها ، إضافة لما كانوا يصنعونه من المجارف والمناجل وصفائح الخيل[3].

ومما ينسب إلى اليهود الوافدين إلى بلاد المغرب اشتهارهم بالصياغة والصيرفة، وهم أول من أدخل هاتين الحرفتين. ولم يكن لدى أهل المغرب مهارة كبيرة في صنع الأقمشة والملابس النسويّة على الخصوص كنظم العقد ونسج القيطان، وحبك السفيفة، وتطريز القفطان بالصقلي، وإنّما انتقلت إليهم عن طريق اليهود الذين كانوا يباشرونها ويتفنّنون بصنعتها[4].

وقد اختلفت إسهامات اليهود في المغرب في العهد الموحدي، حيث برعوا في صناعات مختلفة، فمارسوا صناعة المنسوجات التي كانت أكثر الفروع شأنا خلال العصور الوسطى، إذ تخصص اليهود في كل الأعمال الحريرية، ابتداء من تفكيكه وغزله إلى نسجه وصباغته ودباغته[5].

---

1 مختار حساني المرجع السابق، ج2 180..

2 المرجع نفسه.

3 حورية سكاكو التحولات،ص227.

4 فؤاد طوهارة المجتمع والاقتصاد في تلمسان،ص63.

5 حاييم الزعفراني يهود المغرب والأندلس ص44.

كما اهتم يهود المغرب الأدنى بالصناعات الصوفية التي انقسمت بدورها إلى مهن " الخلاص" الذي اهتم بصناعة كباب الغزل، و"النساج" الذي يهتم بصناعة الحائك. أما الصباغ فكان يصبغ القماش بحسب كل نوعية[1]. ومن الأعمال الأخرى التي امتهنوها الحدادة وصناعة المجوهرات وصناعة السروج، والصباغة التي كانت من أهم الحرف اليدوية[2].

و أغلب الصناعات القائمة على الصباغة والدباغة كانت من نصيب اليهود. فكانوا يتاجرون فيما يصنعونه منها. إلى جانب سوق الصناعة التي احتكرها اليهود أيضا. ففي فاس الجديدة كانت توجد دكاكينهم، وكانوا يذهبون منها إلى فاس القديمة لبيع مصنوعاتهم في ساحة قريبة من سوق العطارين[3].

وبمدينة فاس في العصر المريني كان للصناع اليهود حظا كبيرا فيما يتعلق بالمادة الخام من المعادن. حيث كان كثير منهم من صناع القناديل والمزخرفين بالمعادن بل يمكن القول أنهم كانوا يحتكرون صناعة المماشط لتمشيط الصوف وصناعة الحلي. فكانت الأساور والخلاخل والأقراط والأطواق والخواتم الذهبية من الأشياء التي تقتصر صناعتها عليهم[4].

كما أن الصناع الذين وفدوا على فاس من الأندلس أنشأوا فيها صناعة جديدة لصنع غطاء الرأس وهو الذي يسمى الشاشية أو الطربوش. والتسمية منقولة من مكان الصنع الأصلي، أما في أوروبا فقد عرف "بالفز" نسبة إلى مدينة فاس حيث كان يصنع[5]. بينما ورد ذكر الكبوس الأحمر منذ القرن ال7هـ بمدينة تونس ومعلوم أنه كان لباسا شائعا للأندلسيين الوافدين على تونس بعد سنة 1609م. وكان أبو الغيث القشاش يكسو كل من ورد عليه من الأسرى كساء كاملا بما فيه الكبوس[6].

وكانت الملابس تطرز بخيوط الذهب التي يحتكرها اليهود. لدرجة أنهم أطلقوا على أرباب العمل والعمال الذين كانوا يمارسون هذه المهنة اسم الصقليين. نسبة إلى عملية الصقل. ويبدو أن اليهود الصلقيين نقلوا معهم هذه المهنة إلى المغرب فعرفت باسمهم[7]. كما كان لليهود دور كبير أيضا في صناعة الحرير.

---

[1] يحي بن خلدون بغية الرواد، ج1 113؛ محمد سعداني الأندلسيون وتأثيراتهم،ص134.

[2] قاسم عبده قاسم اليهود في مصر، ط 01 دار الشروق، القاهرة، 1993 ص98؛ حاييم الزعفراني المرجع السابق، ج 01 ص 44.

[3] عطا علي محمد شحاتة اليهود في المغرب الأقصى،ص162.

[4] حورية سكاكو التحولات،ص227.

[5] المرجع نفسه ،ص226.

[6] محمد حسن البادية والمدينة،ص598.

[7] عطا علي محمد شحاتة اليهود في المغرب الأقصى،ص147.

فكان الحرفيون اليهود يشتركون في هذه الصناعة. وكان الحرير الخام يجلب من مدينة خميس متغارة [1] التي استوطنها أهل غرناطة المهاجرون إلى المغرب. والذين أكثروا من زراعة أشجار التوت الأبيض للإنتفاع بها في تربية دود القز[2]. وساهم اليهود أيضا في حرف وصناعات أخرى كصناعة القناديل وزخرفة المعادن[3].

نستنتج أن بلاد المغرب كانت منطقة جذب واستقرار للتجار الأندلسيين والأوروبيين .فمنهم من كان يمثل وسائط بين أوروبا وبلاد المغرب ومنهم من كان ينقل السلع ما بين أوروبا والسودان الغربي وإفريقيا جنوب الصحراء. مرورا بحواضر بلاد المغرب مثل فاس وتلمسان ووهران وتونس. واشتهرت التجارة البحرية فعمرت الموانئ وغصت بالسلع والتجار. وتطورت طرق التجارة بفعل استتباب الأمن والتحفيزات الجمركية. حتى أصبح بعض التجار الأندلسيين من أرباب المال والتجارة. وبلغ منهم من وصل إلى منصب وزير المالية في ذلك الوقت. بسبب تشجيع السلطة لهم. وبالنظر إلى الدور الفعال في ازدهار التجارة مثل تجارة الذهب والفضة والحرير. فكانت لهم فنادق تؤويهم مما ساهم في تطوير الحركة الاقتصادية والمالية، وأعطوا دفعا قويا للإقتصاد نظرا لتخصصهم في سك العملة وحسن تدوير المال، والصناعات الحرفية التي نقلوها من الأندلس إلى بلاد المغرب.

---

[1] مدينة خميس متغازة، بضواحي زواغة على مسافة عشرة أميال إلى الغرب من فاس.ينظر الوزان افريقيا،ص222.

[2] عطا علي محمد شحاتة اليهود في المغرب الأقصى،ص147.

[3] جمال طه مدينة فاس في عصر الموحدين(448-66هـ/1056-1269م) دراسة سياسية وحضارية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 2001 ص170 .

الفصل الرابع: الدور العلمي والتعليمي والثقافي للعلماء الوافدين على بلاد المغرب الإسلامي

المبحث الأول: النخب العلمية الوافدة والسلطة.

المبحث الثاني: الوفود العلمية أفرادا وبيوتات.

المبحث الثالث: العلماء الوافدون ، تخصصاتهم ووظائفهم ومساهمتهم في الحياة الفكرية.

المبحث الرابع: حركة العلماء الوافدين من الوفود إلى الاستقرار.

الفصل الأول: الدور العلمي لوفود العلماء ببلاد المغرب الاسلامي:

المبحث الأول: النخب العلمية الوافدة والسلطة.

أولا: تشجيع العلم والعلماء الوفدين واستقدامهم:

تعتبر علاقة النخب العلمية بالسلطة علاقة ضرورية وفعالة فيحسن بصاحب الملك أن يكون على علم وبصيرة ويستبطن أهل الفكر والرأي. ويجعلهم من خاصته يستفيد من علمهم ويعتمد على خبرتهم وتجربتهم للنظر في أمور السياسة والاقتصاد والعلاقات العامة.

ولأن حاجة الملك إلى أصحاب الأمانة والكفاءة أكثر من حاجتهم إليه. فهو يحتاج من اتسع علمه و كملت آدابه لحاجته الى القضاة في الفقه و الأمانة و حاجته إلى الطبيب و الكاتب الحاذق [1].

فمنذ عصر المرابطين بالمغرب، كانت هناك نظرة ايجابية من أمراء وسلاطين دويلات المغرب الإسلامي تجاه النخب الوافدة من الاندلس خاصة. بتقريبهم واستعمالهم كل بما يليق به، والمجال الذي يصلح له وينفع من خلاله. وقد عمل هؤلاء الفقهاء والأدباء المقربين من الوفود الأندلسية إلى جانب الأمراء المرابطين والموحدين، وأصبحوا مستشارين لهم، ولأن الأمراء شجعوهم على الرحلة والهجرة[2].

1/ تشجيع الزيانيين للعلم والعلماء:

بالنظر إلى مكانة حواضر المغرب الإسلامي (تلمسان،بجاية، فاس، تونس..) العلمية والحضارية. فقد وفد إليها كثير من العلماء واستقروا بها وكانت القبلة الأولى لرواد العلم والمعرفة وشتى صنوف الأدب والحكمة والعلوم الدينية والكونية والعقلية والنقلية وما زاد من سرعة ذلك التلاحم الثقافي والتناغم الفكري بين السلطة والرعية، هو حرص السلاطين أنفسهم على رعاية تلك الحركة الفكرية وتبنيها وإعطائها الطابع الرسمي.

---

1 الجاحظ التاج في أخلاق الملوك ، تح أحمد زكي باشا ( ))ص.44

2 عبد العزيز فيلالي تلمسان في العهد الزياني،ص174.

ويعتبر السلاطين الزيانيون من أشهر من استقدم العلماء وأحسنوا وفادتهم. إذ لما بويع الأمير الزياني يغمراسن بن زيان عكفت السلطة الزيانية بتلمسان خلال فترات حكمها على تقريب أهل العلم منها ، لجعل عاصمتهم مدينة حضارة. [1]

فاستعان أمراء بني زيان بأولئك العلماء الوافدين من الأندلس في تسيير الدولة ومؤسساتها وأجهزتها. وقيادة الجيوش، وخاصة الذين كانت لهم خبرة في مجال الإدارة والكتابة والسياسة والتدريس[2]. فكان ذلك التبني الرسمي لتوظيف الكفاءات والعلماء الوافدين من الأندلس وتشجيعهم، قد أدى إلى تحفيز عناصر أخرى للقدوم من جديد، والإنتشار في مدن وحواضر المغرب الإسلامي.

وهذا ما ينم على دراية سلاطين تلمسان بأهمية العلم للسلطان ، فالمكانة العلمية التي تمتعت بها المدينة ترجع أساسا الى النزعة العلمية التي كان يتميز بها سلاطينها[3]. الذين كانوا بالأساس علماء شعراء، وكان لهم نصيب في تأليف عدة كتب. ومن أبرزهم السلطان يغمراسن الذي أعطى أهمية كبيرة لموضوع المهاجرين الوافدين من الأندلس فكان يكرم نبهاءهم وأعيانهم غاية الإكرام. ويبين حقهم في السكن والتملك للأراضي الزراعية المناسبة لنشاطهم في أرضهم المفقودة بالأندلس. حتى يشعروا بالأمن والتسلية عما فقدوه في وطنهم[4].فكانت السلطة الزيانية تعمل على سياسة الإيواء الاجتماعي لهؤلاء الوافدين، بتوفير حقوقهم كاملة في حياة حرة كريمة مساندة لهم وتعويضا لهم عما تركوه خلفهم.

وقد كان السلطان أبو حمو موسى الأول، محبا للعلم و أهله، يجالسهم و يقتدي بهم ونحى منحاه السلطان أبو تاشفين و كذلك السلطان أبو زيان آخر ملوك تلمسان أنذاك ذلك بعد تلقيه تكوينا علميا رفيعا في شبابه[5] . وفد عليه كثير من العلماء، وأحسن وفادتهم حيث بعد وفاة العالم يوسف بن يعقوب وفد عليه العالمان أبو زيد وأبو موسى ابنا الامام. وكان الشيخان الفقيهان العالمان، ابنا الفقيه الإمام

[1] محمد فلاق المشهد العلمي و الثقافي في زوارة و تلمسان في القرنين السابع و الثامن الهجريين دار الأمل للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر ، 2011 .66

[2] عبد العزيز فيلالي تلمسان في العهد الزياني،ص175.

[3] عبد الجليل قريان التعليم بتلمسان في العهد الزياني ، جسور للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2011 .72

[4] عبد العزيز فيلالي تلمسان في العهد الزياني،ص175.

[5] التنسي نظم الدر و العقيان في بيان شرف بني زيان ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، 2010 .149

أبي عبد الله محمد بن عبد الله الإمام من أهل برشك، مشهوران بالعلم والرياسة، ولهما ببلدهما سلف صالح، نزلا تلمسان أيام السلطان أبي حمو ابن أبي سعيد بن يحي يغمراسن بن زيان[1]. فأكرمهما وأحسن اليهما ، وبنى لهما مدرسة تسمت باسميهما احتفاء بهما وبعلمهما. وعندما بويع أبو حمو موسى الثاني كان يحب العلماء ويعظمهم واستقدم الكثير الى بلاطه ، حيث كانوا يقيمون المجالس العلمية التي تزخر بالنقاش الثري في معالجة عديد القضايا الاجتماعية والشرعية وحتى مختلف قضايا العلم والفقه والأدب والسيرة النبوية، وكان له فيها رأي محمود ونقد بنّاء [2] .

كما كان السلطان الزياني أبو حمو الثاني محبا في العلم و أهله يجالسهم و يقتدي بهم و نحى منحاه السلطان أبو تاشفين و كذلك السلطان أبو زيان آخر ملوك تلمسان بهذا القرن ، و ذلك بعد تلقيه تكوينا علميا رفيعا في شبابه[3] .

وكان تشجيع النخبة للمعارف يتم عادة بتشييد أماكن الدراسة والطلب، أو إسناد منح وهبات لرجال العلم والفن. وهناك شواهد في كتب التاريخ المعاصر عن الشعراء والمؤرخين والفقهاء وغيرهم، ممن كانوا يحظون بقبول السلاطين وبتشريفهم ومكافأتهم على أعمالهم وكذلك كان بلاط أبي زكرياء وابنه المستنصر يعج بجموع المهاجرين من الأندلس، كفحول الشعراء وبلغاء الكتاب ومشاهير الفقهاء من أعلام الناس الوافدين على أبيه وخصوصا الأندلس[4].

وهكذا تدخلت التنشئة العلمية لهؤلاء السلاطين في تحديد هذه العلاقة. كما نستشف من خلال المصادر أن هناك تنافسا بين سلاطين تلمسان، ونظرائهم من بني مرين و بني حفص على جمع واستقطاب العلماء بتلمسان. والأمثلة في هذا عديدة فالسلطان أبو الحسن المريني عمل عند استلائه على تلمسان على إحاطة نفسه بهالة من العلماء، فاستدعى إلى حضرته الأشهر منهم من جميع أقطار بلاد المغرب، و ضمنهم الى مجلسه العلمي، منهم أبو العباس الزواوي المقري الذي اختصه أبو الحسن لتعليمه و أبنائه

---

[1] ابراهيم بن نور الدين المعروف بابن فرحون المالكي الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دراسة وتحقيق مأمون بن محي الدين الجنان ط1 دار الكتب العلمية بيروت لبنان 1996 ص486.

[2] عبد العزيز فيلالي المرجع السابق، ج22 ص323

[3] التنسي نظم الدروالعقيان في بيان شرف بني زيان ، ص149 – 159.

[4] الدولاتلي عبد العزيز مدينة تونس في العهد الحفصي،تع محمد الشابي وعبد العزيز الدولاتي،دار سراس للنشر،تونس1981 85.

التجويد 19 1 ماما له يصلي بالخليفة[1]. ويتضح من وصف ابن بطوطة له أن حفاوته بالعلم كانت كبيرة إذ قال "ولم أر من ملوك الدنيا من بلغت عنايته بالعلم إلى هذه النهاية"[2]. ويوافقه في هذا صاحب الحلل الأندلسية[3]. وهذا التنافس كان غداة النزاع السياسي بين الزيانيين و الحفصيين، فبعد هلاك أبي الحسن وعودة تلمسان إلى ملك الزيانيين كتبوا إلى ملوك تونس يطلبون الآبلي، بعد استقراره بها للتدريس [4].

وهو الأمر ذاته الذي حدث مع الشيخ أبي موسى المشدالي الدي غادر بجاية بعد حصارها الى الجزائر، فعمل السلطان الزياني أبو تاشفين على استغلال قدراته العلمية ، و استدعاءه الى تلمسان، وولاه التدريس بالمدرسة التاشفينية بها [5].

وكان هؤلاء مختصون في الأساليب البديعة والتعابير البليغة والمحرزين لثقافة واسعة ومتينة، كانوا من مشاهير الكتاب قبل مغادرتهم لمسقط رأسهم. كما كانوا منحدرين من عائلات مجيدة، وبناء على ذلك لم يكن السلطان الحفصي يتردد في استقبالهم ودعوتهم إلى بلاطه[6].

وفي واقع الأمر، إن دعم السلطة للفئات العلمية، له مبرراته، فالسلطة تعمد إلى إرساء دعائم الحكم في عصبيتهم، فمادام العلماء يشدون أزرها فهي تسير وفق متطلبات الشريعة[7]. كما عملت السلطة على استخدام النخب و توظفها لخدمة مآربها، و هو ما عمل أبو حمو موسى الثاني على تنفيده، إذ أرسل سنة 767 هـ الفقيه أبو عبد الله بن الشريف و محمد بن عمر البرطيل إلى المغرب لعقد الصلح فعادا بمراده [8].

---

[1] ابن مرزوق الخطيب التلمساني المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا الحسن،تح مارياخيسوس بيغيرا،تق محمود بوعياد،الشركة الوطنية للنشروالتوزيع ،الجزائر 1981 ص269 .

[2] ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار ، تحقيق عبد الهادي التازي ، أكاديمية المملكة المغربية ، المغرب ، 1997 7 9 ص161 .

[3] السراج أبو عبد الله محمد بن محمد الأندلسي الحلل السندسية في الأخبار التونسية ، مطبعة الدولة التونسية ، تونس ، 1987 353.

[4] ابن خلدون عبد الرحمن التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا، نش لجنةالتأليف والترجمة والنشر،القاهرة 1951 3 383 .

[5] المقري نفخ الطيب ، مج5 3 2233 .

[6] الغبريني عنوان الدراية،ص224.

[7] نقادي سيدي محمد اسهامات العلامة الآبلي في الحياة الفكرية للمغرب الكبير،أطروحة دكتوراه،جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية،قسم الثقافة الشعبية،2009-2010 4 782 .

[8] يحي ابن خلدون بغية الرواد 4 22 ص160 .

وبفضل العناية الكبيرة من قبل السلطة الزيّانية اتّجاه الفقهاء والعلماء، وكل من يحمل رسالة العلم والمعرفة، جعل هؤلاء يتوافدون عليهم من كل حدب وصوب، ويحظون بمكانة جيدة في دواليب الحكم والإدارة كقضاة وكتاب ومستشارين وبطانة لهم. وإن توافر الرعاية السلطانية من قبل الزيانيين اتجاه العلماء، جعلهم يتوافدون عليهم من كل مكان. وخاصة الأندلس التي كانت تسير نحو السقوط، بسبب شّن النصارى الإسبان عليها ما سمي في التاريخ بحرب الاسترداد. فكان لهؤلاء الوافدين من رجال العلم فقهاءً وكتاباً وموظفين مكانة كبيرة في البلاط والمجتمع الزياني [1].

لقد أتاح أمراء بني عبد الواد، الفرصة للحوار والتعمق في البحث، والإقبال على دراسة مختلف المؤلفات الفقهية وغيرها، حتى صارت تلمسان حاضرة في عهد بني زيان من المراكز، التي تستقطب الطلاب وأهل العلم، لأنها تفسح لهم مجال العمل ونشر العلم والأحكام الإسلامية، فاستقبلت في هذه الفترة العديد من الوافدين عليها شرقاً وغرباً [2] .

ومن ثمة يمكن القول إن السلطة قد عملت على كسب النخب العلمية لصفها. لكسب ود العامة نظرا للمكانة المتميزة التي تمتعت بها هذه الفئة المتعلمة في الأوساط الاجتماعية ولجعلها أداة طيعة يستقيم بها الملك، ولتمتين عصا الطاعة بين الحاكم و المحكوم .

ورغم النزاع السياسي الذي حصل باستيلاء المرينيين على المغرب الأوسط، إلا أن الحركة الفكرية لم تتأثر. فكان المرينيون يكملون ما أتمه الزيانيون من قبل في مجال الحركة الثقافية. وتشجيع العلم والعلماء. فقد كان أوّل عمل قام به أبو الحسن المريني حين استولى على تلمسان[3] أن ضمّ إلى مجلسه العلمي كثيراً من علمائها كابني الإمام، اللّذين حظيا بعنايته، كما استقدم أبا عبد الله الآبلي. [4] الذي حظي منه

---

[1] هادي جلول الحركة العلمية في حاضرة تلمسان وعناية السلطة الزيانية بها(ق9-8هـ/14-15م)،المجلة الأكاديمية للدراسات الإجتماعية والإنسانية ،قسم العلوم الإجتماعية ،نشر جامعة حسيبة بن بوعلي ، الشلف،العدد 19،جانفي2018،ص42.

[2] ابن مريم البستان،ص 119.

[3] علي بن أبي زرع الفاسي الأنيس المطرب بروض القرطاس ص385

[4] يحي بن خلدون بغية الرواد،ج11 ص 120 .

استقبالا حارا، وحيث أجلسه خير مجلس ،واستخلصه في طبقة علمائه، إضافة إلى الكثير من العلماء والفقهاء، الذين اصطحبهم معه من بلاد المغرب الأوسط إلى تونس، ومنهم ابنه أبو فارس عنان [1] .

وكان تشجيع السلاطين والأمراء للعلماء واضحا حتى شهد بذلك العصر المريني حركة أدبية قوية وخير دليل على ذلك كثرة العلماء في مختلف العلوم، وكثرة المؤلفات ، حيث أجاز السلاطين للعلماء بالعطاء فنبغ العديد منهم في البلاط ، واحتلوا مراكز مهمة، ووفروا لهم الظروف الملائمة للإقامة بفاس بعدما هاجروا إليها من مختلف جهات بلاد المغرب الإسلامي[2].

ولذلك أولى سلاطين بني مرين اهتماما كبيرا لإستقبال وإكرام العلماء الوافدين، فحفزوهم بالأموال وأنزلوهم المنزلة الرفيعة، فشهد الإبداع تواصلا ملحوظا. كما أتيحت لهم حرية التنقل في سبيل التحصيل العلمي[3].

المبحث الثاني : الوفود العلمية الوافدة أفرادا وبيوتات.

كان أول من غادر الأندلس من المسلمين أسراتها ونخبتها مستبدلين بالأهل أهلا وبالأوطان أوطانا. وكانت تلك الوفود إما أن تكون في رحلات علمية فردية أو هجرات أسرية جماعية، ومنها ما يحدوها النفع والانتفاع من الازدهار العلمي والحضاري الذي تميزت به حواضر المغرب الإسلامي، أو الإقامة في البيئة الجديدة التي تتمتع بالأمن والإستقرار هروبا من التضييق الذي كان يفرضه العدو النصراني في الأندلس[4].

أولا/ ظاهرة الرحلة العلمية خلال العصر الوسيط:

من خلال كتب السير والتراجم والطبقات يمكننا أن نحصي عددا كبيرا من الوفود العلمية والأدبية الوافدين على بلاد المغرب الاسلامي، سواء من الأندلس أو من المشرق الاسلامي. ومنهم حتى من انتقل ووفد من مدن المغرب الاسلامي الى حواضره المشهورة واستقر بها. وقد نالت هذه النخب الوافدة مكانة

---

1 محمد بوشقيف العلوم والمعارف الثقافية بالمغرب الأوسط (7-9هـ/13-15م)،أطروحة دكتوراه،كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية،جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس،2015-2016 2415.

2 نفسه 24..

3 بن شقرون محمد بن أحمد مظاهر الثقافة المغربية دراسة في الأدب المغربي العصر المريني، دار الثقافة، المغرب 57.

4 عبد العزير فيلالي تلمسان،ص175.

علمية هامة، وتصدرت مقاعد التدريس ومنابر الخطابة وكراسي الفتيا. وكان لتلك الوفود الأثر البارز في تطور الحياة الفكرية والاجتماعية .

1/النخب العلمية الوافدة من الإستقرار المؤقت الى الدائم:

من الجدير بالذكر أن هؤلاء العلماء الوافدين على حواضر المغرب الإسلامي ، قد كان يحدوهم الانتقال والاستفادة والافادة. ومنهم من استقر لمدة معينة ثم انتقل قافلا الى مدينته أو وافدا على حاضرة أخرى. ومنهم من استقر به المقام نهائيا بتلك الحاضرة التي وفد عليها.

ويؤكد المقري (ت759هـ/1358م) ذلك عند تعداده لشيوخ تلمسان حيث يقول " ... فاستوعبت أهل البلد–تلمسان– لقاءا وأخذت عن بعضهم عرضا ولقاء، سواء المقيم القاطن، أو الوارد الظاعن" [1] .

ويعود الفضل في استقطاب كبار العلماء ومشاهيرهم للوفود إلى بلاد المغرب الإسلامي إلى تشجيع الحكام والسلاطين للعلم والعلماء. إضافة إلى أن الرحلات العلمية التي كان يقوم بها الطلاب. ولاسيما إلى مدينتي تلمسان و فاس مما أعطاهما طابعا علميا ودينيا خاصا .

وقد قدم هؤلاء العلماء جل خبراتهم ورصيدهم العلمي في سبيل خدمة تلمسان باعتبارها إحدى مركز العلم والثقافة في المغرب الإسلامي. وبذلك فقد عوضوا ما فقدته الأندلس، وواصلوا عطاءهم العلمي نتيجة لتوفير حكام تلمسان سواء في العهد الموحدي أو الزياني للشروط التي تسمح للعلماء بالإبداع والتأليف فضلا على تقديم العلم للطلبة المتعطشين له[2]. يقول الشيخ ابن عاشر " كان علماء الأندلس لشعورهم بسوء العاقبة يعملون في الهجرة إلى ما جاورهم من بلدان. وكان مقصدهم في ذلك تلمسان والمغرب الأقصى وتونس" [3].

[1] ابن الخطيب الاحاطة بأخبار غرناطة،ج2 193-194.

[2] عبد القادر بوباية إسهام العلماء الأندلسيين في الحركة العلمية بتلمسان خلال القرن السابع الهجري(13م)،مجلة عصور الجديدة،ع2، عدد خاص بتلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية،1432هـ/112011 1672.

[3] القلصادي علي بن محمد القرشي الأندلسي تمهيد الطالب ومنتهى الراغب في أعلى المراتب المعروفة برحلة القلصادي،تح محمد أبو الأجفال، الشركة التونسية للتوزيع،تونس1978 26-29.

كما ساهمت الرحلات العلمية في خلق جو من التنافس العلمي بين العلماء بمختلف تياراتهم واتجاهاتهم، حيث مدوا جسور التواصل في تبادل الاتصال العلمي والمعرفي بين مختلف بلدان العالم الاسلامي، وقد تمثلت هذه الجسور في تبادل الآراء الفقهية واللغوية. وكذلك كان هناك تداول الكتب والمؤلفات، وتبادل الإجازات العلمية، والاستكثار من الشيوخ والاستفادة منهم. فكانت الحواجز السياسية تذوب دونهم. وتختفي أمام الرغبة الجامحة في التحصيل العلمي والحرص على ملاقاة العلماء[1].

أما عن الإقامة المؤقتة:

يذكر ابن مرزوق الخطيب عدة نماذج عن هؤلاء الوفود من العلماء، ومنهم أبو عبد الله بن الصباغ المكناسي الذي استقدمه السلطان أبو الحسن للإقراء ثم غادرها بعد مدة [2]. وفي كثير من الأحيان كان العلماء الوافدون يعملون على الاقامة الدائمة والاستقرار بالحواضر. وهناك يتم تكوينهم لتلامذتهم وبثهم لعلومهم، حتى يشتهروا، وتسير سيرهم في الآفاق. ومن أيرز الأمثلة على ذلك الباروني الأندلسي(ت734هـ) حيث وفد على تلمسان واستقر بها وأتم تعلميه هناك [3].

وكان الحوار قائما بين أفراد الجالية وأهل إفريقية، الذين أووا الكثير من الأندلسيين واستقبلوهم. فكما سمع ابن عرفة من شيوخ أندلسيين مثل البسطي والبطرني والوادآشي وابن برطال، وتحاور مع أبي عبد الله بن خليل السكوني، فإنه كان شيخ شيوخ الفقيهين الغرناطيين أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم، وأبي إسحاق إبراهيم بن محمد[4].

والأمر نفسه ينسحب على العلامة منصور بن علي الزواوي البجائي(ت770هـ/1368م) الذي وفد هو الآخر على تلمسان واستقر بها وأصبح كبار شيوخها وعلمائها. حيث عرف بالطهارة والعفة، قليل التصنع مؤثر للاقتصاد، منقبض عن الناس، مكفو اللسان واليد. منشغل بشأنه، عاكف على ما يعنيه، له مشاركة حسنة في كثير من العلوم العقلية والنقلية"[5].

[1] عبد الوهاب الهاشمي الحياة الاجتماعية والثقافية في بجاية ، مجلة الحوار المتوسطي،جامعة بلعباس،مج21111،سبتمبر2020 11111.
[2] ابن مرزوق الخطيب المسند،ص286.
[3] التنبكتي نيل الابتهاج،ج1 228.
[4] محمد حسن البادية والمدينة،ص590.
[5] ابن مريم البستان،ص292.

كما تشير بعض المصادر إلى بعض الوفود العلمية التي تحمل سفارات سياسية ما بين دول المغرب الاسلامي .فكان " أبو الوليد الباجي(403-474هـ) سفير الأندلس لدى المرابطين يدعوهم ويستنجدهم. جاء من ألمرية سفيرا من رؤساء الأندلس، يؤلفهم على نصره الإسلام. ويروم جمع كلمتهم مع جنود ملك المغرب المرابطين على ذلك. فتوفي قبل تمام غرضه رحمه الله"[1].

ويشير العالم منصور بن عبد الله الزواوي إلى سبب وفوده على تلمسان بقوله ".. ثم ثنيت العنان بتوجهي نحو تلمسان راغبا في علوم العربية والفهوم الهندسية والحسابية" [2]. وأثناء إقامتهم المؤقتة يلتف الطلبة من حولهم ، ويتعلمون منهم المسائل العلمية والشرعية. ونذكر مثلا على ذلك، محمد بن يحيى بن المسفر(ت757هـ /1356م) الذي قدم رسولا عن صاحب بجاية [3] .

ويؤكد الفقيه البجائي أبو العباس بن موسى(ت747هـ/1346م) أنه قدم إلى تلمسان لأخذ العلم عن الشيخ عبد الله بن الشريف(ت792هـ/1390م) معبرا عن شرف الدراسة والتعلم بتلمسان " لا يوجد من يريد الرحلة عن هذا البلد"[4] .

وبتعبير الدكتور عبد العزيز فيلالي " فقد أصبحت –تلمسان- محجا للصوفية والمريدين للوقوف على ضريح أبي مدين شعيب ، ولقاء الأولياء الصالحين الذين تزخر بهم المنطقة. فتحولت بذلك الى عاصمة للزهد والتصوف" [5]. كما تحولت مدينة تونس إلى مركز استقطاب، إذ انتقل إليها أغلب علماء الأندلس، الأندلس، نظرا للظروف السياسية الملائمة من استقرار وعلاقات جالية غرب الأندلس مع أبي زكرياء الحفصي[6].

---

[1] ابن قنفذ القسنطيني ابي العباس أحمد بن الخطيب الوفيات،تع وتح عادل نويهض، ط4دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1984 ،ص255.
[2] ابن الخطيب الإحاطة،ج3 328.
[3] التنبكتي نيل الإبتهاج،ج1 422.
[4] ابن مريم البستان،ص142.
[5] عبد العزيز فيلالي الصلات الثقافية والفكرية بين تلمسان وقسنطينة، مجلة أفكار وآفاق، العدد3،الجزائر،2012 463.
[6] محمد حسن البادية والمدينة،ص702.

ثانيا/ البيوتات[1]. العلمية الوافدة على بلاد المغرب من الأندلس:

وكان مما يميز تلك الوفود المهاجرة هو تنقلها بشكل جماعي بحجم وكثافة وكثرة ملفتة للنظر. كما وصفها ابن خلدون " بالجالية" وقد صنفوا في هذه الفترة على البيوتات والأفراد. وكانت لهم بصمة خاصة في الميدان الفكري والعلمي والفني للمغرب الإسلامي خلال فترة استقرارهم.

1/أسباب انتقال الوفود العلمية الى بلاد المغرب.

-الجذب الحضاري:

تعتبر حواضر المغرب الاسلامي مناطق جذب للوفود العلمية وغيرها. وذلك بالنظر الى ما تزخر به من استقطاب للكفاءات والنخب العلمية والأدبية. كما أن القطرين المغربي والأندلسي قد نهلا من معين ثقافي واحد نابع من حضارات حوض البحر المتوسط. منذ أقدم العصور وكلاهما تأثر بالإشعاعات الفكرية والعلمية والفنية، وكذا النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية، التي أنتجتها شعوب المنطقة[2].

-الإضطرابات السياسية:

إن المتتبع للحالة السياسية والعسكرية التي كانت تعيشها العدوة الأندلسية مع بداية القرن 6 هـ/12م ومطلع القرن 7 هـ/13م/ لا يتردد في الجزم بحالة الضعف والانكسار التي شابت أغلب المدن الأندلسية في تلك المرحلة الحرجة .في مقابل ذلك نرقب استعادة الممالك الاسبانية لعافيتها وتوحيد جهودها في محاولة منها فرض هيمنتها على شبه الجزيرة الأيبيرية. وإحياء إسبانيا النصرانية وذلك بتعويض ما خسرته أمام القوى الإسلامية منذ بداية القرن 1 هـ/ 7 م[3].

وبالنظر الى حالة اللإستقرار التي شهدتها الأندلس في العصور الأخيرة، فقد سقطت كثير من المدن تباعا. وهو ما أدى بالهجرة الاضطرارية الى البلاد الأكثر استقرار واستقطابا. فوفدوا على بلاد المغرب أسرا

[1] البيوتات هي الأسر الأندلسية التي اختارت الهجرة إلى بلاد المغرب من موطنها الأصلي الأندلس أو التي هاجرت نحو المغرب.ينظر رفيق خليفي البيوتات الأندلسية في المغرب الأوسط من نهاية القرن ال3هـ إلى نهاية القرن ال9هـ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ وحضارة المغرب ، قسم التاريخ، جامعة الامير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة،1428-1429هـ/2007-2008) 27.

[2] عبد الحميد حاجيات دراسات حول التاريخ السياسي والحضاري لتلمسان والمغرب الاسلامي، عالم المعرفة للنشر ، الجزائر،ط1 2011 126-127.

[3] آسيا ساحلي المشيخة الأندلسية في بجاية ودورها تنشيط المعرفة التاريخية خلال القرن ال7هـ/0813 1002.

وأفرادا. وبسبب السقوط المتتابع لمدن وحواضر الأندلس اضطر الأندلسيون إلى الانتقال إلى مناطق أكثر أمنا، فنزح جزء منهم إلى غرناطة. وكثيرون فضلوا التوجه صوب العدوة المغربية أين وجدوا المجال رحبا لحسن الاستقبال والاستقرار[(1)].

ونتيجة لذلك اضطر سكان الأندلس عامة، وفي مقدمتهم العلماء إلى مغادرة بلادهم بحثا عن مستقر جديد يوفر لهم الأمن والدعم المادي من أجل مواصلة عطائهم العلمي وبخاصة خلال القرنين ال6-7ه[(2)].

-العامل الجغرافي:

ومما ساعد هؤلاء الوافدين على القدوم إلى بلاد المغرب الإسلامي هو تشابه البيئة الطبيعية والمناخية ولوحدة الجغرافية، بما في ذلك سهولة الانتقال صوب المدن الساحلية، مما شجعهم على الاستقرار[(3)].

تمثل سهولة التنقل بين العدوتين الأندلسية والمغربية. والمشرقية والمغربية. بالإضافة الى أن طبيعة تلمسان وفاس من حيث كثرة مياههما وبساتينهما وصناعتهما، تشبهان كثيرا طبيعة المدن الأندلسية، فلم يحس الوافدون إليهما بالغربة بقدر ما أنسوا بهما.

ولاحظ هؤلاء الوافدون أنهم بإمكانهم الاستقرار بشكل طبيعي جدا والتفاعل مع المجتمع المغربي تأثيرا وتأثرا. بسبب سهوله الاندماج وقابلية وتقبل المجتمع المغربي للتعايش مع الوافدين[(4)].

2/ ظاهرة وفود البيوتات العلمية :

تعد هذه الظاهرة اجتماعية في منطلقها، لكنها توسعت لتشمل المجال السياسي والاقتصادي والثقافي. وهي ترتبط بالقبيلة العربية ، لأن نواة تشكلها هو البيت . وعادة ما تتوارث هذه البيوتات العلم والدين[(5)].

---

[1] محمد عبده حتاملة موسوعة الأندلس والمغرب العربي الأندلسي التاريخ الحضارة والمحنة،دراسة شاملة، ط2دار المدار،البليدة،2009ج1 918.

[2] عبد القادر بوباية إسهام العلماء الأندلسيين في الحركة العلمية ببجاية من خلال كتاب عنوان الدراية،مجلة عصور الجديدة، ع18،عدد خاص بقسنطينة،1436ه/2015 15 2032.

[3] يحي بوعزيز الموجز في تاريخ الجزائر، الجزائر القديمة والوسيطة، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2 الجزائر، 2009 ج1 ص201-216.

[4] يحيى بوعزيز المرجع السابق،ج1 217.

[5] عمر علال الحركة العلمية وبيوتات العلماء في مدينة قسنطينة من القرن ال(7ه الى 10ه/ 13-16م) ، مذكرة ماجستير في التاريخ الاسلامي، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة،2010-2011 171-174.

تنافس سلاطين بني عبد الواد في استقطاب العلماء من كل صوب، وفتحوا أمامهم باب المناظرة والمحاورة، وعقدوا المجالس العلمية والنّدوات، التي شهدت أقوى وأشهر المناظرات وأشهرها، وتمثلت في جملة من المسائل التي كانت محل مراسلات تارة، ومناظرات تارة أخرى، في شتى العلوم والفنون، بين ذوي الاختصاص العلمي في ذلك العصر، وقد كان جريان المناقشات يتم على مستوى رفيع، وبمقاييس علمية مضبوطة، تبرز لنا عمق نظرة فقهاء ذلك العصر ورُسوخهم في العلم[1].

فنتج عنها ظهور العديد من الأطباء أمثال اليهودي إبراهيم بن الفخار (10)ويوسف بن سمعون الفاسي 623 (هـ 1226 –م)الذي كان من يهود سبتة، وعمل كطبيب في الدولة الموحدية وكان يجمع بين الطب والحكمة والعلوم الطبيعية [2]. وأيضا ظهر العديد من المنجمين والفلكيين والمترجمين [3]. والمفكرين اليهود الذين تمكنوا من الإبداع والتألق، فعرف الإنتاج الفكري اليهودي أزهى عصوره، إذ بدأوا يكتبون عن أثارهم الدينية واللغة العبرية وكتبوا عن الفلسفة والعلوم الطبيعية والطب، وقد وضعوا مؤلفاتهم باللغة العربية التي ساهمت في ازدهار الثقافة في العهد الموحدي[4].

2–1/أشهر الأسر العلمية الوافدة على المغرب الإسلامي:

أ/ بنو داود البلوي الوادي آشي: أسرة عرفت بوجاهتها العلمية وسمتها الكريم ومكانتها الممدوحة في الصلاح والتقوى وموقعها الواضح و المشاركة في الناشطات المتنوعة في الحياة الإسلامية..وأسرة بني داود آخر أسرة بلوية أندلسية عرفت واشتهرت.وأصل هذه الأسرة أو هذا البيت من مدينة وادي آشي Guadixشمال شرق غرناطة.ثم انتقلت إلى مدينة غرناطة عاصمة المملكة وحاضرتها[5].

ب/ عائلة ابن عصفور: ومن الأدلة على التواصل الزمني لهذه النبالة الأندلسية عائلة ابن عصفور، فقد حظي النحوي الشهير أبو الحسن علي بن موسى الحضرمي المعروف بابن عصفور بمكانة هامة لدى

---

[1] جلول الحركة العلمية في حاضرة تلمسان،ص82.

[2] لخضر بولطيف فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي، دار الصديق للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015 ص291.

[3] حاييم الزعفراني المرجع السابق، ج 01 ص 44 .

[4] يوسف أشباخ تاريخ الأندلس في عصر المرابطين والموحدين ترجمة، محمد عبدالله عنان، ط 02 مكتبة الخانجي القاهرة، 1996 ج 1 ص256 .

[5] عبد الرحمن علي الحجي هجرة علماء الأندلس لدى سقوط غرناطة(ظروفها وآثارها)،المجمع الثقافي،أبو ظبي،1424هـ/2003 138.137.

السلطان الحفصي المستنصر. بعد أن وفد على تونس. غير أن شعوره بالتفوق ومفاخرته للسلطان أديا به إلى الموت غرقا في قاع جابية سنة 650هـ/1260م[1].

ج/ أسرة بني الملاح: وفدت على مدينة تلمسان أسرة أندلسية اشتهرت بالعلم والأدب والفقه. وهي أسرة "بني ملاح" من بيوتات مدينة قرطبة ومن سراتها. كانوا يحترفون سك النقود. ويتصفون بثقة كبيرة، ويتصفون بالأمانة، نزلوا تلمسان مع جالية قرطبة. وتقلدوا وظيفة سك النقود وزادوا إليها مهنة الفلاحة، بالإضافة إلى منصب الحجابة[2].

د/أسرة ابن سيد الناس: ذكر ابن خلدون أن أسرة ابن سيد الناس جاءت من غرب الأندلس إلى افريقية. والتي بلغت عدة مناصب عليا في دولة بني حفص. وذكر منهم " أحمد بن أبي بكر بن سيد الناس اليعمري، وأخوه أبو الحسين لمسابقة رعاها لهما[3]. وقد وفد أبو بكر سيد الناس بعد سقوط اشبيلية، فتلقاه السلطان بترحاب لما كان بينهما من صداقة بإشبيلية" وتولى التدريس. غير أن ابنيه نشآ في جو الدولة وكفالتها. وعدلا عن طلب العلم إلى مراتب السلطان. فتولى أحمد بن أبي بكر بن سيد الناس حجابة السلطان أبي إسحاق إبراهيم. ونافسه أخوه في ذلك، لكن السعاية به أودت بحياته سنة679هـ/1280م. أما أخوه أبو الحسن فقد تولى الحجابة لدى الأمير أبي زكرياء ببجاية. وظل في هذه الخطة حتى وفاته سنة 690هـ/1291م[4].

المبحث الأول: المؤسسات التعليمية :

1/ المدارس :

لقد أسهم العلماء الأندلسيون الذين هاجروا إلى بجاية في تطوير الثقافة العربية الإسلامية، ما ساعد في تأصيل التراث الأندلسي. وكذا تطوير الأساليب الأندلسية بالمغرب الاوسط. كما احتوت المكتبة العربية الاندلسية على تصانيف في مختلف العلوم العقلية والنقلية . وما يتصل بأمور الفقه والأدب والفنون. ولعل

---

1 محمد حسن البادية والمدينة،ص585.

2 عبد المجيد فيلالي تلمسان،ص178.

3 محمد سعيداني الاندلسيون وتأثيراتهم،ص249.

4 ابن خلدون العبر ج6 683-685.

أهم إسهام في هذا المجال هو إسهام المدرسة الأندلسية في تطوير الثقافة العربية الإسلامية بالمغرب الأوسط[1].

وبلغ اهتمام العلماء الأندلسيين بتأسيس المدراس وتعليم الناشئة مبلغا كبيرا. وبالنظر الى نشاطهم الدؤوب فقد أصبحت حواضر المغرب الإسلامي تعج بدور العلم و التعليم والكتب والكتابة. ويعود لهم الفضل في جعل حاضرة تلمسان، وارثة العلوم الأندلسية التي نقلها العلماء الوافدون إليها من الأندلس. حيث قاموا بتنظيم حلقات العلم والدرس في المساجد، على غرار المسجد الجامع، الذي أصبح يضاهي مسجد الزيتونة بتونس والأزهر بمصر[2].

-مدرسة الشماعين(الشماعية) أول مدرسة أسست من قبل السلطان الحفصي أبي زكرياء(625-647هـ) بإفريقية وعرفت بمدرسة الشماعين أو المدرسة الشماعية. وكانت تسمى كذلك بأم المدارس، ويعود تاريخ بنائها إلى الفترة ما بين (633-647هـ/ 1235-1249م). وقد عرفت الدولة المرينية نظام المدارس النظامية. وأول مدرسة تم بناؤها كانت مدرسة الصفارين في عهد السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني سنة 675هـ[3].

ـ مدرسة ابني الإمام:

تعد هذه المدرسة أول مدرسة تبتنى من قبل ملوك بني زيان ببلاد المغرب الأوسط بأمر من السلطان أبي حمو موسى الأول ما بين (707-718هـ) وسميت على اسم العالمين الأخوين أبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن الإمام (ت749هـ/1348م) وأخيه أبي موسى بن الإمام (ت757هـ/1356م) وهما ابنا الفقيه الخطيب أبي عبد الله بن عبد الله بن الإمام[4].

ـ المدرسة التاشفينية: صارت المدرسة التي بناها أبو حمو الأول لا تكفي عدد الطلبة وتهافتهم على العلم والأدب. فلم ير أبو تاشفين عبد الرحمن الاول بدا إلا تشييد مدرسة أخرى. عرفت بالمدرسة التاشفينية.

---

1 ناصر الدين سعيدوني دراسات أندلسية،ص110.109.

2 خالد بلعربي مساهمة الجالية الأندلسية في الحركة العلمية بتلمسان خلال العهد الزياني،ص165.

3 مبخوت بودواية العلاقات الثقافية والتجارية، ص80-81.

4 نفسه 5 831.

وقد جهز لبنائها أشهر البنائين والمهندسين والفنانين ذوي الكفاءات والمهارات العالية في البناء والزخرفة والتنميق حتى جعلها قصيرا من قصور الملوك. حيث أودع فيها نماج الزخارف التي احتوت عليها قصوره. أما موقعها فكان بجانب الجامع الأعظم، فكانت تحفة فنية رائعة[1].

ـ **مدرسة سيدي أبي مدين شعيب:** وقد أقيمت بالجنوب الغربي من هذا المسجد مدرسة عرفت بمدرسة سيدي أبي مدين شعيب، وذلك في مواجهة بيت صلاة الجامع ..وكان لهذا المسجد والمدرسة عدة وظائف منها الوظيفة الدينية والإصلاحية والتعليمية طوال الفترة الزيانية [2].

ـ **مدرسة سيدي الحلوي:** أنشئت هذه المدرسة سنة 754هـ/1353م من قبل ابن أبي المريني وهو أبو عنان فارس الذي حذا حذو والده في بنائه لمدرسة العباد. فقد اختار موقعا منحدرا يشغله حي سكني يضم قبر أحد نزلاء تلمسان من الصالحين الناسكين وهو أبو عبد الله الشوذي الاشبيلي المعروف بسيدي الحلوي الأندلسي[3].

—**مدرسة مازونة:** كان الشيخ محمد بن الشارف أحد الوافدين قد بنى مدرسة مازونة المشهورة، والتي تخرج منها الفقهاء خلال العهد العثماني. حيث ظلت هذه المدرسة محافظة على سمعتها حتى بعد انتقال كرسي الحكم من مازونة إلى معسكر. وقد اشتهرت بعدد من العلماء أمثال الرماصي القليعي وعبد القادر المشرتي وأبي راس[4].

كما بنى المهاجر الأندلسي محمد شريف البولداي مدرسته المشهورة تخرج منها عدد من الفقهاء خلال العهد العثماني أمثال أبي راس وعبد القادر المشرفي[5]. بالإضافة إلى مدرسة الأندلسيين بالعاصمة التي جعلوا منها مدرسة عليا لتعليم القرآن ودراسة مختلف العلوم الأخرى وقد قدر لهذه المدرسة أن تلعب دور في الحياة الثقافية في الجزائر إضافة إلى الكتب التي جلبوها معهم وقد ذكر أن مدينة الجزائر في أواخر القرن

---

[1] مبخوت بودواية العلاقات الثقافية والتجارية 83.
[2] نفسه 73.
[3] نفسه 86.
[4] أبو القاسم سعدالله تاريخ الجزائر الثقافي 11 دار الغرب الإسلامي، بيروت 1998 ج1 183.
[5] المرجع نفسه.

10هـ/ 16 كانت كثيرة الكتب وأنه لا يضاهيها بلد في إفريقيا ولا سيما في كتب الأندلس التي كانت تغذي المكتبات العامة والخاصة[1].

2/ الزوايا:

كانت الزوايا عبارة عن مجموعة من الأبنية لتحفيظ القرآن والتعليم[2]. ولإقامة الطلبة وعابري السبيل. وكثيرا ما كانت تضم مسجدا لإقامة الصلاة. وإلى جانب أهدافها التعليمية كانت تؤدي خدمات اجتماعية متعددة لأهل القرية أو البلدة. وكان ينشئها أهل الخير أو رجال الطرق الصوفية أو كبار رجال الدولة من أموالهم الخاصة. أو يشترك جماعة في إنشائها، ويوقفون عليها أوقاف لتغطية حاجياتها... [3].

وكان بناء الزاوية يختلف إلى حد كبير عن بناء المسجد والمدرسة فالزوايا غالبا ما كانت تجمع ما بين هندسة المسجد والمنزل ، فهي قصيرة ومنخفضة القباب والعرصات وقليلة النوافذ. فكان لهذه الزوايا دور ايجابي في نشر التعليم بجميع مستوياته، وخدمة المجتمع والدين[4].

كما قام الأندلسيون بتحويل مدرسة مدينة الجزائر، والتي كانت عبارة عن زاوية إلى مدرسة عليا لتعليم علوم القرآن بالإضافة إلى تعليم وتلقين العلوم الأخرى. وقد كانت لها أوقاف لسد حاجاتها، ويشرف عليها الأندلسيون الذين عرفوا بالإجادة في التعليم والتدريس وحسن التربية[5].

ومن أشهر الزوايا ذات البعد التعليمي والإجتماعي التي اتخذتها الوفود الأندلسية سواء علماء أو طلبة ، زاوية أهل الأندلس الملحقة بالمسجد بحي مسيد العدالية بمدينة الجزائر. وقد ظلت هذه الزوايا منذ إنشائها تحافظ على مهمتها، ومقصدا للعلماء والطلبة ، حيث أشرف عليها الكثيرون من النظار والفقهاء الأندلسيين أمثال محمد بن محمد الآبلي ومحمد العنجدون ومحمد السميع ومحمد بكير وغيرهم. بالإضافة إلى زاوية سيدي أحمد الكبير بالبليدة مجاورة لضريحه ، فقد كان سكان المنطقة يرتادونها كثيرا للتبرك بها.

---

1 أبو القاسم سعدالله تاريخ الجزائر الثقافي ج1 286.

2 مبخوت بودواية العلاقات الثقافية والتجارية، ص76.

3 نفسه.

4 نفسه 6 792.

5 عبد المجيد قدور الهجرة الأندلسية إلى المغرب الإسلامي،ص177.

ولحفظ كتاب الله وتعلم الكتابة والقراءة[1]. ومن هنا كانت مدينة الجزائر تعج بالزوايا والأضرحة والقباب المقامة على الأولياء الصالحين منها زاوية وضريح عبد الرحمن الثعالبي وزاوية ولي دادة وزاوية عبد القادر الجيلاني [2].

كما شيد المرينيون عددا معتبرا من الزوايا التي كان يقصدها علماء وطلبة وافدون من الأندلس أو من مدن وقرى المغرب الإسلامي، نذكر منها زاوية سيدي الحلوي[3]) وزاوية مقبرة سلا [4]) وزاوية تافرطاست التي بناها أبو يعقوب سنة (684هـ/1285م) بمكناسة[5].

كما تتوفر الزاوية عادة على أوقافها الخاصة ، حيث تعتمد على تبرعات وهبات وغيرها. وكثير منها تتبع لزاوية رئيسة، وتحتوي هذه الزوايا في الغالب على مساكن بالإضافة إلى حجرات استقبال الغرباء والوافدين. كما تشتمل على قاعة للصلاة وقد تكون مجرد فناء في الزاوية[6].

وكانت الزوايا أكثر حرية عكس المدارس، التي كانت أنشئت من قبل السلاطين وخاضعة لتعيين المدرسين ومنح العلاوات لمدرسيها وطلابها، فإن طلاب وعلماء الزوايا كانوا أحيانا يتدخلون في مواجهة سياسة سلاطين الدولة عندما يحيدون عن تطبيق الشريعة الإسلامية. وأحسن مثال على ذلك ما قام به الملياني تجاه أمراء الدولة الزيانية الذين شن عليهم حملات متواصلة لتقربهم من النصارى واستعمالهم لأفراد من الجالية اليهودية[7].

---

[1] رابح كنتور أوقاف البليدة وفحصها (1206-1290هـ/1791-1873م)، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة الجزائر،2001-2002 - 340.

[2] مبخوت بودواية العلاقات الثقافية والتجارية، ص78.

[3] ابن الحاج النميري فيض العباب وإفاضة قداح الأدب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، دراسة وإعداد محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي،بيروت،1990 93.

[4] محمد بن القاسم المرجع السابق 50.

[5] ابن أبي زرع الأنيس المطرب،ص257.

[6] مريم بوعامر الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأدنى 107.

[7] مختار حساني تاريخ الدولة الزيانية،ج2 274.

كما توجد زاوية علي بن مبارك(ت1140هـ) بالقليعة وهي بجوار ضريح الوالي الصالح حيث ظلت هذه الزاوية منذ تأسيسها على يد الوافد الأندلسي علي بن مبارك والذي أصبحت تنسب إليه. حيث تقدم هذه الزاوية مختلف العلوم ، وتقوم بتوفير الايواء والطعام للطلبة عابري السبيل. مما جعل لها مكانة اجتماعية خاصة لدى السكان. وأصبحت مأوى للفارين من ظلم الحكام[1].

وكانت قد جرت العادة أن الزوايا تكون قريبة أو لصيقة بالمدارس أو المساجد، فكانت زاوية القيطنة قريبة من مدرسة مازونة التي بناها الشيخ محمد بن الشارف الذي وفد من الأندلس. وأصبح فيما بعدعلى رأس هذه الزاوية الشيخ محي الدين والد الأمير عبد القادر، واشتهرت كذلك بالمدرسة المحمدية[2].

والزاوية عادة ما تكون مبنى يقام للولي الصالح أو صاحب الطريقة. حيث تقام له قبة عالية بعدد من المساكن ودور لإقامة الطلبة والمريدين للطريقة ويتلقى الطلبة الأذكار ومبادئ الدين حتى إذا ما اشتهر أحدهم يقيم له مقرا مستقلا يستقبل فيه الناس والزوار والطلبة ويزداد المقر اتساعا وتطورا ويثرى صاحبه لكثرة المريدين. فيعرف ذلك بالرجل المرابط، ويعرف مقره بالزاوية التي تحمل صاحبها، وعادة يرث الأبناء آباءهم في تسيير أمور الزاوية والتدريس معا[3].

وكانت مؤسسة الزاوية مؤهلة في تلك الظروف الصعبة لاستقبال السواد الأعظم من الوافدين على إفريقية، من مدرس وجندي ومتصرف وحرفي.. وهي كلها حرف ذكرت أكثر من مرة لدى أفراد تلك الجالية[4].

ونظرا للبعد الاجتماعي الكبير الذي كانت تقوم به الزوايا في المغرب من ايواء للطلبة وعابري السبيل، إضافة إلى دورها الديني والتعبدي والتعليمي. يقول ابن مرزوق في هذا الصدد ".. والظاهر أن الزوايا عندنا في المغرب هي المواضع المعدة لإرفاق الواردين وإطعام المحتاج من القاصدين"[5]. وبهذا يكون لتلك الزوايا

---

[1] ناصر الدين سعيدوني الأوقاف الأندلسية بالجزائر من خلال وثائق الأرشيف الجزائري، الندوة الثانية للجنة العالمية للدراسات الموريسكية، تونس، 1983 ص62-63.

[2] أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي، ج183631.

[3] عبد المجيد قدور الهجرة الأندلسية إلى المغرب الإسلامي، ص233.

[4] محمد حسن البادية والمدينة،ص581.

[5] ابن مرزوق المسند الصحيح الحسن 413.

دور اجتماعي بامتياز، حتى أن السلطة عولت على الزوايا للتخفيف من حدة التوتر الاجتماعي، فقدمت لها الدعم المادي ومنحتها شتى الامتيازات، ومن ذلك أن السلطان بعث إلى زاوية مبارك العجمي 300 دينار لتوزيعها على الفقراء والمساكين. أما زاوية عبد الوهاب المزوغي الوافد على صاحبه في مدينة تونس فتحولت إلى مأوى للبدو والفقراء الفارين من قراهم. خاصة أن شيخها ارتبط بعلاقات متينة مع أعراب ناحية القيروان وزغوان. حيث سخر نفسه لتعليم سكان الخيام[1].

3/الكتاتيب:

الكتاتيب كانت مخصصة للتعليم الابتدائي. وكان التعليم فيها يقوم على حفظ القرآن ورواية الشعر والتدرب على القراءة والكتابة مع تعلم اولويات الحساب. وكانت تنتشر الكتاتيب في المدن والقرى ، وكانت عبارة عن حجرات مجاورة للمساجد أو بعيدة عنها بعض الشيء. وقد خصصت لتعليم الأطفال[2].

ورغم بساطة الكتاتيب من حيث البناء والتجهيزات إلا أنها أدت دورا كبيرا في التعليم بحواضر المغرب الإسلامي عامة. وذلك لما شهدته من مستوى رفيع في التنظيم ولما حظيت به من عناية واهتمام، فكانت تسند مهمة التدريس بها لقراء كبار[3]. وكانت علوم القرآن والتفسير قد لقيت عناية بالغة في كل عصر في المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، ذلك أن كثيرا من العلماء كانوا يلقنون مبادئه في البداية للطلبة الدارسين في الكتاتيب القرآنية، التي كان لا يتولاها إلا كبار الحفاظ المتحققين من تلك العلوم[4].

وكانت الكتاتيب أو المدارس الابتدائية مؤسسات تعليمية خاصة يقوم بإنشائها خواص في الغالب لبساطتها أو استئجار بيوت مكانا للتعليم. أو تبنى من قبل جماعة من أولياء التلاميذ الميسورين. وإذا استأجر المعلم المحل لتعليم الصبيان ، فعلى أولياء التلاميذ أداء كراء المحل[5].

---

[1] محمد حسن البادية والمدينة،ص632.

[2] مبخوت بودواية العلاقات الثقافية والتجارية، ص75.

[3] عبد القادر بوحسون العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس ،ص38.

[4] فؤاد طوهارة جوانب من الحركة العلمية والثقافية،ص94.

[5] مبخوت بودواية العلاقات الثقافية والتجارية، ص75.

وقد ذكر بعض الباحثين أن الوافدين الأندلسيين لم يكونوا كلهم من الأثرياء، وأصحاب الجاه والعلماء، بل كان منهم عدد كبير من المعوزين والمحتاجين يعدون بالآلاف ، مما دفع بالكثير منهم إلى الارتزاق من مهنة التعليم. ومن المؤكد أن الاندلسيين نظرا لانتشار المعرفة بينهم، ولتفوقهم الثقافي كانوا مهيئين لهذه المهنة على وجه الخصوص مرحلة الابتدائي وتعليم الصبيان في الكتاتيب[1].

وكانت هذه الكتاتيب أو المدارس الابتدائية تنتشر في كل أنحاء بلاد المغرب الإسلامي بخلاف المدارس والجوامع الكبيرة(المعاهد العليا) التي كانت تتوفر في المدن الكبرى فقط. وعلى هذا فما من شك في أن عددها كان كبيرا في كامل أقطار بلاد المغرب والأندلس. وهكذا يتضح لنا أن مؤسسة التعليم الابتدائي أو الكتاتيب كانت عبارة عن مؤسسة صغيرة تعتمد على أولياء التلاميذ [2].

4/الأندية المنزلية: وهناك من يضيف إلى تلك المؤسسات التعليمية الأندية المنزلية التي كانت تقام في منازل الوجهاء وأعيان البلاد ذوي النفوذ والسلطة حيث يلتقي العلماء والادباء والطلبة من أبناء الطبقة المحظوظة، وتلقى هناك الأشعار ويتناقش العلماء حول موضوعات هامة قد يحددها صاحب المنزل، وقد يحدد في نهاية كل جلسة موضوع الجلسة الموالية[3].

ثانيا/ التدريس ومناهج التعليم:

نظرا للتأثير البالغ الذي أحدثه العلماء الأندلسيون الوافدون إلى المغرب الإسلامي، فقد كان لهم حظ وافر في تدعيم وترقية مناهج وطرق التدريس. وبقدر تكونهم وحرصهم على العطاء المعرفي فقد كان الإقبال عليهم عظيما جدا. إلى حد جعلهم يحتكرون مهنة التعليم، وذلك لتفوقهم الثقافي وانتشار المعرفة في صفوفهم. حيث أدخلوا طرقا تربوية جديدة وأثروا في التعليم[4].

وشهدت حركة التدريس والتأليف في القرن ال7هـ/13م نشاطا قويا. ومما زادها ازدهارا تشجيع الأمراء والسلاطين للعلم والعلماء فأتت هذه الحركة بثمار طيبة. وحققت نجاحا كبيرا. حيث كان أغلب العلماء

[1] فؤاد طوهارة جوانب من الحركة العلمية والثقافية،ص94.
[2] مبخوت بودواية العلاقات الثقافية والتجارية، ص76.
[3] عبد المجيد قدور الهجرة الأندلسية إلى المغرب الإسلامي،ص234.
[4] عبد المجيد قدور الهجرة،ص236.

الذين وفدوا على أمراء وحكام بجاية على سبيل المثال لما عرف عنهم من تقريب للعلماء وتكريمهم بالهبات والهدايا، دور كبير في التدريس وتقديم الاستشارات في أمور السياسة والحكم[1].

واشتهر من العلماء الوافدين إلى المغرب الإسلامي صنفان:

-صنف يضم العلماء الكبار البارزين والمشاركين في عدد من العلوم. والذين اشهروا في ميدان التأليف ومنهم 7أعلام مرتبين حسب تواريخ وفاتهم وهم -عبد الحق بن عبد الرحمن الإشبيلي(ت582هـ/1186م)،جمع بين الفقه والحديث وعلوم العربية. إضافة إلى مؤلفاته التي كانت مشهورة في بجاية. ومحد بن عبد الرحمن التجيبي(ت610هـ/1213م) جمع بين عدة تخصصات منها القراءات والحديث وعلم التاريخ، وترك عددا من المصنفات في تمسان. وأبو مدين شعيب الانصاري(ت590هـ/1193م) والذي ظهر تميزه في التصوف والزهد. إضافة إلى العالم طاهر بن عبد الرحمن بن سعيد (ت540هـ/1145م) [2].

وكانت طريقة التعليم المتبعة بالمغرب قبل الهجرة إليه يعتمد على تحفيظ القرآن الكريم ومبادئ العلوم الدينية في البداية دون فهم وتوضيح. وقد أبدى الكثير من العلماء الأندلسيين تحفظا على هذه الطريقة على غرار محمد بن إبراهيم الآبلي(ت757هـ/1356م) [3].

وقد اختلفت مناهج التعليم في كل من المغرب الأدنى والأوسط عن التعليم في الأندلس. إذ كان التعليم في بلاد المغرب عامة يقتصر على تعليم القرآن الكريم ومبادئ العلوم الدينية في البداية. ثم الانتقال إلى العلوم الأخرى. بينما اقتصر التعليم في الأندلس على علوم اللغة العربية وقواعدها لاسيما الخط. وكان الطفل يبدأ يتعلم القراءة والكتابة، ثم النحو واللغة والحساب. وبعدها ينتقل إلى دراسة المنطق، وعلوم الطبيعة، ثم يليها علم الأخبار، والماورائيات، وفي النهاية ينتقل إلى دراسة العلوم الشرعية. وقد أبدى العلماء

---

[1]عبد الوهاب الهاشمي ود.أحمد بحري الحياة الاجتماعية والثقافية في بجاية،ص110.

[2] فهيمة حناش المرجع السابق،ص149.

[3] لخضر عبدلي دور الأندلسيين في الإشعاع الثقافي بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني، مجلة القرطاس،جامعة تلمسان،ع2 20152ص17.

الأندلسيون تحفظهم على طريقة التعليم التي كانت متبعة في بلاد المغرب. إذ كانوا يرون أن الطالب يصبح عبارة عن وعاء وعلى الأستاذ أن يملأه بالمعلومات[1].

لذا ركز العلماء الوافدون على طريقتهم التي تقضي بالاهتمام بالبحث والتفكير وإلقاء الأسئلة والتحاور من أجل أن يفهم الطالب وتترسخ المعلومات في ذهنه. وكان لهذه الطرق التعليمية التي اتبعها هؤلاء العلماء المهاجرون أثر على التعليم فقد قوبلت طرقهم ومنهجيتهم المتبعة في التعليم بالاستحسان، وانتشرت في عموم بلاد المغرب[2].

وكان التهافت يقل أو يكثر بحسب ما للمتصدر من إشعاع، وكان عددهم مرتفعا أيضا فقد أحصى محمد بن خوجة معتمدا على رحلة ابن الرشيد مالا يقل عن خمسة وثلاثين عالما اندلسيا دخلوا إفريقية. وأثبت الغبريني أن ثلاثا وثلاثين عالما من علماء الأندلس وفدوا على بجاية وإفريقية واستقروا هناك وبثوا علومهم وأسمعوا زملاءهم حسب طريقة الإجازة المألوفة، وسمعا منهم[3].

ووجد المعلمون الأندلسيون بالمغرب الأوسط خاصة تهافت المعلمين على مهنة التعليم، لما لها من جاذبية وحسن المعاملة بينهم وبين المتعلمين ما جعل الصبيان يقبلون على التعليم عن رضى نفس وطيب خاطر، مما ساعد على ازدهار الحياة الثقافية في المغرب الأوسط. لأن الأندلسيين عرفوا بإجادة فن التدريس، وكذا مراعاة خطوات التطور العقلي لدى التلميذ[4].

كما تميزت البرامج الدراسية القائمة على المتون والشروح والتعليقات بالطابع الاندلسي. سواء في طريقة التأليف أو في أسلوب التدريس بها. لذلك أصبح التأليف الاندلسي محل اهتمام كبير، سواء ما ألف بالأندلس أو ما ألف بالمغرب الأوسط. حيث أصبح يعتمد عليها الأساتذة وطلبة العلم[5].

وقد كان المعتمد في المناهج الأندلسية أن أدخلوا نظامين من أنواع التعليم إلى بلاد المغرب الإسلامي وهما

---

[1] حارث علي عبد الله هجرة سكان الأندلس إلى بلاد المغرب ،ص06.

[2] المرجع نفسه.

[3] محمد الطالبي المرجع السابق،ص67-68.

[4] عبد المجيد قدور الهجرة الأندلسية إلى المغرب الإسلامي،ص177.

[5] ناصر الدين سعيدوني دراسات أندلسية،ص110.

-التعليم الابتدائي: حيث يلتحق الطفل وهو في سن الخامسة أو السادسة فيتعلم القراءة والكتابة على الألواح الخشبية، ثم ينتقل الى حفظ القرآن الكريم، ووسيلته للقراءة والكتابة هي اللوحة الخشبية المصقوله، التي تمحى كتابتها بسهولة، وكانت في بعض الجهات تقام مدارس للبنات وهي نادرة[1].

-التعليم العالي: أو المدارس العليا فهي مؤسسات تعليمية تابعة لأحد المساجد الكبرى. وقد تشغل المدرسة جناحا من المسجد. ويتلقى الطلاب في هذه المرحلة مختلف العلوم كالأدب والفقه المالكي والتوحيد، ليلتحقوا بعد تخرجهم بسلك القضاء أو سلك العلماء المدرسين. وقد كان هؤلاء يتلقون رواتبهم من الحبوس التي هي عماد هذه المدارس في آداء وظائفها. ومن أهم هذه المدارس مدرسة الجامع الكبير بمدينة الجزائر التي كانت تدرس النحو والحديث النبوي والبلاغة والحساب، وكان لها مكتبة كبرى تزدحم فيها الكتب المخطوطة[2].

وكان هذا النوع من التعليم يشهد منافسة الأندلسيين وأهل البلاد، نظرا لأن التعليم في هذا المستوى يؤدي في كثير من الأحيان إلى الجاه والنفوذ والثراء. غير أن الحفصيين كانوا يميلون على العموم إلى المدرسين الأندلسيين لشهرتهم وكفاءتهم ولإستغلالهم أيضا للدعاية لهم[3].

المبحث الثاني: تأثير الوفود الأندلسية في مجالات العلم والثقافة والفكر:

1/التأثير الأندلسي الثقافي:

عرفت الحياة الثقافية في المغرب الإسلامي توافد كثير من العلماء والأدباء الأندلسيين في شتى صنوف وفنون المعرفة. لا سيما وأن معظم الوافدين كانوا من أهل البيوتات العلمية والفنية الكبيرة في الأندلس. وكان تنقلهم واستقرارهم بمدن المغرب الإسلامي قد ساهم في ازدهار الحركة العلمية والثقافية. حيث توارثوا علومهم ومعارفهم وأسهموا بقسم كبير من الجهود المعرفية من بناء المدارس والمساجد والزوايا، وتعليم التلاميذ وتخريج فقهاء وقضاة ومتمكنين في كل مجالات العلم والمعرفة.

---
[1] عبد المجيد قدور هجرة،ص233.
[2] عبد المجيد قدور هجرة،ص234.
[3] محمد رزوق درسات،ص36.

ففي مدينة فاس –مثلا– تبلور الفكر العلمي في مختلف ميادين المعرفة، ووازن بين نتاج التجربة العلمية من جهة، ونتاج الفكر النظري بما ينطوي عليه من عقل ونفس. حيث تحولت المدينة إلى مجمع علمي لعلماء المغرب الإسلامي كالقيروان وقرطبة، ورحل العديد منهم متخذين من فاس مقرا لهم. وقد أفادت رحلات هؤلاء العلماء ورجال الفكر أيما إفادة، فوسعت أفقهم الفكري، وساهمت في تفعيل ميادين الحركة الفكرية[1].

وكان الانصهار الثقافي التدريجي للوافدين على مجتمع المغرب الإسلامي قد حصل للجالية الأندلسية. فالحوار الثقافي ظل قويا بين النخبة الحضرية والأندلسيين[2]. وبعد ذلك تقلصت الفوارق الأصلية شيئا فشيئا، بين العنصر الأندلسي والعنصر المحلي. إذ أن كثيرا من الأهالي الذين تأثروا بثقافة الأندلسيين قد تمكنوا من تعويضهم في حين نرى الأندلسيين أنفسهم الذين اصطبغوا إلى حد كبير بالطابع الإفريقي قد تمكنوا كثيرا من ذلك التضامن الفعال الموجود عادة بين المواطنين والوافدين[3].

ومن ناحية أخرى نلاحظ أن الوافدين من أهل الذمة كان لهم أثر كبير في نقل الثقافة العربية إلى أوروبا، ولم يكن ذلك الانتقال بهدف الحضارة والعلم. وإنما بغية السيطرة على الجانب الاقتصادي من جهة، وجمع الثروة المالية من جهة أخرى. فهم بذلك يسعون إلى محاربة الإسلام والمسلمين ، وهذا ما يظهر جليا مع هجرة مسلمي الأندلس إلى بلاد المغرب الإسلامي[4].

كما ساهمت الوفادات العلمية التي كان يقوم بها العماء الأندلسيون إلى مدن وحواضر المغرب الإسلامي في خلق جو من التنافس العلمي بين العلماء بمختلف تياراتهم واتجاهاتهم. حيث مدوا جسور التواصل في تبادل الاتصال العلمي والمعرفي بين بلدان العالم الإسلامي. وقد تمكنت هذه الجسور في تبادل الآراء الفقهية واللغوية. وكذلك كان هناك تداول للكتب والمؤلفات، وتبادل الإجازات العلمية والاستكثار من الشيوخ. حيث يسعى كل طالب في لقاء الكثير من العلماء للأخذ عنهم والاستفادة منهم[5].

---

1 فؤاد طوهارة جوانب من الحركة العلمية والثقافية،ص93-94.

2 محمد حسن البادية والمدينة،ص590.

3 برنشفيك المرجع السابق،ج2 160.

4 سميرة نميش أهل الذمة،ص150.

5 الهاشمي وبحري الحياة الاجتماعية والثقافية في بجاية،ص111.

وقد تجلت التأثيرات الأندلسية الثقافية في حاضرة تلمسان الزيانية خصوصا وفي حواضر المغرب الإسلامي عموما، في عدة مجالات علمية ودينية. وهذا بفضل شخصيات علمية أدبية أندلسية وبيوتات من الأندلس ذات قدر كبير من الثقافة والثراء المعرفي. استقرت بتلمسان ولقيت عناية وحظوة عند سلاطين بني زيان[1].

وإذا انتقلنا إلى حاضرة بجاية في العهد الحفصي ، يكفي الاطلاع على كتاب "عنوان الدراية للغبريني" لاكتشاف ذلك العدد الكبير من الشخصيات الأندلسية المترجم لها. والذين بلغ عددهم 25عالما، ما بين فقيه وأصولي وأديب وشاعر ولغوي ومؤرخ وكاتب وطبيب، وغيرها من الشخصيات العلمية التي ساهت بفاعلية في الازدهار الحضاري والثقافي الذي ساد مدينة بجاية[2].

ولعل أول عامل سهل التواجد الأندلسي في هذه المدينة الساحلية هو موقعها الجغرافي الواقع على البحر. ومن ثم فهي من المراسي التي تربط العدوة المغربية ببلاد الأندلس. وقد لاحظ البكري هذه الخاصية لهذه المدينة. فقد ذكر أنها كانت عامرة بالأندلسيين في القرن ال5هـ، وأنها باب مفتوح لكل وافد أندلسي يريد الدخول إلى المغرب الإسلامي[3].

وبسبب هذا الحضور الأندلسي النوعي والعددي بحاضرة بجاية ، ظهر فيها كما أطلق عليه الغبريني "الجماعة الاندلسية" ، وكان يرأسها ابن محرز البلنسي الذي كان أديبا كبيرا. فكان بيته يشبه ناديا ثقافيا تحضره شخصيات علمية كبيرة أندلسية استوطنت بجاية[4].

1/مجال العلوم الشرعية واللغوية:

*علوم القرآن والتفسير والقراءات:

القرآن الكريم هو المصدر الأول في التشريع الإسلامين والمنظم لشؤون المسلمين الدينية والمدنية. وقد اهتم علماء المغرب الأوسط والأندلس اهتماما كبيرا بالقرآن الكريم وعلومه فكانوا يدرسونه في المساجد والزوايا

---

1 محمد سعيداني الأندلسيون وتأثيراتهم،ص138.

2 المرجع نفسه 183-116.

3 البكري المغرب،ص82 ؛ محمد سعيداني الأندلسيون وتأثيراتهم،ص116.

4 محمد سعيداني الأندلسيون وتأثيراتهم،ص183.

والكتاتيب. ومن أجل المحافظة عليه كانوا يقرأون عدة أحزاب يوميا بعد صلاة الصبح والمغرب[1]. ومن أشهر العلماء الذين برعوا في هذه العلوم ووفدوا إلى المغرب الإسلامي

-محمد بن يوسف بن مفرح بن سعادة الإشبيلي أبوبكر كان مجودا للقرآن، ضابطا محدثا نقادا عالي الرواية، نزل بتلمسان وعمر بها، توفي في رجب سنة 600هـ[2].

-أبو القاسم الفهري القرعة(825-896هـ/1422-1491م): أبو القاسم محمد بن محمد بن أحمد بن بكرون الفهري الشهير بالقرعة وهو أستاذ بني داود، أستاذ الأب أبي الحسن والابن أبي جعفر، قرأ عليه عدة كتب وحضرا مجالسه. وأجاز لهم رواية ذلك إجازة عامة[3].

أخذ الفهري عن الإمام العلامة قاضي الجماعة بغرناطة ابن منظور الأندلسي الغرناطي، وشاركه في هذا الأخذ تلميذه أبو جعفر أحمد البلوي[4].

رحل القرعة فيمن رحلوا ووفدوا على تلمسان، واستقروا بها. ومن المحتمل جدا أن تكون هجرته من الأندلس مع بني داود، ربما صحبهم من غرناطة لهذا الغرض. رحلوا جميعا إلى تلمسان، أو رحل مع مجموعة أخرى، أو قد يكون رحل وحده سنة 894هـ/1489م، وهذا احتمال أقل وإن كان ممكنا[5].

-أبو محمد عبد الله الجابري الزيعجي(ت897هـ/1492م) أحد شيوخ أبي جعفر بن داود ، قرأ عليه في غرناطة ولقيه بعد ذلك في المرية. وفد الجابري إلى تونس من بلنسية، شرقي الأندلس، عام 896هـ/1491م[6].

***علوم الحديث:**

ومن علوم الحديث النظر في الأسانيد ومعرفة ما يجب العمل به من الأحاديث بوقوعه على السند الكامل الشروط. لأن العمل إنما وجب بما يغلب الظن صدقه من أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم.. وهو

[1] عبد القادر بوحسون العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس ،ص5.

[2] يحيى بن خلدون بغية الرواد،ج1 168-169.

[3] عبد الرحمن الحجي هجرة علماء الأندلس،ص 146.

[4] نفسه.

[5] نفسه 46 147.

[6] نفسه 47 160.

بمعرفة رواة الحديث بالعدالة والضبط.. وكذلك مراتب هؤلاء النقلة من الصحابة والتابعين وتفاوتهم في ذلك وتميزهم فيه واحدا واحدا[1]. ومن أشهر العلماء الأندلسيين الوافدين على مدن المغرب الإسلامي ما يأتي

-أبو بكر محمد بن أحمد بن سيد الناس الذي ولد وعاش بإشبيلية وكان ظاهري المذهب حافظا للحديث عارفا برجاله وأسمائه، نزل بجاية واستدعاه السلطان الحفصي المستنصر، وقربه إليه[2].

-أبو العباس أحمد بن محمد القرشي الغرناطي الفقيه والمحدث، نزل بجاية ودرس بجامعها الأعظم ثم عكف على التدريس في إفريقية[3].

-الفقيه والمحدث إسحاق بن محمد بن علي العبدري الميورقي الذي هاجر إلى تونس وامتهن التدريس إلى أن توفي هناك[4].

-محمد بن موسى الحلفاوي الإشبيلي كان من أهل اشبيلية، نزل بمدينة فاس، وكان ضليعا في الفقه وحافظا للقرآن الكريم وكثيرا من الأحاديث، أخذ التصوف من يعقوب الزيات من أهل فاس. توفي بفاس سنة 758هـ/1356م [5].

-ابن الأبار القضاعي، أبو عبد الله محمد(ت **658** هـ/ **1259**م)

يعتبر "الشيخ الفقيه الكاتب البارع التاريخي" من أبرز الشخصيات التاريخية الوافدة على بجاية. حيث أقام بها مدة للتدريس والإقراء والتصنيف، وأقام مدة يقرأ "سنن الدار قطني" على شيخه الراوية ابن السراج(ت657هـ /1258م). ونال حظوة كبيرة عند السلطان الحفصي أبي زكرياء يحي في مدينة تونس[6].

***الفقه**: ومن أهم الفقهاء الوافدين من الأندلس الى بلاد المغرب الإسلامي

---

1 فؤاد طوهارة جوانب من الحركة العلمية والثقافية في حاضرة فاس،ص95.

2 الغبريني عنوان الدراية،ص67-68.

3 الغبريني المصدر السابق،ص246-247.

4 محمد الطالبي المرجع السابق،ص67-68.

5 أحمد بن القاضي المصدر السابق،ص305.

6 آسيا ساحلي المشيخة الأندلسية في بجاية،ص104.

-ابن الحاج إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم وهو الفقيه الجليل الكاتب البارع البليغ الناظم الناثر المتفنن القاضي. نشأ على عفاف وطهارة، نظم الشعر، وبلغ الغاية من جودة الخط.. شرق عام637هـ وحج وتطوف وقيد واستكثر ودون رحلته.. ثم انتقل واستقر ببجاية مضطلعا بالكتابة، ثم اتصل بأبي الحسن المريني[1].

-ابن محرز(ت655هـ): هو أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الرحمن المعروف بابن محرز. "الفقيه الحافظ اللافظ، المتقن اللغوي التاريخي الاديب الكامل من أهل بلنسية. قرأ بالأندلس، ولقي بها الأفاضل من أهل التحصيل. جمع بين الرواية وعلو المنصب. ارتحل إلى بجاية بعد 640هـ واستوطنها. وكان معظما عند أهلها محترما...كانت تقرأ عليه الكتب الفقهية وكتب الحديث وكتب اللغة والأدب. ولا يخلو له وقت عن الاشتغال بالعلم. إما الرواية والتدريس وإما المقابلة، وإما عرض المسائل على سبيل المذاكرة.. [2].

-ابن الغماز(ت693هـ): هو الفقيه القاضي أحمد بن محمد بن الحسن بن الغماز الأنصاري أحد الفضلاء المشهورين بالدين. كانت ولادته ببلنسية يوم عاشوراء من سنة 609هـ، وهي سنة العقاب... وكان فقيها مفتيا عارفا بالتوثيق. أخذ عن جماعة من أهل الأندلس. ثم ارتحل إلى بجاية، فسكن بها واشتغل بالقضاء ،ثم توجه إلى تونس فتصرف في قضاء كثير من بلادها إلى أن قدم قضاء الحضرة نفسها في 23رمضان سنة 660هـ[3].

-ابن عاشر أحمد بن عمر بن محمد الأندلسي(ق 8هـ): نزيل سلا الولي الزاهد المشهور ، صاحب الكرامات والمناقب والأحوال الباهرة... ممن جُمع له العلم والعمل وأُلقي عليه القبول من الخلق شديد الهيبة وعظيم الوقار، كثير الخشية، طويل التفكر والاعتبار، قصده السلطان أبو عنان، وارتحل عام757هـ، فوقف ببابه طويلا يستأن فلم يأذن له ، وانصرف وقد امتلأ قلبه من حبه وإجلاله. ثم عاد للوقوف ببابه طويلا،

---

1 التنبكتي الديباج،ص46.

2 الغبريني عنوان الدراية،ص225.

3 الزركشي المصدر السابق،ص53.

فبعث له بعض أولاده بكتاب كتبه إليه، يستعطفه زيارته ورؤيته. فأجابه بما قطع رجاءه وأيس من لقائه واشتد حزنه. وقال " هذا ولي من أولياء الله حجبه الله عنا"[1].

-ابن عصفور(ق7هـ/13م) هو أبو الحسن علي بن مؤمن الحضرمي الفقيه النحوي اللغوي التاريخي، شهير الذكر، رفيع القدر، من أهل اشبيلية، ارتحل إلى العدوة واستوطن بجاية، وكان بها أستاذا للأمير أبي يحيى ، وارتحل إلى حاضرة إفريقية فحظي بها عند المستنصر بالله . وكان أحد خواص مجلسه، وقبل انتقال الإمارة إليه، كان يقرا عليه، وقرأ عليه خلق كثير وانتفعوا به[2].

-أبو المطرف أحمد بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن عميرة المخزومي(ت656هـ/1258م): الشيخ الفقيه المجيد المجتهد العالم الجليل الفاضل المتقن المتفنن أعلم العلماء، استوطن بجاية مدة طويلة وأقرأ بها، ودرس، له علم بالفقه وأصوله، وحديث حسن في معقوله ومنقوله، وله أدب هو فيه فريد، وسابق أهل عصره والكثير من الطلبة يعتقدون أن الفقيه إنما هو أديب ليس إلا اشتهار أدبه اشتهارا غطى على ما عداه من طلبه.. والناس يتداولون كتبه ويستحسنونها ويؤثرونها على كتب غيره ويفضلونها[3].

-الشيخ الولي أبو عبد الله الشوذي الحلوي(ت ق7) نزيل تلمسان، من كبار العباد العارفين. كان من الصلحاء. وقيل إنه ولي القضاء بإشبيلية آخر دولة بني عبد المؤمن، ثم فر بنفسه، وآوى إلى تلمسان في زي المجانين، توفي بتلمسان وقبره خارج باب علي(4).

-ابن سيد الناس(ت 659هـ/1261م): وقد عاش في عهد السلطان أبي زكرياء الحفصي، كان محدثا ظاهريا من بيوتات إشبيلية. وفد أبو بكر بن سيد الناس على تونس فأكرمه السلطان الحفصي وعينه مدرسا بالمدرسة التوفيقية حتى وفاته. وتولى بعده أبناؤه الخطط السلطانية من حجابة وغيرها، وعدلوا عن التدريس[5].

---

[1] التنبكتي الديباج،ص96.

[2] الغبريني عنوان الدراية،ص266.

[3] المصدر نفسه 250-251.

[4] يحيى بن خلدون بغية الرواد،ج1 167-165.

[5] محمد حسن البادية والمدينة،ص578.

*فنون الأدب والنحو وعلوم اللغة العربية:

وما يدعو للإنتباه هو كثرة عدد الأدباء الأندلسيين المهاجرين إلى إفريقية، وما يمتازون به من منزلة رفيعة. ذلك أن الحضارة الأندلسية التي هي أرقى وأسمى من الحضارة المغربية في كثير من الميادين، قد برهنت على تفوقها البالغ لاسيما في ميدان الأدب [1].

فقد استطاع هؤلاء الوافدون من علماء الأندلس وأدبائها وشعرائها أن يتبوأوا مكان الصدارة على الساحة العلمية ببلاد المغرب الإسلامي[2]. وأشهرهم

-أبو محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الزهري(ت655هـ/1257م) ويعرف بابن محرز البلنسي وهو فقيه ولغوي، انتقل من الأندلس ووفد إلى مدينة بجاية حاضرة الدولة الحفصية واستقر بها، ترك عدة مؤلفات منها تقييد على التلقين[3].

-أحمد بن علي المغافر الغرناطي(498-537هـ):

من غرناطة ، أخذ عن أبي محمد البطليوسي وأبي القاسم ابن الأبرش. نشأ أديبا فقيها نبيها. وكان ممن برع في الأدب وفنون اللغة، وارتسم في ديوان الكتابة، وانطبع فيها. وكان ذا حظ بارع القريحة في النظم النثر[4].

-محمد بن حكم بن باق الجذامي(ت533هـ): أصله من سرقسطة ، سكن مدينة غرناطة ثم فاس. كان مقرئا مجودا عارفا بالكلام وأصول الفقه، محصلا متقدما في النحو واللغة. ولي أحكام فاس وأفتى بها. ودرس العربية، وكان قيما على كتاب سيبويه[5].

-أبو العباس أحمد بن القاسم بن القيصر الإشبيلي(ق7هـ) المعروف بصلاته مع رجال البلاط الحفصي وله في المستنصر ورجال دولته المدائح الكثيرة[6].

---

[1] برنشفيك المرجع السابق،ج2 160.

[2] محمد رزوق الأندلسيون وهجراتهم،ص47.

[3] ابن مخلوف محمد بن محمد شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ،الطبعة السلفية، القاهرة،1349 194/1.

[4] أحمد بن القاضي المصدر السابق،ص110.

[5] أحمد بن القاضي المصدر السابق،ص255-256.

[6] محمد رزوق درسات،ص37.

-أبو حسن حازم بن محمد الغرناطي (ت684هـ/1285م) كان فقيها وشاعرا وفد إلى المغرب الأدنى ونزل بتونس، ومدح أميرها الحفصي المستنصر بالله، ترك مؤلفات أهمها كتاب سراج البلغاء في البلاغة[1].

-أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد الغرناطي(610-685هـ/1213-1286م): وهو الفقيه والأديب الجغرافي، ومن مؤلفاته "القدح المحلى"وكتاب" المغرب في حلي المغرب"[2].

-أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن دحية الكلبي الأندلسي(ت633هـ/1235م): كان نحويا ولغويا متعدد الفنون، هاجر من الاندلس واتجه نحو بلاد المغرب الأوسط ودخل تلمسان وسكن مدينة بجاية. يقول عنه الغبريني "كان من أحفظ أهل زمانه باللغة، حتى صار حوشي اللغة عنده مستعملا غالبا عليه، ولا يحفظ الإنسان من اللغة حواشيها إلا وذلك أضعاف محفوظة من مستعملها، وكان قصده والله أعلم- أن ينفرد بنوع يشتهر به دون غيره من الناس"[3].

-أحمد بن عبد الرحمن اللخمي(ت511هـ/1118م): أصله من قرطبة، نحوي له كتاب في النحو "تنزيه القرآن عما لا يليق من البيان". ولي قضاء فاس، عرف بطيب السيرة وكريم الأخلاق وفصاحة اللسان. يعد من الأدباء الذين لهم الحظ الوافر من الكتابات والشعر. كما ظهرت مشاركاته في شتى فنون العلم والأدب[4].

-محمد بن إبراهيم بن أحمد الآبلي أبو عبد الله شيخ العلوم العقلية والنقلية في عصره ومن أشهر علماء المغرب الاوسط في المائة الثامنة، وأحد أساتذة عبد الرحمن بن خلدون ولسان الدين بن الخطيب، أصل أجداده من مدينة آبلة (Avila) أجاز أبوه وعمه إلى تلمسان ، فاستخدمهما السلطان أبو يحيى يغمراسن بن زيان في الجندية فكان أبوه قائدا بهنين[5].

---

1 ابن فرحون المصدر السابق،ص112.

2 نفسه.

3 عنوان الدراية،ص269-270.

4 أحمد بن القاضي المصدر السابق،ص139-140.

5 مبخوت بودواية المرجع السابق0 1661.

2/ مجال علوم الطبيعة والحياة:

- علم الطب:

*__تعريفه__: يراد بعلم الطب تلك الصناعة التي تنظر في بدن الإنسان من حيث المرض والصحة، فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية بعد أن يتبين المرض الذي يخص كل عضو من أعضاء البدن التي تنشأ عنها وما يجب لكل مرض من الأدوية[1].

وقد أسهم العلماء الوافدون من الأندلس إلى بلاد المغرب الإسلامي في التأثير على العلوم المختلفة. ويعد الطب والصيدلة من أهم العلوم التي مسها هذا التأثير. فقد دخل الكثير من المهاجرين الأطباء والصيادلة مدن وحواضر المغرب الإسلامي، خاصة منهم ذوي الخبرات الطويلة والمهارات الوافرة والمعارف الكثيرة في هذا العلم. فكان لهم دور كبير في تطوير الطب والصيدلة وازدهارهما في بلاد المغرب بصفة عامة[2].

*** الأطباء الأندلسيون الوافدون:**

-ابن الحسن علي بن موسى بن شلوط البلنسي(ت610هـ/1212م): يعتبر من أشهر الأطباء الذين وفدوا من الأندلس إلى بلاد المغرب الإسلامي واستقر بمدينة تلمسان، واشتغل بها طبيبا [3]. حج وسمع بمكة من علي بن حميد بن عمار الطرابلسي، واستوطن تلمسان واحترف بالطب[4].

-أبو العباس أحمد بن خالد (ت660هـ): من أهل مالقة قرأ بالأندلس وقرأ بمراكش.. كان متحملا لأصول الفقه ولأصول الدين على طريقة الأئمة المتقدمين. وكانت له شركة في الطب. وله مشاركة في الحكم والطبيعيات والإلهيات.. جلس للإقراء ببجاية، وكان يقرأ عليه في منزله[5].

-أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد المعروف ب(أندراس)(ت674هـ/1273م):

---

1 ابن خلدون المقدمة ،ص650 ؛ فؤاد طوهارة جوانب من الحركة العلمية والثقافية،ص103.

2 حارث علي عبد الله هجرة سكان الأندلس إلى بلاد المغرب،ص07.

3 محمد العربي الخطابي الطب والأطباء في الأندلس، دار الغرب الإسلامي،بيروت 1988 ج1 67.

4 الذهبي شمس الدين تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح بشار عواد معروف،ط1،دار الغرب الإسلامي،بيروت، ع13 2003 145.

5 الغبريني عنوان الدراية،ص100.

يعتبر من أشهر أطباء وعلماء الأندلس في العصر الوسيط، وهو طبيب من أهل مرسية، رحل من الأندلس ووفد إلى بلاد المغرب، ونزل مدينة بجاية سنة 660هـ/1292م، وعمل بمهنة الطب لدى ولاة بجاية، فضلا عن اشتغاله بالتدريس سواء ما تعلق بالطب أو الفقه واللغة العربية بجامعها[1].

-محمد بن محمد بن عشيرة اللخمي المرسي: وهو المحدث الطبيب. ارتحل من مرسية إلى بجاية وعين بها طبيبا لإبن اللحياني ثم غادر بجاية إلى ألمرية وتوفي هناك[2].

-أبو عبد الله بن يوسف بن رضوان التجاري المالقي: وهو أديب وطبيب ضمه السلطان أبو العباس أحمد الحفصي(772-796هـ/1370-1394م) إلى سلك الأطباء[3].

-أبو الحجاج يوسف الذي حظي بتقدير شخصي بالغ في بلاط السلطان الحفصي أبي العباس [4].

-محمد بن القاسم أبو بكر من علماء مالقة، اشتهر بصناعة الطب في العهد المريني، حيث رحل إلى فاس وتولى الإشراف على المرضى وامتهن الطب حتى توفي وذلك في عهد السلطان ابن عنان في ربيع الآخر من سنة704هـ/1303م[5].

-أبو عبد الله بن يوسف بن رضوان النجاري المالقي(ق8هـ/ق14م) كان من بين الأطباء الأندلسيين المشهورين الذين وفدوا إلى افريقية في العهد الحفصي ، حيث قربه السلطان الحفصي أبو العباس(772-796هـ/137-1394م) وجعله من أطبائه[6].

***أهم علماء الفلاحة الوافدين:**

-ابن بيطار المالقي(ت646هـ/1248م) يعتبر ابن البيطار من أحق علماء النباتات الطبية والصيدلانية. رحل إلى بلاد المغرب الإسلامي ووفد إلى بجاية وسكن بها مؤقتا بحثا عن الأعشاب الطبية التي ذكر عددا

---

1 الغبريني عنوان الدراية، ص75.

2 ابن حجر العسقلاني الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، تح محمد سيد جاد الحق،ط11 دار الكتب الحديثة،القاهرة،1966 ص233.

3 المقري نفح الطيب،ج214662.

4 برونشفيك المرجع السابق،ص389-390.

5 محمد بن عيسى الحرري تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني،دار القلم للنشر، الكويت 184.

6 المقري نفح الطيب، ج2 214.

منها في كتاب له. حيث يؤكد أن بعض هذه الأعشاب لم يكن معروفا إلا في بجاية. وله فيها عدة مؤلفات، ثم رحل إلى المشرق وتوفي بدمشق سنة 646هـ/1248م [1].

-أبو العباس أحمد بن مفرج المعروف بابن الرومية، والذي أقام مدة بتونس ثم عاد إلى إشبيلية ثم عاد إلى إشبيلية ومات بها سنة 637هـ/1248م [2].

***علماء الرياضيات والحساب:**

كان لهجرة رياضيي الأندلس خلال القرن7-9هـ إلى بلاد المغرب، دور كبير فقد أسهموا في نقل وإثراء علم الرياضيات ببلاد المغرب في هذه المدة. وأحسن دليل على ذلك التأثير هو تداول كتب رياضية لعلماء أندلسيين، بين المدرسين للرياضيات والدارسين لها بمدينة تونس في المغرب الأدنى، ومن أهمها كتاب الحصار[3] نذكر منهم

-أبو الحسن القلصادي(815-891هـ) وكان مشتهرا بالفقه والحساب. ومن مؤلفاته " كشف الجلباب في علم الحساب" و"القانون في الحساب"[4].

إن شهرة القلصادي بالحساب والرياضيات ومؤلفاته فيها بلغت درجة وشهرة ومكانة عالية. حتى ليمكن أن يوصف بالحيسوبي الكبير. له مؤلفات عديدة ، وله رحلة مشهورة سرد فيها الكثير مما يتعلق بعلم الحساب وذكر شيوخه الذين أخذ عنهم، معددا ثلاثا وثلاثين في الأندلس وخارجها[5].

ترك القلصادي الأندلس في رحلته الأولى سنة 840هـ/1436م متجها إلى تلمسان. و قد كان لتلمسان الحظ الوافر من إقامة القلصادي خلال رحلته إذ مكث بها حوالي ثماني سنوات ليرتحل بعد ذلك نحو تونس. وقد أعجب بجوها الثقافي. فأقام بها سنتين ونصف، وسكن بالمدرسة الجديدة بحي السويقة، والمدرسة المنتصرية القريبة من جامع الزيتونة[6].

---

[1] المقري نفح الطيب ج2 44-45.

[2] ابن الخطيب الإحاطة،ج4 240-241.

[3] حارث علي عبد الله هجرة سكان الأندلس إلى بلاد المغرب،ص08.

[4] التنبكتي المصدر السابق 210.

[5] عبد الرحمن الحجي هجرة علماء الأندلس، ص 123.

[6] مبخوت بودواية العلاقات3 1811.

ثم تركها إلى تونس، ثم عاد إلى مصر ثم انتقل إلى الحج ثم عاد إلى الاندلس إلى بسطة مسقط رأسه، ثم انتقل إلى غرناطة ليستقر بها. لكنه سنة 891هـ/1486م أو قبلها ترك الأندلس للمرة الثانية والأخيرة ، وهاجر منها مبكرا قبل السقوط إلى تلمسان ومنها إلى باجة في تونس[1].

- ابن الحاج محمد بن علي بن عبد الله بن محمد (ت714هـ/1314م): وهو من الوافدين من إشبيلية، برع في الحيلة الهندسية، ونقل الأجرام، ورفع الأثقال، ونظرا لما يتمتع به من علم وبراعة في الرياضيات والهندسة، فقد أشرف على بناء دولاب بمدينة فاس منفسح القطر، بعيد المدى، ملين المركز والمحيط، متعدد الأكواب، خفي الحركة[2]. ونظرا لما يتمتع به من علم وبراعة في الرياضيات والهندسة فقد أشرف على دار الصناعة البحرية في مدينة سلا [3].

-محمد بن إبراهيم محمد الأوسي المرسي المعروف بابن الرقام، برع في علم الحساب والهندسة والطب. أقام مدة بتونس ثم استقر بغرناطة حتى تفي بها[4].

*الدور الدبلوماسي للعلماء الوافدين:

لقد كان للعلماء الوافدين دور كبير في بلاط دول المغرب الإسلامي، حيث كانت لهم عدة سفارات للصلح وتقريب وجهات النظر فيما يحصل من الصراعات السياسية. ومن ذلك تكليف الفقيه محمد بن مرزوق الجد بسفارة من طرف أبي سعيد. ذلك أنه لما استعاد عرش تلمسان من المرينيين فكر أبو السلطان الحسن في حشد قواته والزحف على تلمسان لاسترجاعها، فرأى السلطان الزياني المخرج في الحل الدبلوماسي فاستدعى ابن مرزوق من الأندلس.

كان التأثير الاندلسي الثقافي بليغا وعميقا. لانطلاقه من قاعدة التعليم الابتدائي إلى غاية التعليم العالي، الذي انتشر خاصة في المساجد والمدارس والزوايا ودور العلماء ومجالس المناظرة، حيث نقلوا إليه طريقتهم

1 مبخوت بودواية العلاقات ص 124.
2 فؤاد طوهارة جوانب من الحركة العلمية والثقافية 101.
3 محمد عيسى الحريري المصدر السابق،ص348.
4 ابن الخطيب الإحاطة،ج4 69-70.

الخاصة بهم في هذا المجال والتي تتمثل في تعليم الأطفال القرآن الكريم والحديث والقواعد الأساسية لمختلف العلوم. كما برزوا في تعليم روايات القرآن وأنواع قراءاته[1].

ومن الأسر الأندلسية التي أنجبت عددا من العلماء الذين ساهموا بقسط وافر في دفع الحركة العلمية والتعليمية بالمغرب الأوسط خاصة في مجال العلوم الدينية أسرة العقباني التي برز فيها العالم الكبير سعيد العقباني(ت811هـ/1408م) وقاسم بن سعيد العقباني(ت854هـ/1450م) [2].

ومن أبرز ما تميز به القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي في المغرب الأوسط ظهور عقيدة المرابط وانتشار وافتتاح عهد التصوف الذي شمل جميع طبقات مجتمعة. ويعود ظهور هذه الحركة(التصوف) إلى الفترة التي سبقت قيام الدولة الزيانية. وخاصة في عهد الموحدين التي ظهر فيها أكبر المتصوفة سواء في الاندلس أو المغرب. وكان من بينهم العالم الصوفي أبو مدين شعيب دفين العباد خارج تلمسان..[3].

من خلال تتبع بعض المصادر التاريخية والأدبية التي أوردت سيرا وتراجما لعلماء ومثقفين، برعوا في عدة مجالات معرفية وثقافية. يمكننا التأكيد على دور الوفود الأندلسية في المشهد الثقافي في المغرب الإسلامي، لا سيما من القرن السابع والثامن الهجريين.

ونخلص في نهاية الفصل الى أهمية ودور الوافدين الى بلاد المغرب الإسلامي خاصة من النخب العلمية في تنشيط الحركة العلية والفكرية وذلك من خلال

- تأسيس المدارس والكتاتيب والتي انتشرت بشكل واسع في حواضر بلاد المغرب الإسلامي كفاس وتلمسان وبجاية وتونس وغيرها من المناطق وقد أتينا على ذكر أهمها
- اسهامات الوفود العلماء من تطوير مناهج التعليم من خلال طرق التدريس أو المناظرات الفكرية
- بروز علماء في كثير من الميادين كالفقه وعلوم الحديث، وعلوم اللغة والطب...وأساليب الزراعة
- تحول بعض العلماء الوافدين الى وسطاء و(سفراء) سياسيين بين الأمراء والملوك نظرا لمكانتهم وحضوتهم في البلاط والدولة.

1 مبخوت بودواية العلاقات الثقافية والتجارية، ص63.
2 نفسه 64.
3 نفسه.

الفصل الخامس:

التأثير العمراني والحضاري للوفود الأندلسية على بلاد المغرب الإسلامي.

1/معالم العمارة الأندلسية في مدن وحواضر المغرب الإسلامي:

ومن الملاحظ أن التأثير الأندلسي في مجال العمارة بالمغرب الإسلامي، كانت متفاوتة من مكان إلى آخر، حسب المجال والسلطة. ففي المغرب الأقصى انتشرت الفنون الزخرفية والهندسية المعمارية بشكل كبير جدا ، بفعل تشجيع السلاطين المرينيين للوافدين الأندلسيين والإستفادة من مهاراتهم الفنية. وفي المغرب الأوسط الزياني كان التأثر بشكل ملفت للنظر كذلك ، بفعل الإنتشار الواسع للوجود الأندلسي، وتشجيع السلاطين الزيانيين على استقرار الوافدين من الأندلسيين. وبدرجة أقل تماما، فإننا نجد المغرب الأدنى أو إفريقية فقد نالت حظا قليلا من ذلك التأثير الأندلسي المعماري.

المدارس:

يؤكد ابن خلدون أن المغرب قد كان له حظا كبيرا من الحضارة ، بعد أن توافد الكثير من أهل الأندلس إليه طواعية أو قسرا، وباستقرارهم في حواضره ، كان لهم بالغ الأثر الحضاري فيها [1]. حيث اعتمدوا في بناء أو زخرفة أو وضع مناهج المدارس على النماذج الأندلسية، بما فيها فنون النحت على الخشب والرخام ، والتلوين والتدهين، واستخدام الخط العربي بجمالياته الابداعية كنوع من أنواع النقش[2].

وبدأت ملامح الفن الأندلسي تبرز على الساحة المعمارية في المغرب الإسلامي منذ العهد الموحدي، حيث انبرى الخليفة عبد المؤمن بن علي لتبني هذا النوع من الفن الجمالي المبدع، بصفة رسمية ، سواء بتوظيف الصناع والحرفيين الذين وفدوا إلى المغرب أفرادا وجماعات، أو باستقدام المهرة من الصناع والمهندسين الذين برعوا بشتى صنوف الفن المعماري الأندلسي من الوافدين خصيصا. ولبذل خبرتهم ومهارتهم في بناء الطراز المعماري الأندلسي المميز. وبالفعل كان لهم المجال رحبا لإبراز مقدراتهم الفنية والإبداعية التي لا تزال شاهدة على ذلك الى اليوم[3].

---

[1] ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد: المقدمة، ط1، دار الهيثم،القاهرة،2005 : 370-371.

[2] السائح الحسن: الحضارة الإسلامية في المغرب، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء ، المغرب، 1986 : 265.

[3] محمد الأمين بلغيث: فصول في التاريخ والعمران بالمغرب الإسلامي، ط1، الجزائر،2007 : 82.

وقد أنشأ المرينيون مدارسهم بمفهوم جديد، حيث لم تكن هناك في المغرب قبل العصر المريني مدارس للتعليم العالي المتخصص، ولسكنى الطلبة، وإنما كان العلماء المدرسون يلقون دروسهم في المساجد ، وبصفة خاصة في جامع القرويين، وقد ابتنى المرينيون مدارسهم في العاصمة فاس، وفي غيرها من مدن المغرب الأقصى[1].

ويقدم لنا ابن مرزوق وصفا شاملا للمدارس التي شيدها أبو الحسن المريني:" والمدارس كلها قد اشتملت على المباني العجيبة، والصنائع العديدة، والإحتفال في البناء، والنقش، والجص، والفرش على اختلاف أنواعه من الزليجي البديع، والرخام المجزع، والخشب المحكم النقش، والمياه النهيرة .." [2].

ويذكر الحسن الوزان أنه كان في مدينة فاس إحدى عشرة مدرسة للطلاب جيدة البناء كثيرة الزخرفة بالزليج والخشب المنقوش. بعضها مبلط بالرخام ، وبعضها بالخزف المايورقي، وتحتوي كل مدرسة على عدة حجر، في هذه مائة حجرة أو أكثر، و في تلك أقل من هذا العدد، وكلها من تأسيس مختلف ملوك بني مرين[3].

*‏**المدرسة البوعنانية–العنانية–** : بناها السلطان المريني أبو عنان . وتتميز بروعة فنية وهندسية أندلسية مهيبة. حيث تحتوي على بركة فاخرة من الرخام. يمر بها جدول ماء يسيل في قناة صغيرة مغطاة أرضيتها وحواشيها بالرخام والزليج، ويحيط بصحنها ثلاث أروقة مغطاة عجيبة المنظر ، تحيط بها أعمدة مثمنة الأضلاع. مثبتة في الجدران والأقواس الواقعة بين هذه الأعمدة مكسوة بالزليج والذهب الرفيع، والسقف من خشب منقوش بصنع دقيق منتظم. وقد أقيم بين هذه الأروقة والصحن شبه شبابيك من خشب على شكل ستائر. وجميع الجدران مكسوة بالزليج على الإرتفاع الذي يمكن للإنسان أن يصل بيده. وفي المدرسة كلها على طول هذه الجدران كتابات شعرية منقوشة تسجل تاريخ تأسيس المدرسة. ومدائح كثيرة لهذه البناية ومؤسسها أبي عنان. كتبت على زليجات بحروف كبيرة سوداء على أرضية بيضاء. بحيث يمكن قراءتها

[1] الحريري : تاريخ المغرب الإسلامي والأندلسي ،ص 324.
[2] ابن مرزوق: المسند الصحيح،ص404.
[3] الحسن الوزان: وصف إفريقية،ج1 - 225.

من مسافة بعيدة جدا. وأبواب هذه المدرسة كلها من البرونز المصنوعة بدقة ، وأبواب الحجرات من الخشب المنقوش، وفي القاعة الكبرى مخصصة للصلاة منبر ذو تسع درجات، مصنوع كله من خشب الأبنوس والعاج[1].

ويصف لنا الحسن الوزان هذه المدرسة البوعنانية-العنانية- وصف دقيقا شاملا فيقول:" ويفضي بابها بمصراعيه الخشبيين المصفحيْن بالبرنز المتقن الصنع إلى مدخل ذي درجات حافاتها من الجزع والخزف، وبجوانبه دكات من الخزف المتعدد الألوان. أما صحنها الفسيح المغطى بالرخام الأبيض أو الوردي وبالجزع. فقد كسيت جوانبه بالفسيفساء ، وفتحت نوافذ غرفة وسط زخرفة من الجص"[2].

*مدرسة الصفارين: وسميت بهذا الإسم لأ ا بنيت بالقرب من السوق التي تصنع فيه أواني النحاس الأصفر. ولما تم بناؤها زودت بخزانة من الكتب وردت إليها من الأندلس. وجاءت هذه المدرسة بسيطة في فنها المعماري ، حيث يحتوي صحنها في الوسط على بركة مستطيلة الشكل اصطفت على جانبها غرف الطبة ، وألحق بها مصلى صغير تؤدى فيه الصلوات[3].

*المدرسة المصباحية: نسبة إلى الإمام مصباح بن عبد الله الباصلوتي، وهو أول من عين للتدريس بها. وتحتوي هذه المدرسة على مائة وسبع عشرة غرفة، وتحتفظ بظلة جميلة من الخشب المنقوش، كما تمتاز بأناقة دهليزها ومدخل مصلاها. وقد جلب السلطان أبو الحسن المريني لهذه المدرسة من الأندلس بيلة من الرخام الأبيض، وز ا مائة وثلاثة وأربعون قنطارا[4].

ولم يكتف المرينيون بالإعتماد على الأيدي العاملة الأندلسية كالمهندسين والنحاتين والنقشين والبنائين، بل أيضا كانوا يجلبون كل ما تحتاجه هذه المدارس من أثاث وكتب أو مواد بناء من الأندلس. بل وقد اشترك الكثير من الأندلسيين في الإقامة والتدريس في هذه المدارس[5].

---

[1] الحسن الوزان: وصف إفريقية، ج1 225-226.

[2] الحسن الوزان: المصدر السابق؛الحريري: تاريخ المغرب الإسلامي والأندلسي ص 325.

[3] الحريري محمد عيسى: المرجع السابق 25 324.

[4] المرجع نفسه.

[5] أحمد صالح الديلمي وزيتونة محمودحسون: التأثيرات العمرانية لهجرة أهل الأندلس، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية، 2012 2 240

وكان لهذه المدراس الأثر البالغ في بعث الحياة الفكرية في تلمسان في عهد دولة بني عبد الواد، فكانت مقصد الطلبة من كل صوب لطلب مختلف العلوم النقلية والفكرية، وأولى سلاطين بني زيان عناية كبيرة لرعاية الطلبة، فخصصوا لهم الأوقاف ، وأنشئوا المكتبات في المساجد والمدارس[1].

*المساجد:

وقد أحصى الحسن الوزان في مدينة فاس وحدها نحو سبعمائة جامع ومسجد، والمساجد أماكن صغيرة مخصصة للصلاة. ويوجد من بين هذه الجوامع خمسون كبيرة حسنة البناء، مزدانة بأعمدة من الرخام. وتدعم هذه عوارض مكسوة بالزليج أو الخشب أو خشب منقوش بدقة، ولكل جامع صومعة يصعد إليها المكلفون بالآذان للإعلان عن دخول أوقات الصلوات العادية [2].

***الجامع الكبير بفاس**: وينسب هذا الجامع إلى السلطان أبي يوسف يعقوب (ت674هـ/ 1275م) صلى فيه أول مرة في يناير 1275م، وكان ذا طابع أندلسي[3].

***جامع الزهر**: شيده أبو عنان سنة 759هـ/1357م[4].

***جامع المنصورة**: ويعتبر إحدى النماذج الرائعة للفن الإسلامي، فالمنظر المهيب لأحجامها والتناسق الجلي للقطع الزخرفية، والإصرار القوي في صنع تفاصيلها. وكل هذه العوامل أسهمت في منح هذا المعلم مكانا متميزا ضمن مجموع الأعمال الرائعة في الفن المغربي، وقد تجلت فيه معالم الفنون الأندلسية[5].

أمّا جامع الأندلس: فيقع في العدوة الشرقية من فاس يصفه البكري بقوله:" وبها جامع حسن فيه ستة بلاطات طولها من الشرق إلى الغرب... وله صحن فسيح فيه أصول جوز وحجر وساقية تعرف بساقية مصمودة غزيرة الماء" [6]. وفي سنة 695هـ/1295م أمر السلطان أبو يوسف يعقوب بإصلاح مسجد

---

1 محروق اسماعيل: المرجع السابق،ص323.

2 الحسن الوزان: وصف إفريقية،ج1 " 223.

3 صالح بن قربة: المئذنة المغربية والأندلسية في العصور الوسطى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988 " 102.

4 صالح بن قربة: المرجع السابق " 105.

5 وليام جورج مارسي: المعالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان،تر:مراد بلعيد وعلي بورويبة،الأصالة للنشر 2011، الجزائر 5 2921.

6 البكري: المصدر السابق2 1162.

الأندلس وتجديده ، وجلب الماء إليه من ر مصمودة، وفي عهد حفيده أبي ثابت أعاد جلب الماء إلى المسجد من العين الموجودة خارج باب الحديد كما كان عليه في أيام الناصر الموحدي، وتولى الإشراف على عملية الإصلاح أبو العباس أحمد الجياني[1].

***جامع العباد**: بني بالقرب من قبر الولي الصالح أبي مدين شعيب، ويعد متحفا للعمارة الدينية ذات الطابع الأندلسي[2]. أنشأه السلطان أبو الحسن المريني ، يقول عنه ابن مرزوق:" وأما ما أنشأه بمدينة تلمسان فيما يرضي الله من إعادة بناء رسمه وتجديد آثاره، فكان مما لم يعهد منه في سالف الأزمان. ولا سبق له في قواعد البلدان، فمن ذلك جامع القصبة المشتمل على المحاسن التي لم يجتمع مثلها في مثله من حسن وصفه وجمال شكله وترتيب رواقاته، واعتدال صحنه، وحسن ستاره، ومعين مائه، واتساع رحابه، واحتفال ثرياته الفضية منها والصفرية، وغرابة منبره[3].

ووصفه كذلك بقوله:" اشتمل على الوضع الغريب وهو أنه سقفه كلها أشكال منضبطة بخواتم وصناعات ونجارة على جهة تخالف الجهة الأخرى في الوضع. وقد ربطت على نحو ما يرقم عليه أشكال النجارة . ولا يختلج في النفس شكل ولا يعرض لها وهم لأ ا أشكال منخورة منقوشة وهي كلها مبنية بالآجر" [4].

وفي مدينة فاس التأثيرات العمرانية الأندلسية تظل حاضرة حيث يوصف صاحب الإستبصار جامعها بأنه عظيم يدعى جامع القرويين ، به باب كبير مشرف على منظر جميل، ومن جهة الجوف سقاية متقنة البناء ملاصقة لمهاؤها من الوادي، وجلب لها ماء عينه و في أيام الحر في اية البرودة، وفي أيام البرد فيه بعض الحرارة. وكذلك صنعت في جوف جامع القرويين سقاية متقنة البناء، ومياه جارية مع عتبة الباب الجوفي [5].

---

1 الحريري : تاريخ المغرب الإسلامي والأندلسي ،ص 323.

2 أحمد صالح الديلمي وزيتونة محمودحسون:: التأثيرات العمرانية لهجرة أهل الأندلس إلى المغرب ،ص239.

3 ابن مرزوق: المسند الصحيح،ص402.

4 ابن مرزوق: المرجع السابق 270.

5 مجهول: الإستبصار في عجائب الأمصار، ص180.

إن التاثير المتبادل بين المغرب والأندلس ظل يشكل احدى أهم محاور تاريخ الغرب الإسلامي ،فالتأثير الأندلسي يتمظهر داخل المدن والقرى المغربية وأصبحت المكونات الثقافية والحضارية الأندلسية تشكل جزءا من المظهر الثقافي المغربي [1].

ولما كثرت العمارات بالمدينة في أيام علي بن يوسف بن تاشفين ، وضاق الجامع بالمصلين، قام بتوسيع الجامع وتم شراء الأملاك التي كانت بقبلي الجامع. فكملت به عشر بلاطات من صحنه إلى قبلته. وأخذ في عمل القبة التي بأعلى المحراب وما يحاذيها في وسط البلاطتين المتصلتين بها. فعمل ذلك بالجبس المقربس الفاخر الصنعة. ونقش عل المحراب ودائر القبة عليه ، ونقش ذلك كله بورق الذهب، واللازورد وأصناف الأصبغة. وركب الشمسيات التي بجوانب القبة أشكالا متقنة من أنواع الزجاج وألوانه. ويذكر أن هذا النقش والتهذيب غطي بالكاغد وعمل عليه جبس حين عزم عبد المؤمن بن علي الدخول إلى مدينة فاس والصلاة في الجامع المذكور لأن ذلك كان مشغلا للمصلين[2].

وذكر مارمول على أن عددا من الثريات الموجودة ببعض مساجد مدينة فاس من إبداع أندلسيي المدينة. إذ أ ا مأخوذة من نواقيس الكنائس الإسبانية التي انتزعها هؤلاء منها، وحملوها معهم إليها[3].

ومن أعمال الموحدين إنشاء البيلة، وهي صهريج من الرخام المستطيل ملاصق للأرض، والخصة، ودار الوضوء. وقام المرينيون بترميم الصومعة الزناتية وتبييضها بالجص والجير. وصنعوا ثريا مماثلة للثريا القديمة سنة 685هـ ، وأقيم المحراب الغريب الصنعة الدقيق الخرط سنة 686هـ، بعد ترميم الحائط الجوفي من حد السماط الفاصل بينه وبين الدار الموقفة لسكن الأئمة[4].

لقد ساهمت عدة عوامل في الإستفادة من الفكر والفن الأندلسي أهمها حرب الإسترداد المسيحية التي دفعت بالأندلسيين إلى العبور إلى العدوة المغربية، أين كان لهم الأثر الأكبر في المجال الفني ، وبما يكفي دلالة على ذلك انتقال الخط الأندلسي إلى المغرب الأقصى ، وتأثر الفن الزخرفي في بناء المئذنة ، وزخرفة

1 حسين مؤنس: المرجع السابق 2 29؛ أحمد صالح الديلمي وزيتونة محمودحسون:: التأثيرات العمرانية 24029.

2 محروق اسماعيل: العمارة الإسلامية في كتب رحالة المغرب الإسلامي، ص311-312.

3 محمد رزوق: الأندلسيون وهجراتهم 2 3193.

4 محروق اسماعيل: المرجع السابق، ص312.

المحراب، ومنبر التوريقات، والرسوم الهندسية. فقد كان للمغرب الأقصى تأثر كبير بالحضارة الأندلسية في مختلف العلوم والمعارف[1].

وفي قبة القرويين المحاذية للمحراب نشاهد الزهور المتعانقة في لوحات فنية. كما استخدمت النباتات التي أبدع الفنان الأندلسي في إعطائها صورة تحاكي في أشكالها شجرة النخيل لملء الفراغات بين الحروف، مما زاد في روعة الزخارف الكتابية، لتشهد حقولا جذابة من الزهور والنباتات بأسلوب زخرفي جميل[2].

ومن أروع المباحث الفنية التي برع فيها وأبدع الفن الأندلسي الزخرفة الكتابية، أو الكتابة الفنية في العمائر المغربية، مثل كتابة الآيات القرآنية والدعائية. كما استخدمت بعض الكلمات القرآنية على شكل لوحات فنية، كتب عليها عبارات مثل: الحمد لله ، الشكر لله ، الله أكبر، وغيرها[3].

واتسع مجال الكتابة على الجدران والقبب، ليشمل الزخرفة على الخشب ، حيث زخرفت منابر المساجد والجوامع وأبواب القصور وغيرها بالخط العربي الأصيل. حيث يعد منبر جامع القرويين الي صنع من ثمين الخشب والعاج من أعظم الأعمال الخشبية التي امتزجت بالفن الأندلسي في المغرب الإسلامي[4].

***الزوايـــــــــــا**:

ومن مظاهر التأثير الأندلسي في مجال العمارة الحفصية، نجد زاوية سيدي قاسم الزليجي الموجودة بمدينة تونس، والتي أنشئت في القرن ال8هـ/14م، وهي ذات أصل أندلسي مغربي ، اقتبست مظهرها الأندلسي من زخرفتها وقبتها المبنية بالقرميد[5].

ويوضح ابن مرزوق المقاصد العلمية والاجتماعية من بناء الزوايا في المغرب، على اعتبار " أن الزوايا في المغرب هي المواضع المعدة لإرفاق الواردين وإطعام المحتاج من القاصدين. وأما الربط على ما هو المصطلح

---

[1] زكري لامعة: الرحلة العلميةودورها في إثراء المجال العلمي(المفهوم الدوافع الأنواع)،دورية كان التاريخية،مصر ،مج6 : 22 2 2013 93-94.

[2] الهرفي سلامة محمد سليمان: الأحوال الساسية واهم مظاهر التطور الحضاري لدولة المرابطين في عهد يوسف بن تاشفين،رسالة ماجستير،جامعة ام القرى،مكة المكرمة،1406هـ/1986م 452.

[3] الهرفي سلامة: المرجع السابق، ص452.

[4] نفسه 2 4544.

[5] روبار برنشفيك: تاريخ إفريقة في العهد الحفصين ص36.

عليه في المشرق ، فلم أر في المغرب على سبيلها ونمطها إلا رباط سيدي أبي محمد صالح، والزاوية المنسوبة لسيدنا أبي زكرياء يحيى بن عمر بسلا غربي الجامع الأعظم منها، ولم أر لهما ثالثا على نحوهما في ملازمة السكان وصفاتهم وشبههم بمن ذكر نفع الله بهم[1].

القصـــــــــــــــــور:

اتسمت قصور سلاطين وأمراء المغرب الإسلامي بالطابع الأندلسي في نظام البناء. حيث كانت تتميز بالضخامة والسعة، وعلو أسوارها ، خاصة منها قصور دار الخلافة. إضافة إلى أن بها عدة ديار منها دار البلور، ودار الريحان، وقد كانت كل دار محاطة ببساتين[2].

ويشير ابن خلدون إلى اهتمام الزيانيين ببناء القصور بتلمسان بقوله:" ...وبها للملك قصور زاهرات اشتملت على المصانع الفائقة، والصروح الشاهقة، والبساتين الرائقة، مما زخرفت عروشه، ونمقت غروسه، وتناسبت أطواله وعروضه، فأزوى بالخورنق، وأخجل الرصافة، وعبث بالسدير. [3].

ونلاحظ حضور الجانب الديني واستحضار الموت والدار الآخرة من خلال بناء مقابر محاذية للقصور مخصصة لدفن أعيان ووجهاء الدولة . إلى جانب عدة قاعات معدة لإجتماعات رجال الدولة، وقاعات أخرى مخصصة لإجتماع زعماء القبائل على اختلاف مشاربهم [4].وكلها بنيت بالطراز الأندلسي.

وتعتبر قلعة المشور من أهم القصور الزيانية، وهو عبارة عن قلعة محصنة كانت مأوى لسلاطين بني زيان ومقرا لمملكتهم. وأهم نص ورد هو نص الحسن الوزان الذي أشار إلى المشور ومنتزهاته، واصفا عمارته وتحصيناته بقوله:" والقصر الملكي الواقع جنوب المدينة محاط بأسوار مرتفعة إلى حد كبير على شكل قلعة. ويضم قصورا أخرى صغيرة ، ببساتينها وسقاياتها، وكلها مبنية بكامل العناية ، وبأسلوب فني رائع. وللقصر

---

1 ابن مرزوق: المصدر السابق، ص413.

2 بن عبد الله عبد العزيز: الفن المعماري بالمغرب والأندلس، الأخذ والعطاء مطبوعات أكاديمية،ص310.

3 يحيى بن خلدون: بغية الرواد، ج1 19.

4 حسن علي حسن: المرجع السابق،ص388.

الملكي بابان يقضي أحدهما إلى البادية تجاه الجبل ، والآخر إلى قلب المدينة، حيث يقيم رئيس الحرس." ويبلغ طول المشور 49م، وعرضه 280م[1].

وبالمجمل المفيد ، فإننا إذا وقفنا عند عمارة المغرب الأوسط، فإننا نلاحظ أن الكثير من القصور الموجودة في غرناطة وقرطبة وغيرهما من المدن الأندلسية، لا تختلف كثيرا عن تلك التي بناها الأندلسيون في المغرب الإسلامي[2].

***البيمارستانـــــــــــــات:**

لم تعرف بلاد المغرب من قبل مستشفيات عامة لمداواة وعلاج المرضى[3]. وبتوافد الوفود الأندلسية واستقرارها بحواضر المغرب الإسلامي ، بدأ الإهتمام يتسارع بضرورة ايجاد مشاف للعلاج والمحافظة على الصحة بشكل رسمي، تعنى به الدولة. فشجع سلاطين وملوك وأمراء بلاد المغرب على اتخاذ مستشفيات تشبه تلك التي بنيت بالأندلس، باستقدام المهندسين والبنائين والأطباء ، فبدأت ملامح المستشفيات تتبلور في المغرب تدريجيا، وأصبح من الضروري حسن اختيار المكان الذي سيوضع به المستشفى.

وتوجد بفاس بيمارستانات عديدة وهي عبارة عن مواضع متخذة لمداواة المرضى ومعالجتهم. وهي لا تقل حسنا عن المدارس، وكان الغرباء قديما يعطون السكن بها لمدة ثلاثة أيام، ويوجد عدد كبير منها خارج أبواب المدينة، وهي لا تقل جمالا عن التي في داخلها[4].

-المنـــــــــــــــــــازل:

لاحظ مارمول أن أجمل الدور بالمغرب هي التي بنيت من طرف الأندلسيين، وذلك بفضل ثرواتهم التي حملوها معهم من إسبانيا. فتأنق الأندلسيون في كل شيء وهذا السائح الأندلسي محمد بن عبد السلام يصور لنا مشهدا مما رآه بقوله:" براعة الأندلسيين في العمارة، ومهارتهم في النحت والنقش والتنميق على

---

1 محروق اسماعيل: العمارة الإسلامية في كتب رحالة المغرب الإسلامي، ص318.

2 فريدة شقرون: قراءة تقييمية للأثر المعماري الأندلسي والمدجن على الفن المعماري للمغرب الأوسط، مجلة الإمارات للبحوث الأندلسية، ع23:2018 71.

3 حسن علي حسن: المرجع السابق،ص402.

4 الحسن الوزان: وصف إفريقية،ج2 1971.

الرخام والجبس وأنواع التحسين بمدارس بني مرين المبثوثة بأنحاء المغرب من فاس ومراكش وسلا وشالة... كل ذلك نماذج من الفن الأندلسي مطبوعة على غراره، فصناعة الزليج الذي تزين به الحيطان والسياجات. ومعمل الجبس الذي يحمل به الحنايا والإبهاء، كل ذلك من الصنائع الأندلسية التي لا يزال يتنافس فيها[1].

ودفعا للسأم والشعور بالغربة، فقد بنى الوافدون الأندلسيون الذين استقروا بمدن المغرب الإسلامي أحياء وحواري، تحاكي تلك التي هجروها في بلاد الأندلس. وأثمرت الخبرة الأندلسية ثمرتها في بلاد المغرب الإسلامي، فتنوعت المباني واختصت بزخارف فنية أندلسية[2].

يقول الحسن الوزان في وصف منازل المدينة المغربية التي بنيت في أساسها وهندستها على الطابع المعماري الأندلسي:... وكانت سقوف هذه البيوت مصنوعة من خشب. ومستوية ، ليسهل نشر الغسيل على سطح الدار، والنوم فيه صيفا. وتتكون الدور من طابقين إلى ثلاث طوابق، في كل طابق شرفات كثيرة حتى تسمح بالمرور تحت السقف من حجرة لأخرى في كل صحن مكشوف تحيط به حجرات وهي ذات أبواب واسعة وعالية جدا. ويصنع الأثرياء لهذه الأبواب مصاريع من خشب في غاية الحسن والدقة في النقش. ويحملون بخزانات في غاية الحسن، مصنوعة على امتداد عرض البيت، يحفظون فيها أثمن الأشياء[3].

و جميع أروقة هذه الدور قائمة على أعمدة من آجر مكسوة بالزليج إلى ارتفاع يزيد قليلا عن نصف القامة، وبعض الأعمدة مصنوعة من الرخام، والأقواس مكسوة بالزليج والقناطر الموضوعة بين الأعمدة لتحمل الطبقات العليا مصنوعة من خشب. ومزدانة بنقوش جميلة وأصباغ مختلفة الألوان. ويوجد في كثير من المنازل صهاريج مستطيلة يتراوح عرضها بين 6و7أذرع، وعرضها بين 10و12 ذراعا. ويبلغ عمقها بين 6 إلى أشبار تقريبا. وكلها مكسوة بمربعات الزليج الميورقي. وفي كل جواني الصهريج على طوله سقايات منخفضة مزخرفة بنفس الزليج. وتزين بعض هذه الفوارات المائية بجصات من الممر على ارتفاع نصف القامة[4].

---

1 محمد رزوق: الأندلسيون وهجراتهم،ص356.

2 محمد الأمين بلغيث: فصول في التاريخ والعمران،ص82.

3 الحسن الوزان: وصف إفريقية، 221356-222.

4 المصدر نفسه.

وقد تشابهت وتمازجت العمارة الأندلسية بالمغربية، وانتظمت واتسقت في نسق فريد. وأصبحت الزخرفة الموجودة بالمساجد في مدينة تلمسان، تقريبا هي ذاتها التي تعود الى أصول أندلسية ، وهي ذاتها موجودة بالأندلس. وهذا دليل على تأثر الجزائريين بالطابع الأندلسي، فالعمارة في كثير من مساجدها يشبه إلى حد كبير الزخرفة الفسيفسائية لمسجد قرطبة[1].

حيث لم يقتصر أمر البناء الأندلسي على المشاريع التي قام بها الوفود الأندلسيون الذين استقروا بحواضر المغرب بصفة دائمة وإنما كانت إرادة السلطة السياسية استقدام كثيرا من المهندسين من الأندلس رسميا ، وذلك بالنظر إلى الإستقرار السياسي الذي رافقه ازدهار اقتصادي وتوسع عمراني امتاز بالذوق الفني المعماري الأندلسي الرفيع.[2]وفي حال توفر المياه بالمدينة فإ م يضيفون فوارة في صحن المنزل ، وذلك للدلالة على الذوق الرفيع، والدقة لدى المهندسين الأندلسيين ببلاد المغرب[3].

وبلغت العمارة الأندلسية أن أخذت الطابع الرسمي. فالملاحظ أن التأثير الأندلسي في مجال العمارة والبناء في بلاد المغرب، ظهر خاصة في العهد المرابطي والموحدي. إذ استجلب يوسف بن تاشفين المرابطي من قرطبة عددا من الصناع إلى مدينة فاس لبناء وترميم مساجدها وسقاياتها وحماماتها وخاناتها[4].

وقد استفاد المرابطون من التقاليد المعمارية الأندلسية، واقتبسوا أنظمتها الفنية المعمارية. وهذا ما تجلى في تخطيط بيوت الصلاة في المساجد التي شيدوها بالمغرب الأوسط، مثل جامع الجزائر وجامع تلمسان[5].

وتواصلت الوفود الرسمية من المهندسين من الأندلس نحو المغرب الإسلامي. إذ يورد ابن خلدون نصا عن بعثة البنائين والمهندسين التي بعثها السلطان الغرناطي أبو الوليد(712-725هـ/1313-1325م) من الأندلس إلى الأمير الزياني أبي حمو موسى وابنه الأمير ابن تاشفين، للمساهمة في تطوير الأبنية والمنازل. حيث يقول:" وكانت لا يعبر عن حسنها، اختطها السلطان أبو حمو الأول وابنه تاشفين. واستدعى لها

---

1 محمد سعداني: المرجع السابق،ص170.

2 حسن علي حسن: المرجع السابق،ص375.

3 نفسه 376.

4 محمد رزوق: الأندلسيون وهجراتهم،ص170.

5 محمد سعداني: الأندلسيون وتأثيراتهم،ص168.

الصناع والفعلة من الأندلس لحضارتها. وبداوة دولتهم يومئذ بتلمسان، فبعث إليها السلطان أبو الوليد صاحب الأندلس بالمهرة والحذاق... بما أعيا الناس بعدهم أن يأتوا بمثله"[1].

حيث توزعت المنازل بالشوارع والسكك بمداخل جانبية، وأحياء صغيرة يدخل إليها بواسطة أبواب ، بحيث لا يسمح بدخول الغرباء إلا من أذن لهم، ومنازلها جيدة مغطاة بالقرميد، وقد بلغ تعداد سكان مدينة تلمسان، عندما ضعفت شوكة بني مرين، وتكاثر سكان تلمسان من جديد 13ألف دار[2].

أما ميخص الفن المعماري والهندسي فقد حظي بحظ وافر من المؤثرات الأندلسية الوافدة إلى المغرب الإسلامي، إلى درجة يصعب في أغلب الأحيان التفريق بين التأثيرات الأندلسية والمغربية ، وهذا لما تتميز به من صفات وسمات مشتركة[3].

ارتبط تخطيط وإنشاء المنازل والمباني السكنية في بلاد المغرب بالتأثر بالطابع المعماري الأندلسي، لا سيما في العهد المريني، حيث عمل الأندلسيون الوافدون إلى المغرب الإسلامي على نقل فنو م وانماط زخرفتهم .وتجلت هذه التأثيرات خاصة في العقود المتفوقة والعقود التوأمية اللازمة في الواجهات والمآذن. ومن أهم المهندسين الذين برعوا في ذلك ، أبو إسحاق إبراهيم الساحلي الذي كان مهندسا وشاعرا في القرن ال4هـ. وكان له تأثير في الفن المعماري خاصة في المغرب الإسلامي وحتى في السودان الغربي. حيث انتقل فن العمارة من الأندلس إلى أغلب مدن المغرب الأقصى ، كبناء المخازن في أسفل دور السكن، ونقش الكتابات على جدران المباني العامة، وكتابة الخطوط ووضعها على الأبواب[4].

وأدخل الأندلسيون على فن العمارة في المغرب الإسلامي عدة خصائص ومميزات، فقد أدخلوا القرميد لتغطية أسقف المنازل بدل السطوح التي كانت سائدة. كما اعتنوا أيضا بالمظهر الخارجي للبيوت

---

1 محمد سعداني: الأندلسيون وتأثيراتهم،ص169.

2 روبار برنشفيك: تاريخ افريقية في العهد الحفصي، 35.

3 المرجع نفسه.

4 زكري لامعة: الرحلة العلمية بين الأندلس والدولة المرينية ودورها في تمتين الصلات الثقافية، ص91-92.

خاصة. حيث كانت تغطى واجهات السكنات بالجير الأبيض، حت أصبح نمطا شائعا في كثير من مدن المغرب الأوسط(الجزائر) مثل القليعة ودلس وشرشال والبليدة[1].

وكان لهؤلاء الأندلسيين الوافدين إلى المغرب الإسلامي ، أبلغ الأثر في انتقال معالم الهندسة المعمارية الأندلسية، وانتقال الخط الأندلسي، وتأثر الفن الزخرفي المغربي بالأندلسي في بناء المئذنة وزخرفة المحراب والتوريقات والرسوم الهندسية[2].

كما يرجع الفضل للجالية الأندلسية في تأسيس مدينة البليدة عاصمة متيجة، حيث انطلق الناس في بناء المنازل على الطراز الأندلسي الذي بدورهم اكتسبوه من دول أوروبا التي كانت مجاورة لهم فأصبحت البليدة تعرف بمدينة الأزهار وعرفت باسم مدينة الورود[3].

وأشار الرحالة الألماني هاينيريش فون مالتيسان إلى أن أغلب منازل مدينة شرشال ذات طابع واحد، وان أكثرها مغطاة بالبلاط الملون، وهي لطيفة المنظر، إذا قيست بمنازل الأوروبيين التي تشبه الثكنة... حيث عرفت شرشال ضة جديدة، وذلك بقدوم الأندلسيين، فتنوعت مظاهرها العمرانية، وتطور نسيجها العمراني تطورا متكاملا. أما المساكن فمبنية بخط منتظم على شكل تجمعات سكانية منفصلة عن بعضها البعض. أغلبها ذات طابق واحد يتوسطها صحن مكشوف ، تحيط به حجرات عديدة، فهذه المظاهر منتشرة بكثرة في الأندلس[4].

*الحمامات:

لقد برع المهندسون الأندلسيون في العمارة المدنية ذات الأغراض المختلفة ، بما في ذلك الحمامات التي كانت مخصصة للإستحمام وتنظيف الأجسام. ويصف الحسن الوزان الهندسة المعمارية التي أنشئ عليها الحمام في المغرب الإسلامي ، بقوله:" في فاس نحو مائة حمام جيد البناء، حسن الصيانة، بعضها صغير،

[1] ناصر الدين سعيدوني: دراسات أندلسية،ص65.

[2] زكري لامعة: الرحلة العلمية 7 931-94.

[3] هلايلي حنيفي: القضية الموريسكية في الفضاء الجزائري العثماني، الحوار المتوسطي، مجلة الدراسات الإنسانية والاجتماعية والفكرية، مخبر البحوث والدراسات الإستشراقية في حضارة المغرب الإسلامي، ع6،مارس 2014، جامعة الجيلالي اليابس،سيدي بلعباس، الجزائر،ص19.

[4] يامنة بحري: الموروث الحضاري الأندلسي في شرشال،مجلة الدراسات التاريخية،جامعة الجزائر2 41419 2012 ص 207-208.

وبعضها كبير. وكلها على نمط واحد من العمارة والتخطيط. فيتكون كل حمام من ثلاث قاعات. وفي خارج القاعات غرف صغيرة مرتفعة يصعد بخمس درجات أو ست. وفي وسط القاعات صهاريج على شكل أحواض كبيرة جدا. وإذا أراد أن يستحم دخل من أول باب إلى قاعة باردة، ومن ثم نفذ من الباب الثاني إلى قاعة ثانية أشد حرارة. حيث يقوم الخدم بغسل جسمه وتنظيفه. ومن هنا يدخل إلى قاعة ثالثة شديدة الحرارة ليعرق لبعض الوقت. حيث يوجد مرجل يسخن فيه الماء، ويغترف منه بحذق في دلاء من خشب، ولكل مستحم الحق في أخذ دلوين من الماء الساخن"[1].

ويشبه الحسن الوزان حمامات مدينة تلمسان بحمامات مدينةفاس، ويعتبر أ ا متفاوتة في القيمة لكنها ناقصة الماء بالنسبة لحمامات فاس. ويقول العبدري واصفا حمامات تلمسان:" وبها حمامات نظيفة ، ومن أحسنها، وأوسعها، وأنظفها حمام العالية، وهو مشهور قل أن يرى له نظير..." [2]. وأهم حمامات مدينة تلمسان حمام الصباغين الذي ينسب إلى عهد الدولة المرابطية، ويعرف أيضا بحمام سيدي أبي الحسن الغماري، نسبة إلى المكان الذي كان يجلس فيه.

***الحدائـــــــــــــــق:**

بسبب الطبيعة الخضراء التي كانت في الأندلس، فقد عمد الوافدون الأندلسيون إلى إنشاء حدائق محلية ، أو بالقرب من الدور أو القصور، فحاولوا أن يقيموا أحياء تحاكي تلك التي هجروها في بلاد الأندلس. ولعل أهمها الحديقة التي كانت تقام بجوار القصور والتي تمثل أحد أبرز المعالم الهندسية الأندلسية، حيث أنشأوا في بيت مهما كانت مساحته ، حديقة صغيرة بنقوش بديعة وزخارف متقنة الرسم تتوسط فناء المنزل، إلى جانب نافورة، ينبع منها الماء ، مما يضيف إلى المكان سحرا وجمالا [3].

---

1 الحسن الوزان: وصف إفريقية، ج1 229.

2 محمد العبدري البلنسي: الرحلة المغربية،تق:سعد بوفلاقة ، مؤسسة بونة للبحوث والدراسات، الجزائر 2007 9 492 492.

3 حركات إبراهيم: المرجع السابق،ص244.

ويعود سبب الإزدهار المعماري الإيجابي والراقي إذ كان من بين المهاجرين عدد كبير من الفنانين والحرفيين[1]. كما تفنن المهندسون الأندلسيون في بناء الحدائق المائية بما يمثل بركا وأحواضا وسط الحدائق. وكان ذلك النوع من الحدائق موجودا في عدة مدن وحواضر في المغرب الإسلامي مثل تلمسان وتستور[2].

وفي مدينة الرباط التاريخية، وتحديدا في حصن الوداية التاريخي بالقرب من ر أبي رقراق، أقام الوافدون الأندلسيون حديقة رائعة باعتماد الطراز المعماري الأندلسي نفسه المستعمل في قصور وحدائق بني الأحمر في غرناطة. تحمل التصاميم والنقوش نفسها، بل وتتطابق معها في شكل توزيع الزهور والأشجار التي تزين جنبات الحديقة. حيث كانت الحديقة الأندلسية بمثابة الملتقى الذي يجمع الشعراء والفنانين من موسيقيين ورسامين، ويتداول فيها أهل النخبة الرأي ووجهات النظر في الأحداث العامة[3].

2/ أهم حواضر المغرب الإسلامي التي انتشر فيها الطابع المعماري الأتدلسي:

ا/ تلمسان:

كان الزيانيون يستقبلون الوفود الأندلسية الرسمية والشعبيةويشجعو م على الإستقرار والاستيطان. فبعد أن لقوا ترحيبا من طرف أهالي تلمسان والسلطة الحاكمة، دخلوا في عملية جديدة ألا وهي تجديد بعض المناطق في المدينة. فشيدوا وبنوا فيها. وأشار ابن خلدون إلى ذلك بقوله:" .. وأجروا خلالها المياه فأصبحت أعظم أمصار المغرب" [4].

ويذكر ابن خلدون أن تلمسان "كانت لا يعبر عن حسنها، اختطها السلطان أبو حمو الأول وابنه أبو تاشفين، واستدعى لها الصناع والفعلة من الأندلس لحضارتها، وبداوة دولتهم يومئذ بتلمسان. فبعث إليها السلطان أبو الوليد صاحب الأندلس بالمهرة والحذاق من أهل صناعة البناء بالأندلس، فاستجادوا لهم.." [5].

---

[1] عبد القادر بوحسون: العلاقات الثقافية ،ص127.

[2] حركات إبراهيم: المرجع السابق،ص245.

[3] المرجع نفسه.

[4] محمود آغا بوعباد: جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن ال9ه/15 15 ط2 2 دار ثالة،الجزائر، 2011 5 792 792.

[5] ابن خلدون: العبر، ج7 190797.

ويشير ابن خلدون في موضع آخر إلى أن مدينة تلمسان أصبحت قاعدة المغرب الأوسط بفضل ملوك بني عبد الواد، ففي عهد السلطان يغمراسن بن زيان :" لم يزل عمران تلمسان ، وخطتها تتسع ، الصروح بها بالآجر والفهر تعلى وتشاد، إلى أن نزلها أهل آل زيان واتخذوها دارا لملكهم، وكرسيا لسلطا م، فاختطوا بها القصور المونقة، والمنازل الحافلة، واغترسوا الرياض والبساتين وأجروا خلالها المياه، فأصبحت أعظم أمصار المغرب، ورحل إليها الناس من القاصية، ونفقت بها أسواق العلوم والصنائع..."[1].

وأضحت مدينة تلمسان مرتبطة بكل ما هو أندلسي، إذ نلمس الطابع الأندلسي بشكل واضح في قلاعها وحصو ا ومساجها ومدراسها ، والسبب واضح هو كثرة حضور الوفود الأندلسية إلى المدينة رسميا وشعبيا. خاصة في العهد الزياني [2].

فمن بين مظاهر ذلك الأثر الأندلسي على العمارة في مدينة تلمسان أنه في عهد أبي تاشفين (718-837ه) أضحت تلمسان تشهد ضة فكرية وعمرانية منقطعة النظير، لما بني فيها من القصور والمباني والبساتين على الطراز الأندلسي. تحيط بالمدينة بساتين جميلة ومتنزهات يتوجه إليها الميسور من السكان ليقيموا فيها. وتضم عيونا جارية باردة، مغروسة بأشجار الزيتون، تستخرج منها الزيت والجوز، وجميع أنواع الفواكه، وكروم كبيرة تحمل عنبا حلوا لذيذ الطعم، يجفف جيدا في الشمس ويحفظ طول السنة. وتوجد بها طاحونات لرحي الحبوب[3].

توسعت مدينة تلمسان أيام بني عبد الواد فيما بين633-692ه حيث بلغت درجة عالية من الرقي والتطور. وبلغت أوج ازدهارها خاصة في عهد الملك أبي تاشفين ، فنشطت فيها الفنون والصناعات. واتسع العمران، وأحرز المغرب الأوسط على تقدم حضاري كبير في عهده ، باعتباره كان شديد الميل إلى الفنون والعمارة والتشييد والبناء، وكثير الإقبال على الملذات واللهو ، مما جعله ينصرف إلى التشييد والتنميق، وكانت سياسته تهدف إلى التوسع من الناحية الشرقية على حساب الإمارة الحفصية.

1 ابن خلدون: العبر ج 5 105.

2 محمود آغا بوعباد: جوانب من الحياة في المغرب الأوسط 80.

3 محمد العبدري: رحلة العبدري، ص 48-49

ب/ المنصورة:

تم بناؤها في عهد السلطان المريني يوسف بن يعقوب (668-685هـ) وبالضبط سنة 698هـ/1298م . بها قصر الإمارة، بنيت من حوالي تلمسان ، وسورت وأتي بالناس للبناء فيها، فبنوا الدور الواسعة والمنازل الرحيبة والقصور الأنيقة وأنشأوا البساتين ، وأجروا إليها المياه [1]. ويعبر الحسن الوزان عن ذلك بقوله:" وأحاط الجنود بها من جميع جهاتها، ضرب سياجا من الأسوار محيط بها، وفتح أبوابا مداخل لحربها، واختط لمنزله إلى جانب الأسوار مدينة سماها المنصورة "[2].

ويضيف ابن خلدون في معرض حديثه عن تأسيس مدينة المنصور:

"إذ شرع السلطان يوسف بن يعقوب في عمارة مدينته فاختط في وسط المعسكر قصرا لسكنه، واتخذ به مسجدا لمصلاه، وأدار عليه السور، وأمر الناس بالبناء، فبنوا الدور الواسعة، والمنازل –الرحيبة ، والقصور الأنيقة وأنشأوا البساتين ، وأجروا إليها المياه ثم أمر بإدارة السور سياجا، وصيرها مصرا، فكانت من أعظم الأمصار والمدن، وأحفلها اتساع خطة وكثرة عمران، ونفاق اسواق، واحتفال بناء وتشييد وصنعة... واستبحر عمرا ا ونفقت أسواها ، ورحل إليها التجار بالبضائع من الآفاق، فكانت إحدى مدائن بلاد المغرب [3] .

وتدل الشواهد والأثار الباقية من هذه المدينة على براعة الفن المغربي والأندلسي، حيث تنم مئذنة المسجد القائمة بها إلى اليوم عن عبقرية وذوق فني وهندسي معماري عظيم. وهذا الأمر الذي ميز مدينة تلمسان ، تلك الأسوار الشاهقة، التي ابتدأ بناءها السيد ابن العسيري بن عبد المؤمن بن علي سنة 566هـ، وكمله وحصنه أبو الحسن ابن السيد أبي حفص بن عبد المؤمن في حدود 581هـ، عند استيلاء بني غانية على بجاية والجزائر والمدية[4].

---

[1] ابن خلدون: العبر، ج7 120-122.
[2] الحسن الوزان :وصف إفريقيا ، ج1 - 230.
[3] ابن خلدون: العبر، ج7 - 127.
[4] ناصر الدين سعيدوني: دراسات أندلسية، ص66.

يقول ابن خلدون عن توسيع عمران مدينة تلمسان في عهد الموحدين:" وصرف ولاة الموحدين بتلمسان من السلطان نظرهم واهتمامهم بشأ ا إلى تحصينها وتشييد أسوارها، وحشد الناس إلى عمرا ا والتناهي في تمصيرها واتخاذ الصروح والقصور، والإحتفال مقاصر الملك واتساع خطة الدور، وكان من أعظمهم اهتماما بذلك وأوسعهم نظرا السيد أبو عمران موسى بن يوسف العشرى، الذي وليها سنة 656هـ على عهد أبيه ابن عبد المؤمن." [1].

ويضيف ابن خلدون في معرض تعبيره عن تلمسان وما آلت إليه من أهمية عمرانية وحضارية:" لم يزل عمران تلمسان يتزايد، وخطتها تتسع . الصروح بها بالآجر والفهر تعلى وتشاد، إلى أن نزلها أهل آل زيان واتخذوها دار ملكهم، وكرسيا لسلطا م، فاختطوا بها القصور المونقة، والمنازل الحافلة، واغترسوا الرياض والبساتين، وأجروا خلالها المياه ، فأصبحت أعظم أمصار المغرب، ورحل إليها الناس من القاصية، ونفقت بها اسواق العلوم والصنائع. فنما بها العلماء، واشتهر فيها الأعلام، وضاهت أمصار الدول الاسلامية والقواعد الخلافية[2].

وتلكم الأسوار هي التي رآها الرحالة محمد العبدري فوصفها بقوله:".. تلمسان مدينة كبيرة سهلية جبلية ، جميلة المنظر ن مقسومة باثنين بينهما سور، ولها جامع عجيب... وسورها من أوثق الأسوار وأصحها.. وهذه المدينة بالجملة ذات منظر ومخبر، وأنظارها متسعة، ومبانيها مرتفعة..." [3].

ج/ فاس:

" كانت مدينة فاس في القديم بلدين ، لكل واحد منهما سور يحيط به، وأبواب تختص به، والنهر فاصل بينهما. وسميت إحدى العدوتين عدوة القرويين لنزول العرب الوافدين من القيروان بها، وكانوا حوالي 300بيت. وسميت الأخرى بعدوة الأندلس لنزول العرب الوافدين من الأندلسي بها، وكانوا جمعا غفيرا بلغ أربعة آلاف" [4].

---

1 ابن خلدون: العبر، ج4 104.

2 ابن خلدون: المصدر السابق 105.

3 العبدري: رحلة العبدري،ص48-49.

4 أحمد الناصري السلاوي: الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج1 222.

د/ فاس الجديدة:

بناها السلطان المريني يعقوب بن عبد الحق (ت674هـ/1275م) إثر عودته من عبوره الأول إلى بلاد الأندلس. ملاصقة لمدينة فاس القديمة، ونزل بها السلطان بحاشيته واختطوا بها الدور والمنازل والقصور، وأجريت إليها المياه[1].

ويعلل ابن خلدون سبب بنائها: أنه يعود إلى كثرة الوافدين الأندلسيين إلى العدوة المغربية ككل وإلى مدينة فاس القديمة بصفة خاصة، فاكتظت المدينة ورأى السلطان المريني أن يتميز بسكانه من حاشيته وأهل خدمته، واصبحت من أعظم آثار هذه الدولة وأنبائها على الأيام[2]. .

ومما لاشك أن الأثر الأندلسي أبلغ ما يكون في مدينة فاس أكثر مما قد أشرنا في بقية مدن المغرب، والسبب واضح كما بين ابن مرزوق من أن بني مرين قد اهتموا بالجانب الفكري والعمراني فأسسوا المدارس والبيمارستانات والأسوار والقناطر ، مما جعل منها حاضرة بغداد في المغرب[3].

هـ/ مدينة مراكش:

والملاحظ أن مدينة مراكش قد تجددت على أيدي الوفود الأندلسية الذين استقروا بها. حيث شهدت تنوعا كبيرا في طريقة الفن والتعمير الممتزج بالطابع الأندلسي المغاربي، خاصة المنشآت العسكرية كالحصون والقلاع والأسوار، إضافة إلى المنشآت العامة التي انتشرت في أنحاء البلاد[4].

نكاد نجزم بأن التناسق الفني والإمتزاج الحضاري بين ما هو أندلسي وما هو مغربي ، ولا ننكر في ذل السبق للمهندس الأندلسي الذي ظل تأثيره ملحوظا في ربوع مدن وحواضر المغرب بأسرها [5].

1 ابن خلدون: العبر، ج7 195.
2 نفسه 5 1961.
3 ابن مرزوق:: المسند الصحيح، ص340.
4 حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس ،ص372.
5 ابن عبد الله عبد العزي: التراث الحضاري المشترك بين إسبانيا والمغرب، مطبعة أكاديمية المملكة المغربية،الرباط،1992 310.

3/ خصائص الفن المعماري الأندلسي في المغرب الإسلامي:

المقصود بفن العمارة هي مجموع الفنون التي تهتم بتزيين العمائر. وكذا تزيين التحف المصنوعة من الفخار والخزف والخشب والمعادن والزجاج والجلد. ومن خلالها يعتمد الفنان في الزخرفة على عنصرين اثنين هما الأشكال الهندسية من المضلعات المختلفة . والأشكال النجمية المتداخلة في شكل دوائر مزجت خطوطها بالكتابة. والثانية مضمو ا الأشكال النباتية من الأوراق والزهور، حيث يتفنن الفنانون في تشكيلها عن طريق كثرة التكرار(1).

لقد كانت زخرفة العمائر الدينية أو المدنية أو العسكرية أهم شاهد عيان يجب الوقوف عليه. فمن خلالها يمكن معرفة مهارات ، وتفوق الفنان الأندلسي الذي برع في زخرفة جدران القصور، وكذا التفنن في النقش وترخيم آيات الله في المساجد، حيث شيدت المساجد ، وزينت القباب والصوامع التي تسر الناظرين(2).

إذ لا تزال بعض الآثار والشواهد التاريخية في بعض مدن وحواضر المغرب الإسلامي تدل على الزخرف الأندلسي الحضاري بتلك الحواضر. إذ ساهمت الهندسة الأندلسية في صباغة جزء كبير من عمران تلك المناطق، فلا تزال بعض القصور والأزقة والحدائق والحمامات التي أقامها البناؤون الأندلسيون قائمة تشهد على حب اهلها للفنون والإبداع(3).

لم يختلف الفن المعماري الأندلسي في جانب الإبداع الشكلي والهندسي وحسب، وإنما برع المهندسون المعماريون الأندلسيون كذلك في المواد المستعملة في البناء والزخرفة التي أتوا بها من المدن الأندلسيةمثل الطوب والمواد الطينية المحروقة كالطين الذي كانوا يصنعونه في قوالب ثم يجففو ا ، ليكون جاهزا لاستعماله في البناء. ومنه يكون القرميد في سقف البنايات، فيوضع مائلا بدرجة محددة حتى يستقر

---

1 صادق خشاب: تأثير الفن الأندلسي على نظيره المغاربي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الفنون الشعبية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان،2000-2001 41.

2 المرجع نفسه.

3 الأمين عمر: البناء وتقنياته بالمغرب الاوسط خلال القرنين(4-9هـ) رسالة ماجستير ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر، ص85.

في مكانه. إلى جانب هذه المواد كانوا يتفننون في استعمال الحجارة والخشب والمواد المعدنية والزجاجية. ومن استعمالات الزجاج تزيين النوافذ ومنع دخول الرياح والحرارة والأمطار إلى البيوت[1].

إن ما تنم عليه خبرات ومهارات الوفود الأندلسية في مجال البناء والهندسة العمرانية يدل بشكل واضح على مزج طابعهم العمراني والفني بالطابع المغربي. ومن جانب آخر أن المهندس والفنان الأندلسي يسعى ليمزج عمله خارج أوطانه. ويبرز بصمته في بلاد المغرب الإسلامي، وابتعد كل البعد عن كل ماهو محاك للطبيعة أو الحيوان، ووجد في النباتات والعناصر الهندسية ، والخط العربي مجالا رحبا لإبراز موهبته وعبقريته الفنية[2].

وننقل من مقولة صاحب نفح الطيب عن مدينة مراكش:" إن حاضرة **مراكش** هي بغداد المغرب، وأكثر مبانيها الجليلة وبساتينها ظهرت في مدة بني عبد المؤمن ، وكانوا يجلبون إليها أمتاع الاندلس، وقد انتقلت السعادة إلى المغرب عن طريق هؤلاء النازحين" [3].

وبسبب كثرة هؤلاء الوفود اتسعت مدن المغرب وازدادت عمقا، وأصبح لهم أثر في عمران المدينة المغربية ، سواء من ناحية شكل البناء وهندسته ورونقه أو من حيث الطبيعة الإجتماعية المهذبة التي امتزجت مع الطبيعة المغربية وأصبحت مكونا حضاريا مهما.

4/ بناء المرافق الحيوية:

انتقلت مجموعة من العرفاء والمهندسين الأندلسيين إلى بلاد المغرب، وساهموا في إنشاء دار الصناعة، وجلب المياه. ففي ظل الحكم المريني عمل ابن الحاج المهندس على بناء القناطر للمياه لمدينة رباط الفتح بالمغرب الأقصى . وكان ذلك في عهد السلطان يوسف بن يعقوب ابن عبد الحق المريني(685هـ/1286م) [4].

---

1 الأمين عمر :المرجع السابق،ص85.

2 سلامة محمد سليمان الهرفي: الأحوال السياسية وأهم مظاهر التطور الحضاري لدولة المرابطين،ص45.

3 المقري: نفح الطيب ،بيروت، 1998 76

4 العيد بكري: العلاقات الثقافية بين الأندلس ودول المغرب ما بين ق(7-9هـ/13-15م) مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم التاريخ والآثار، جامعة العقيد الحاج لخضر، 2015 16215.

ا/ القلاع والحصون:

كما برزت الهندسة الأندلسية في مجال البناء والعمارة الدينية والمدنية، فقد برزت أيضا بوضوح في العمارة العسكرية، ممثلة في بعض القلاع والحصون والأسوار المعدة أصلا لأغراض أمنية وعسكرية. حيث انتشرت الأسوار والحصون في بلدان المغرب الإسلامي، وخاصة حول المدن لحمايتها. وقد تجلت فيها اللمسة الإبداعية الفنية الأندلسية[1].

وتعد الحصون والقلاع جزءا مهما من العمارة الأندلسية التي تأثرت بها بلاد المغرب الإسلامي، حيث شيدت بالحجارة والطوب ذات جدران سميكة، تتخللها أبراج نصف دائرية للمراقبة[2]. حيث كانت الأبراج مستديرة الشكل ، أما السور الأمامي والقلعة على شكل أضلاع يميل إلى الإستطالة، ويدعم السور الخارجي أبراج نصف دائرية، تقوم في زوايا السور. وتتخلل هذه الأسوار أبواب لسهولة التنقل والدخول إلى المدينة[3].

كما شيد الموريسكيون العديد من الحصون بمدينة الجزائر، والتي نذكر منها على سبيل المثال الحصن المقام على أحد الجزر المقابلة للمدينة والذي بناه جماعة من الأندلسيين أواخر القرن 15م. واستخدموه منارا لإرشاد السفن للمراقبة والإستكشاف، وذلك قبل أن يقيم مكانه القائد الإسباني بيدرو نفارو Pedro Navarro حصن البنيون Penon المعروف ببرج الفنار[4].

في الوقت الذي يعد فيه بناء القلاع والحصون العسكرية من الأنظمة العمرانية، التي تفتخر بها حضارتنا الإسلامية، حيث تأتي القلاع والحصون في بنائها العسكري ذات أهمية، شأ ا شأن بناء المساجد وما يرافقها[5].

1 حسن علي حسن: المرجع السابق،ص392.
2 حركات إبراهيم: المرجع السابق،ص246.
3 حسن علي حسن: المرجع السابق،ص394.
4 ناصر الدين سعيدوني:دراسات وأبحاث،ص139.
5 حسن علي حسن: المرجع السابق،ص392.

وعلى سبيل المثال لا الحصر، فإننا نجد من أعظم القلاع التي أسسها المرابطون في المغرب لصد الموحدين كانت ذات طابع معماري عسكري أندلسي. حيث كانت تقيم بها حامية من الجند مرابطة ، تتكون من مئتي فارس وخمسمائة رجل للحراسة. ولقد أسس علي بن يوسف بعض القلاع بتوجيهات من رجل أندلسي يدعى " الفلكي". وهذه إشارة إلى أن فن العمارة المغاربية قد تأثرت بفن العمارة الأندلسية. حيث بنيت إحدى تلك القلاع على سطح هضبة، أطرافها ذات أجراف وعرة شديدة الإنجراف ، يصعب على الغزاة ارتقاؤها . وأسوارها تمتد على حافة الهضبة نفسها[1].

أما في المغرب الأوسط بتامنغوست التي عمرها الأندلسيون. حيث كونوا حصنا وقلعة في العهد الموحدي قريبا من تلمسان ذات طابع أندلسي. كما لا ننسى أن الموحدين استعانوا ببنائين أندلسيين منهم: أحمد بن باسة والحاج بعيش المالقي، اللذين اشتركا في بناء حصن جبل طارق[2].

ويؤكد مارمول كربخال رسوخ وجمال الطابع العمراني الأندلسي وتأصله في مدينة بجاية بقوله:".. وكانت –بجاية– محصنة بأسوار عالية ، عندما دخلها خليفة القيروان " القائم" ...حيث بها حصن حصين وقصور على النمط الموريسكي، لها من المنعة قدر، و من الرونق والجمال قدر. ولها ثلاثة بروج، دورها جيدة، وبها من المساجد والمدارس" [3].

ومما يؤكد الأهمية الدفاعية لهذه المنشآت العسكرية، الأسلوب الأندلسي الذي تبرز خصائصه بوضوح في هندسة البناء العسكري، وفي بعض مدن المغرب، حيث انتشرت الأسوار والحصون حول أهم مدن المغرب الإسلامي[4].

---

1 بلغيث محمد الأمين: الأندلسيون وآثارهم بفحص الجزائر ومتيجة 83.

2 نفسه 8383.

3 مارمول: المصدر السابق، ج2 377.

4 علي حسن علي: المرجع السابق،ص 393.

5/ المجال الفني:

ويعتبر ميدان الفن من المجالات التي تأثرت بالمؤثرات الأندلسية الوافدة، ولعل أعمق تأثير وأخلده الذي حدث في ميدان الموسيقى، إذ لم تكن مجرد فن وحسب ، بل كانت علما متمما للفلسفة والطب[1].

ا/ الموسيقى:

ويعود الفضل في إدخال الموسيقى الأندلسية إلى إفريقية إلى أبي الصلت أمية بن عبد العزيز الإشبيلي(460-529هـ/1067-1134م) والذي لعب بإفريقية دورا شبيها بذلك الدور الذي لعبه زرياب من قبل بالأندلس. وشاع فن الموسيقى الأندلسية خاصة في المدن التي استقر بها الأندلسيون استقرار كثيفا[2].

حيث أدخلوا آلاتهم الموسيقية ونغماتهم وذوقهم في الطرب، فكثرت المقاهي والحفلات الشعبية والرسمية التي تعزف فيها أنواع الموسيقى الثلاثة، وتميزت كل واحدة منها بطابعها المؤثر. وقد وقف العلماء والأدباء مواقف مختلفة من عزف الموسيقى. فبعضهم كان يرفضها على أساس ديني . وبعضهم كان يحبذه على أساس إنساني واجتماعي، وبعضهم لم يفصل في ذلك ، فيقبل الموسيقى إذا كانت اجتماعا صوفيا توقظ حواس الخير، ويرفضها إذا كانت على اجتماع الخنا واللهو وخنوثتهما. ومع الموسيقى انتشرت القهوة والحشيشة والرقص وغيرها من ملازمات الإجتماع والحب والمجون[3].

إن تلك الموسيقى التي طرقت باب إفريقية على يد أبي الصلت، وذاعت في أيام ابن سعيد(616-685هـ/ 1213-1283م) ، وعمت شيئا فشيئا المدن لما وفر لها الوافدون الأندلسيون من أسباب الإنتشار ، ومن أشهرها ما نسميه اليوم بالمالوف. ولا شك في أن مما أعان على بقائه محافظة الوافدين الأندلسيين عليه. وهو لا يزال حيا بيننا، كما لا يزال حيا بجنوب إسبانيا تحت اسم الفلامينكو . وعليه فإن المالوف والفلامينكو إخوة يتفقان في النسب، ويزيد ويقل بينهما التشابه في السمات[4].

1 محمد الطالبي: الهجرة الأندلسية، ص71.

2 محمد رزوق: دراسات، ص44.

3 أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق،ج 196441.

4 محمد الطالبي: الهجرة الاندلسية، ص78-73.

فانتشر في المغرب الأقصى الطابع الأندلسي والغرناطي. وسميت موسيقى الأندلسيين بالآلة. وفي المغرب الأدنى سادت الموسيقى المتأثرة بالطابع الأندلسي. وفي المغرب الأوسط وبالأخص في حاضرة تلمسان برزت الموسيقى الأندلسية المنتمية إلى الطابع الغرناطي بسبب العدد الكبير من الغرناطيين الذين استوطنوا مدينة تلمسان[1].

وكانت الموشحات تنشد بآلات موسيقية في الأعياد الدينية والحفلات والسهرات العائلية. وقد برع سكان دلس وشرشال والبليدة والجزائر والقليعة وتلمسان بالعزف على مختلف الآلات الموسيقية الوترية كالعود(الكويترا) والرباب والقانون والكامنجا أو الصوتية كالقصبة والزرنة والغايطة، أو الإيقاعية كالطبل والدف والطبيلة والدربوكة. وركز المورسكيون على تحسين معظم هذه الآلات ، ولعل أعمق تأثير خلده الأندلسيون ببلاد الجزائر هو حدث الموسيقى والغناء . ومما لا شك فيه أن أفراد الجالية الأندلسية ببجاية قد جعل منها الفن الأندلسي مدينة شبه إشبيلية في شغفها بالموسيقى وانصرافها للطرب[2].

ولعل أصدق وصف يصح في أهل بجاية عموما لتأثرهم بالطابع الفني الأندلسي ما قاله الحسن الوزان:"... والبجائيون أناس طيبون ميالون إلى المرح والموسيقى والرقص، ولا سيما منهم الأمراء الذين لم يشهروا الحرب على أحد قط"[3].

وحاول بعض الدارسين الموازنة بين سلبيات وايجابيات هذه التأثيرات فهناك من غلب جانب السلبية على الإيجابية وهناك من غلب جانب الإيجابية على السلبية. فمن قال بسلبية الأثر الأندلسي الوافد اعتمد على المكونات النفسية والعقلية التي أقر بها الأندلسيون. ومن قال بالقول الثاني أخذ بالجانب اللامع من الوجود الأندلسي بالمغرب العربي اذ يعتمدون استمرارية التأثير بالنسبة لهذا الميدان سواء في اللباس أو الموسيقى أو الغناء[4].

1 سعداني: الأندلسيون وتأثيراتهم،ص167.
2 حنيفي هلايلي: المورسكيون الأندلسيون بالمغرب الأوسط 85.
3 الحسن الوزان: وصف إفريقيا ،ج 51852.
4 محمد رزوق: دراسات، ص43.

ويرى بعض المؤرخين أنه على العكس من ذلك، حيث إن ميل الأندلسيين للغناء والرقص قد يكون من وراء ميل البجائيين للمرح والموسيقى والرقص لاسيما الأمراء منهم. وهذا التأثير الأندلسي الفني في المجتمع البجائي غير مستبعد ، خاصة أن التركيبة السكانية لمدينة بجاية في الغالب، إما من القبائليين أو الأندلسيين الوافدين. وخلاصة ذلك يتبين أن هذا الإمتزاج السكاني له دوره في تبادل العادات والفنون والميول. وخصوصا من الناحية الفنية. استنادا إلى أن الأندلسيين معروفون بميلهم الشديد إلى الموسيقى والغناء ومهارتهم فيه[1].

ب/ الخط:

لقد توسع تأثير الأندلسيين الوافدين على بلاد المغرب الإسلامي في مجال الحياة العلمية. ليشمل فن الكتابة وأساليبها إلى جانب رسم الخط. فأما من حيث طرق وأساليب الكتابة فقد أصبح النموذج الأندلسي مثالا يحتذى به في اختيار الألفاظ واعتماد السجع والأخذ بالمحسنات[2].

وأصبح من اللافت للنظر تلك المباحث الفنية الرائعة التي برع فيها وأبدع الفن الأندلسي الزخرفة الكتابية، أو الكتابة الفنية في العمائر المغربية، مثل كتابة الآيات القرآنية والدعائية. كما استخدمت بعض الكلمات القرآنية على شكل لوحات فنية، كتب عليها عبارات مثل: الحمد لله ، الشكر لله ، الله أكبر، وغيرها[3].

الملاحظ أن الخط الأندلسي قد استعمله النساخون في حاضرة تلمسان الزيانية، وخصوصا في نسخ المصاحف، حيث أشار ابن مرزوق الخطيب إلى أن الفقهاء والخطاطين كانوا يتنافسون في كتابة المصاحف متبعين في ذلك أهل الأندلس في حسن الخط وضبط الكتابة. فالخط الذي كانوا يكتبون به يشبه خط " الغطوسيات". وهذه التسمية نسبة إلى أسرة أندلسية مشهورة بحسن الخط وجودته، وضبط الكتابة[4].

---

1 سعداني: الأندلسيون وتأثيراتهم،ص212.

2 عمارة سيدي محمد: هجرة الأندلسيين إلى المغرب الأوسط 122.

3 سلامة الهرفي: المرجع السابق، ص452.

4 سعداني: الأندلسيون وتأثيراتهم،ص170.

واتسع مجال الكتابة على الجدران والقبب، ليشمل الزخرفة على الخشب ، حيث زخرفت منابر المساجد والجوامع وأبواب القصور وغيرها بالخط العربي الأصيل. حيث يعد منبر جامع القرويين الذي صنع من ثمين الخشب والعاج من أعظم الأعمال الخشبية التي امتزجت بالفن الأندلسي في المغرب الإسلامي[1].

مما سبق نخلص الى مدى تأثير العناصر الوافدة على بلاد المغرب الإسلامي في مجال العمران ذلك التأثير الذي امتد بين حواضر بلاد المغرب والأندلس لقرون عديدة ، امتزجت فيها المقومات الحضارية خاصة في مجال العمران والذي خلف لنا شواهد معمارية لاتزال شاهدة على دور تلك العناصر الوافدة سواء الأندلسية ، أو بين حواضر بلاد المغرب الإسلامي نفسها ففي فاس و تلمسان والرباط ومراكش وتونس وبجاية...نجد الأبنية والأفنية والصوامع والقصور تتشابه ...أو تشبه الى حد كبير مثيلاتها في الأندلس في قرطبة وإشبيلية وغرناطة ، في طريقة البناء والمواد المستعملة والزخرفة والنقش على الجدران وفن المقرنصات وبناء المساجد والقلاع .

[1] سلامة الهرفي: المرجع السابق، ص454.




خـــــــاتمة

توصلت من خلال هذا البحث إلى جملة من الإستخلاصاتوالإستنتاجات اعرضها كما يلي:

ـ بروز نفوذ الوفود في بلاط عدة دول قامت في بلاد المغرب الإسلامي ، بداية بالدولة المرابطيةوالموحدية.والذيناشتغلوا في مناصب حساسة جدا منها الوزارة والكتابة والحجابة والمسؤوليات في بعض المناطق خاصة الوافدون من الأندلس.

ـتزايد نفوذ الجالية الأندلسية الوافدة سياسيا واجتماعيا. والتي أصبحت تشكل العنصر الثاني في الترتيبة السكانية للمجتمع المغربي. وأصبحت لهم مشاركة فعالة في الحياة السياسية (وزارة وحجابة وكتابة). وفي تنظيم أجهزة الإدارة المحلية . بما في ذلك القضاء والحسبة.

ـ كانت الوفود الأولى على شكل وفود فردية من شتىفئات ا تمع الأندلسي. وساعد على ذلك الوحدة الجغرافية والسياسية والحضارية خاصة في العصر المرابطيوالموحدي.

ـ أدى اتحاد العدوتين الأندلسية والمغربية في العصر المرابطيوالموحدي إلى انصهار الحضارتين في بوتقة واحدة. وأصبح العلماء والأعلام والصناع والحرفيون الأندلسيون يتدفقون إلى المدن المغربية. فكان أن ازدهر الإقتصاد وتطور ا تمع وواكب كل المستجدات الحضارية.

ـ كان أمراء الدول الزيانية والحفصية والمرينية، يحتفلون باستقبال الكفاءات من العلماء والأدباء والفنانين الأندلسيين ويزينون م بلاطهم، وافادوا كثيرا من خبراتهم ومهاراتهم السياسية والإدارية والكتابية والعلمية والفنية والهندسية.

ـ إن اتقان اليد العاملة الأندلسية الوافدة لصنعتهم في ميادين الزراعة والصناعة والمهن والحرف، جعلهم يتفوقون على المحليين في الإتقان والجودة والسرعة في إنجاز العمل. وذلك ما جعلهم ينتشرون بسرعة في النسيج الإجتماعيوالإقتصادي المغربي، ويتركزون في المدن خاصة.

ـ ظهر التأثير الفني العمراني الأندلسي في بناء المساجد والقصور والحمامات والفنادق. مما جعل الناس يتسارعون في تبني هذا النمط المعماري الأندلسي.

ـ مهما استقرت الوفود الأندلسية المهاجرة، إلا أنها ما بقيت تحن إلى موضعها الأصلي. ورغم انصهار بعضهم كلية في الحياة العامة واندماجهم ، إلا أن منهم بقية لم تقو على ذلك الإنصهار، من حيث الجانب النفسي، والشعور بالغربة، والحنين إلى الوطن الأم.

ـ بقاؤهم في أحياء خاصة م، والتزامهم بتوارث عاداتهم وتقاليدهم. جعلهم يعتزون بأصلهم الأندلسي. وهذا ما كان يقلل من اندماجهم أو يجعله بطيئا وتدريجيا.

ـ إن تمكن الأندلسيين في العلوم والمعارف وبراعتهم في الحرف والصنائع جعلهم يرتقون في السلم الإجتماعي في بلاد المغرب الاسلامي.

ـ إقبال كثير من الأندلسيين على التصوف بسبب كثرة العلماء والمتصوفة الوافدين من الأندلس. ما قطع الطريق على الذين يرمون هؤلاء المهاجرين بأنهم تأثروا باختلاطهم بالنصارى وميعوا دينهم.. الأمر الذي جعلهم يسارعون لأي حملة جهادية ضد الأعداء المسيحيين.

ـ بسبب إبداع الكثير من الوافدين واشتغالهم بالفلاحة والصناعة والعمارة والبناء والنجارة. فقد ازدهرت الحياة العامة، وتشكلت كتلة اجتماعية ذات قوة اقتصادية معتبرة.

ـ نظراللخبرات الإدارية والسياسية التي كان يمتلكها بعض الوافدين، فقد استعملتهم السلطة في المغرب الإسلامي سواء المرابطين أو الموحدين أو الحفصيين أو الزيانيين أو المرينيين، وبرع كثير منهم من الوزراء والحجاب والكتاب في بلاطهم.

ـ لقد نقل الوفود الأندلسيون إلى المغرب الإسلامي طبوع الفن الإسلامي والموسيقى الأندلسية. وأصبح من المرفه جدا تعلمهما والتباهي بإتقانهما. بالإضافة إلى انتشار فن الموشحات والأزجال التي هي من صميم الفن الأندلسي.

يمكن تقسيم المراحل التي مرت ا الوفود المهاجرة من الأندلس إلى المغرب الإسلامي إلى مرحلتين أساسيتين: مرحلة ما قبل سقوط الخلافة الأموية بالأندلس. ومرحلة ما بعد سقوطها. لأنه بسقوط الخلافة انتقلت الأندلس من طور القوة إلى الضعف والتشتت. وحتى المرحلة الثانية

يمكن تقسيمها إلى مرحلتين، مرحلة ما قبل سقوط غرناطة ، ومرحلة ما بعدها. هناك حيث بدأت الهجرة القسرية والجماعية للأندلسيين بسبب كثرة الحروب الطائفية في عصر ملوك الطوائف، ومن جانب آخر خوفا من الخطر الصليبي والغزو النصراني.

– من جهة أخرى نلمس أيضا تأثيرات الوفود البينية :بين فاس وتلمسان من جهة ، أو بين بجاية والقيروان أحيانا ، خاصة وفود العلماء وطلبة العلم، أو بين المشرق والمغرب الإسلامي وإن كان بحثنا لم يتعمق فيها مثلما كان لتأثيرات الوفود بين العدوتين المغربية والأندلسية.

– ونظرا لتشعب الموضوع ،كانت هناك إشارات مختصرة لتأثير وفود من بلاد المغرب الإسلامي في بلاد السودان الغربي ارتبطت بحركة التجارة والدعوة .

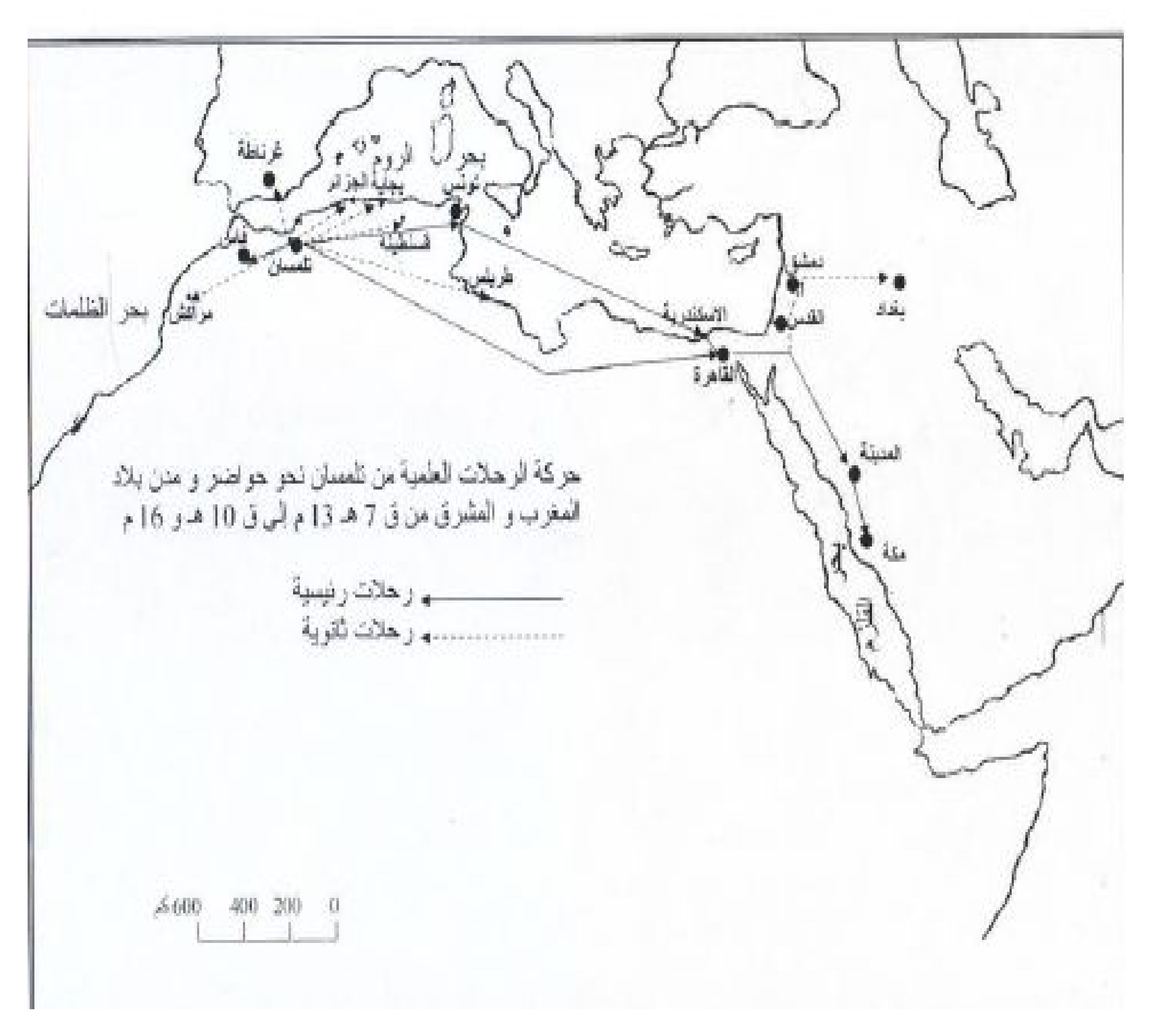
– وفي الأخير نتمنى أن يكون موضوع البحث (الوفود ببلاد المغرب الإسلامي) إضافة وتتمة للبحوث التي تهتم بتاريخ المغرب الإسلامي ، وأن يكون قيمة مضافة للدرساتالأكادمية ،خاصة وأن العلاقات بين الأمم والشعوب في وقتنا الحاضر إنما تحقق نجاحاتها في كثير من ا الات من خلال قوة (أجهزتها الديبلوماسية)والتي صارت تخصصات علمية تدرس في الكليات والجامعات.


الملاحق

أ- الخرائط

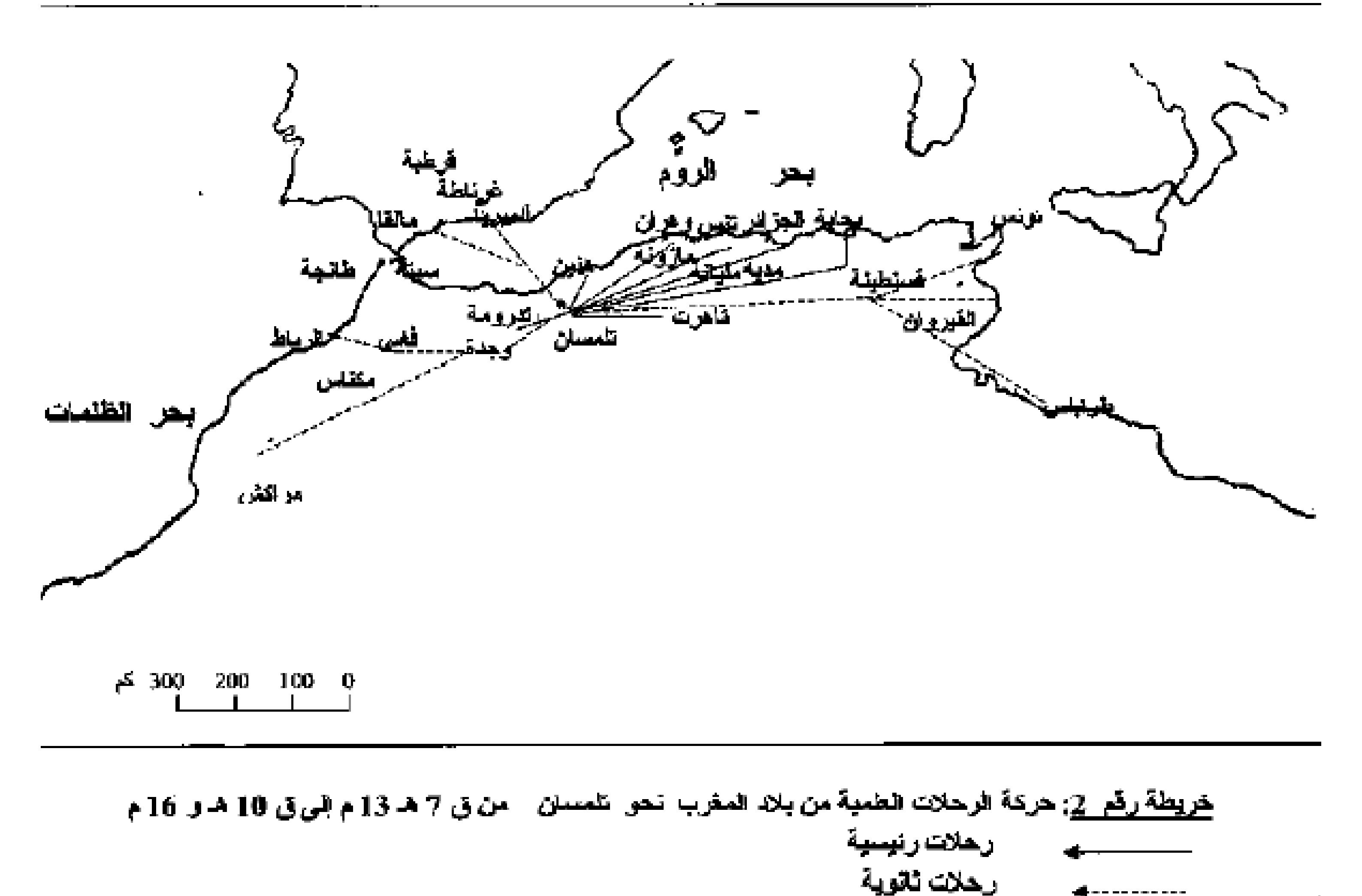
ملحق رقم 1 :

حركة الرحلات العلمية من تلمسان نحو حواضر و مدن بلاد المغرب و المشرق من ق 7 هـ - 13 م / ق 10 هـ - 16 م



نصر الدين بن داود : بيوتات العلماء بتلمسان ، ص 290

ملحق رقم 2 :



خريطة رقم 2: حركة الرحلات العلمية من بلاد المغرب نحو تلمسان من ق 7 هـ 13 م إلى ق 10 هـ و 16 م

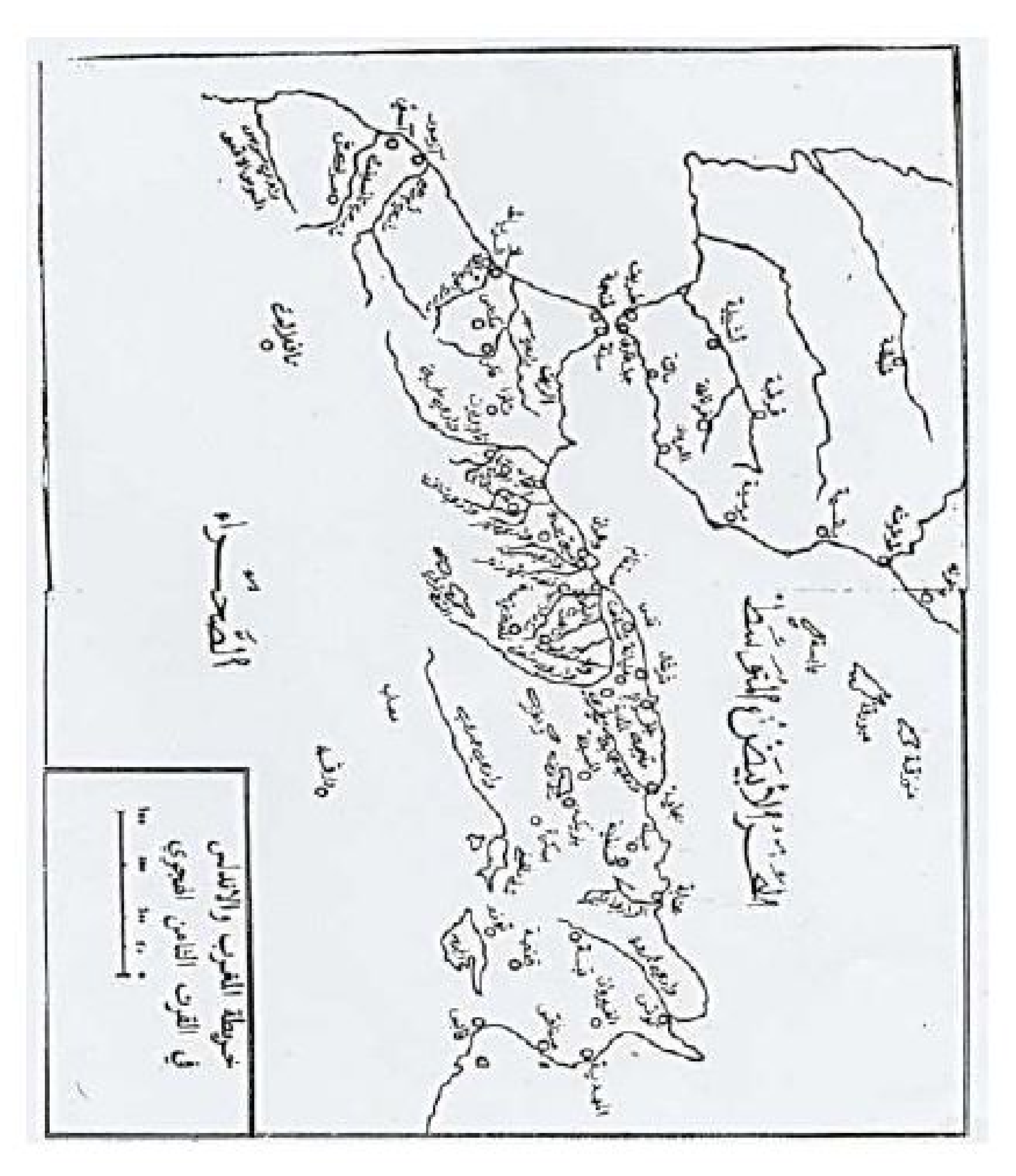
رحلات رئيسية ←———

رحلات ثانوية ←-------

نصر الدين بن داود : بيوتات العلماء بتلمسان ، ص 288

ملحق رقم 3 :

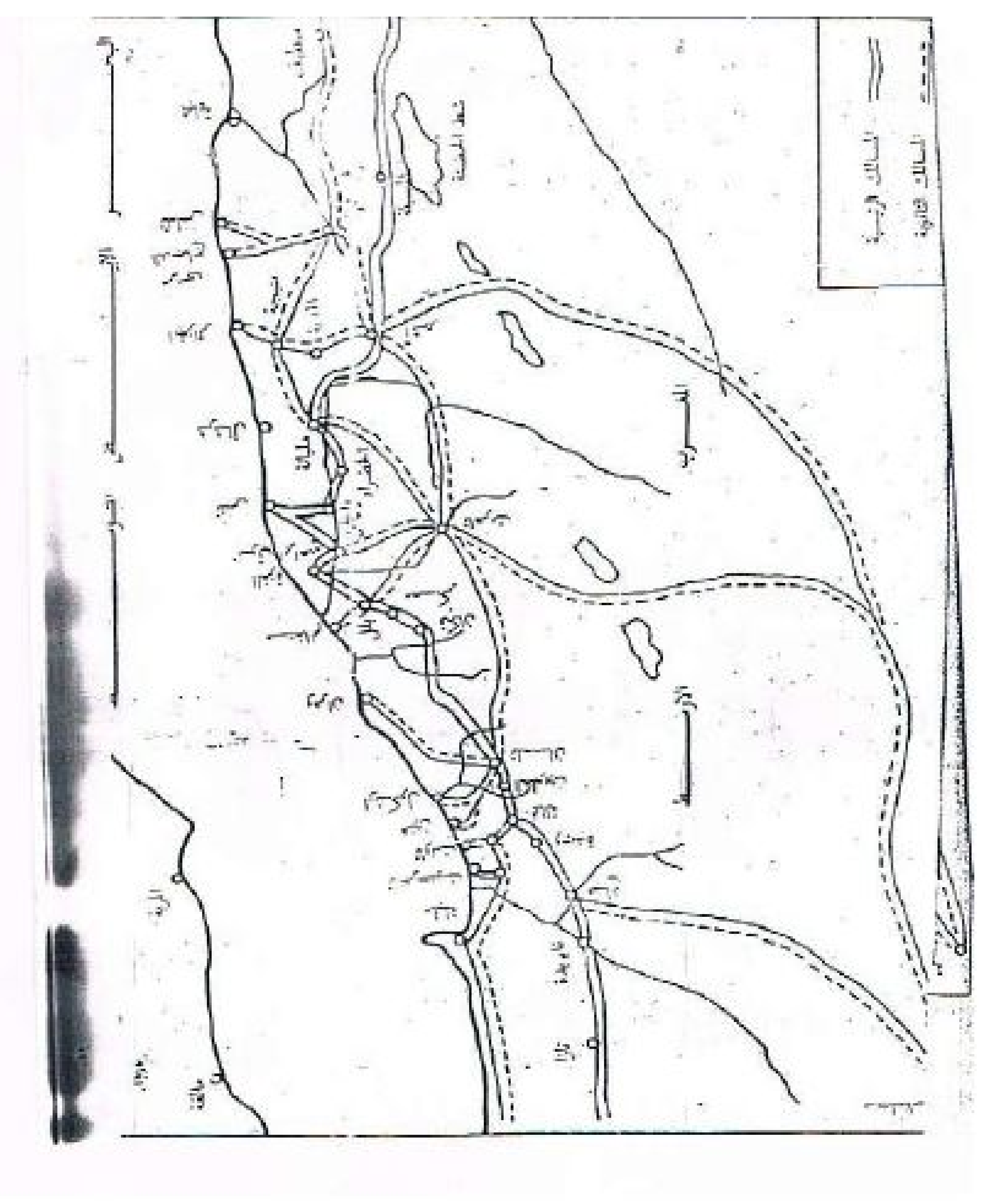
خريطة المغرب الاسلامي بعد سقوط الدولة الموحدية



سكاكو مريم : المجالس العلمية السلطانية ، ص206

ملحق رقم 4 :

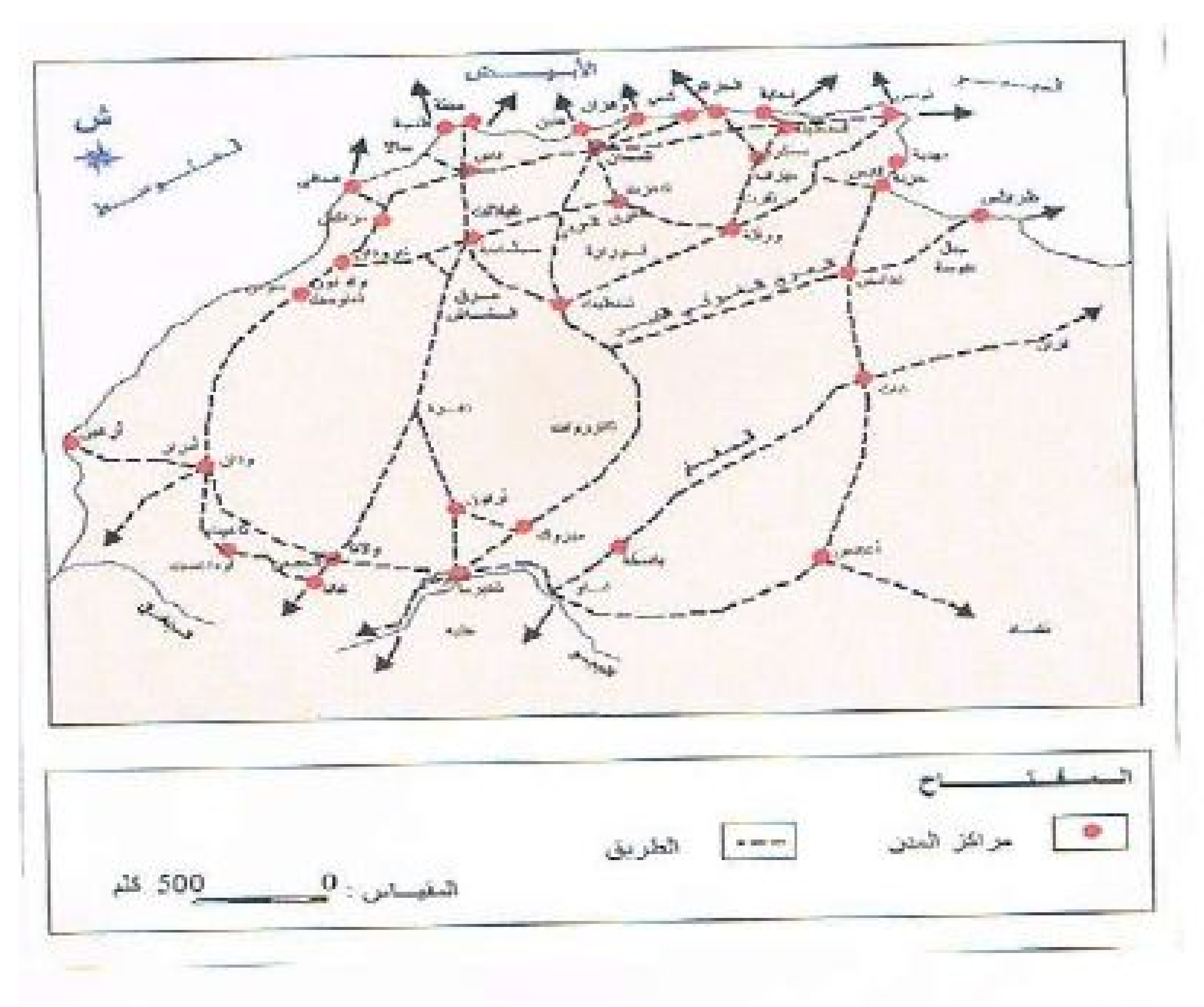
المسالك التجارية في القرن التاسع الهجري



مبخوت بودواية : العلاقات الثقافية و التجارية بين المغرب الأوسط و السودان الغربي ، ص 374

ملحق رقم 5 :

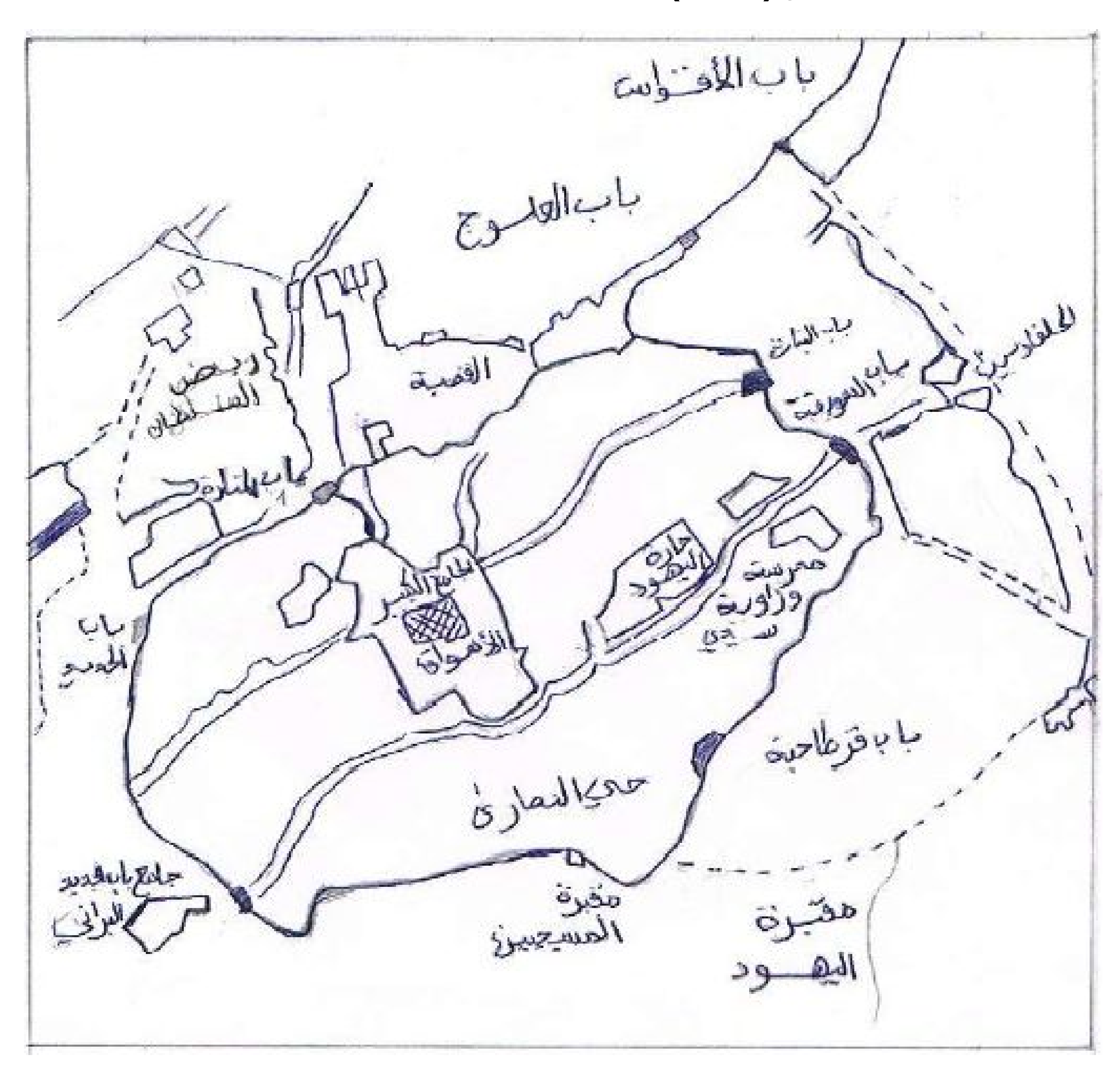
اليهود المغاربة و الطريق التجاري الصحراوي



سميرة نميش : دور أهل الذمة بالمغرب الأوسط ، ص 115

ملحق رقم 6 :

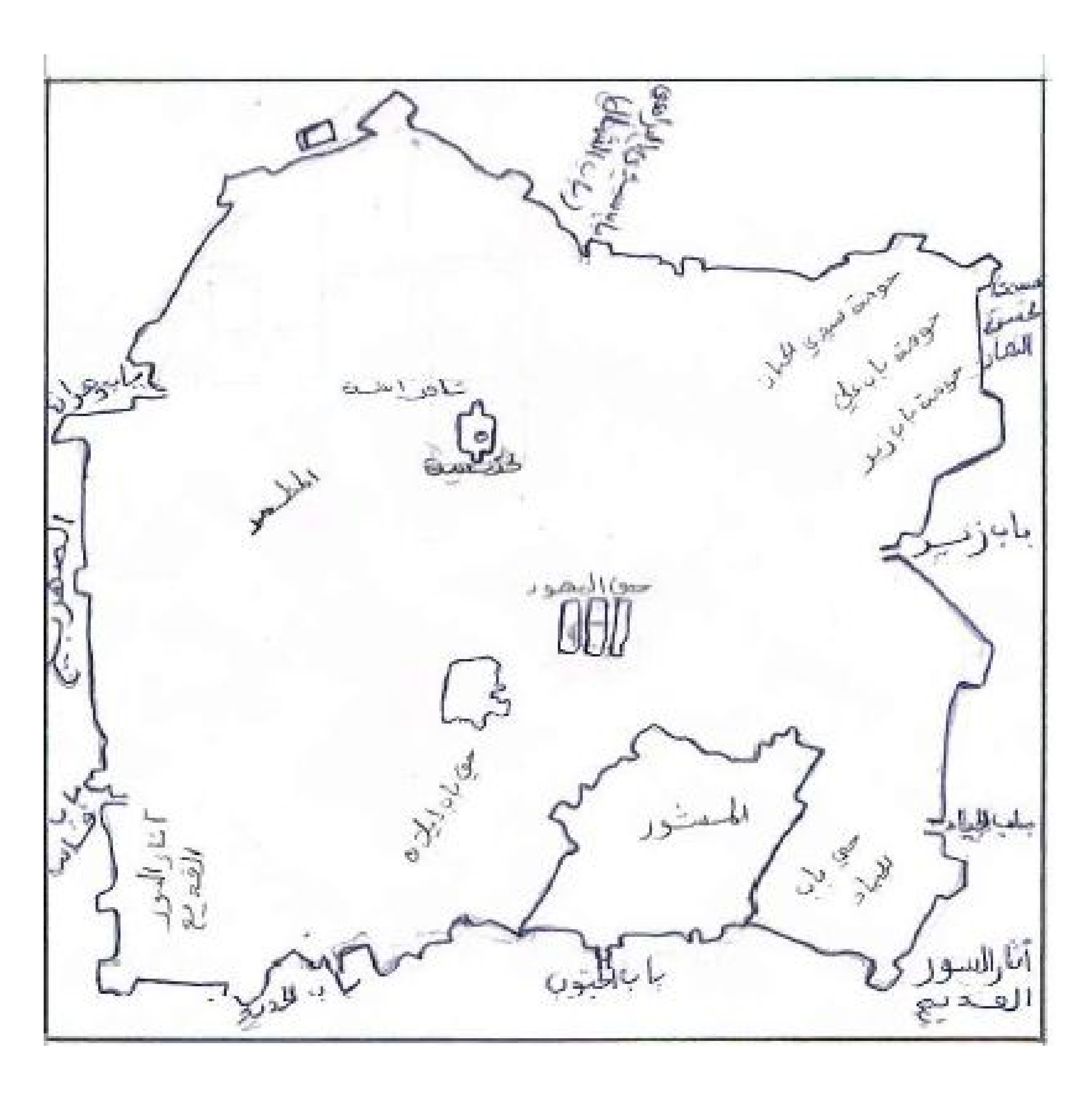
الأحياء السكنية بالمغرب الأدنى (تونس)



سميرة نميش : دور أهل الذمة ، ص 111

ملحق رقم 7 :

الأحياء السكنية بالعاصمة الزيانية

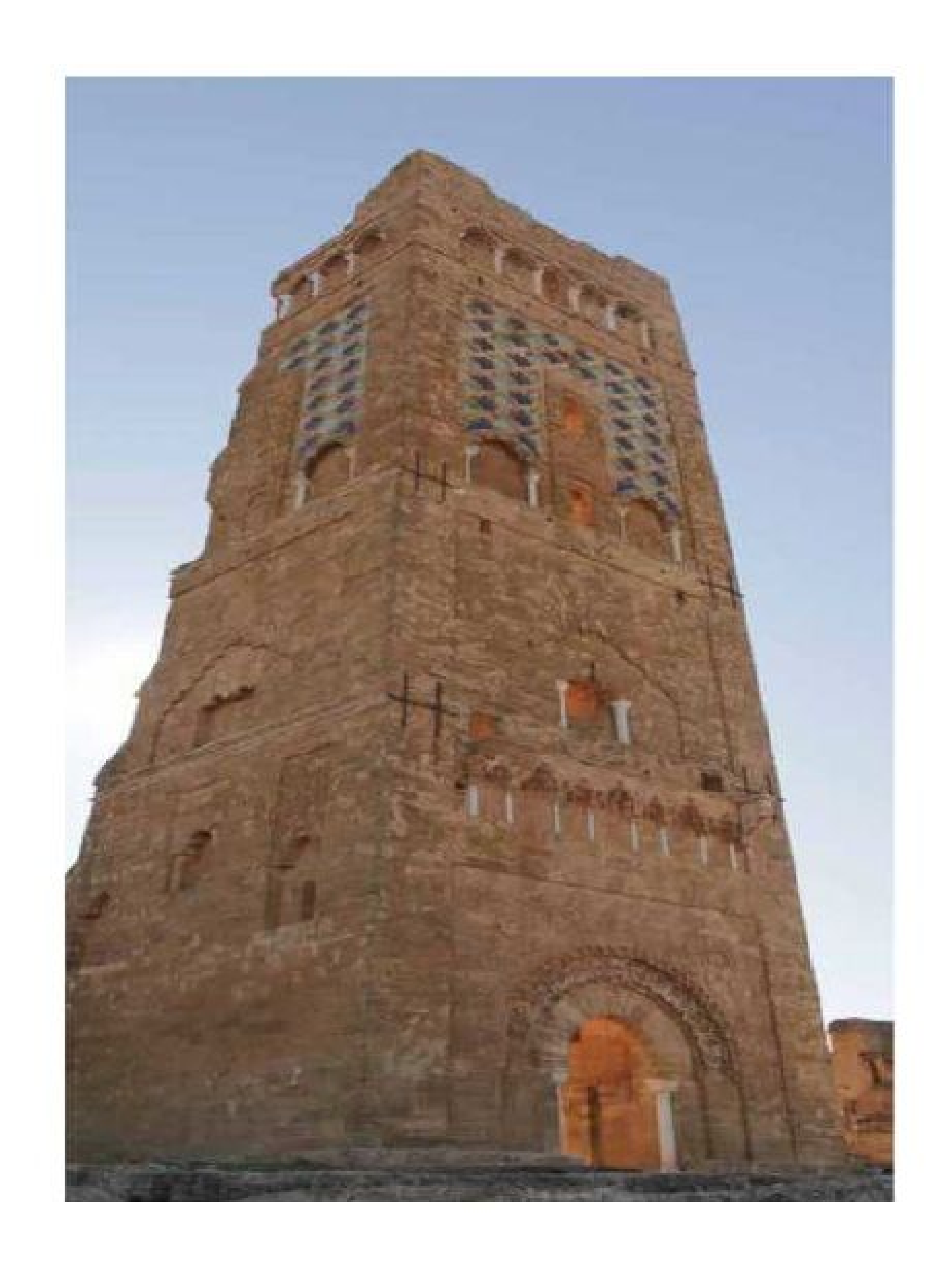


محمد بن عمرو الطمار : تلمسان عبر العصور ، ص 224

ب- الصور

ملحق رقم 8 :

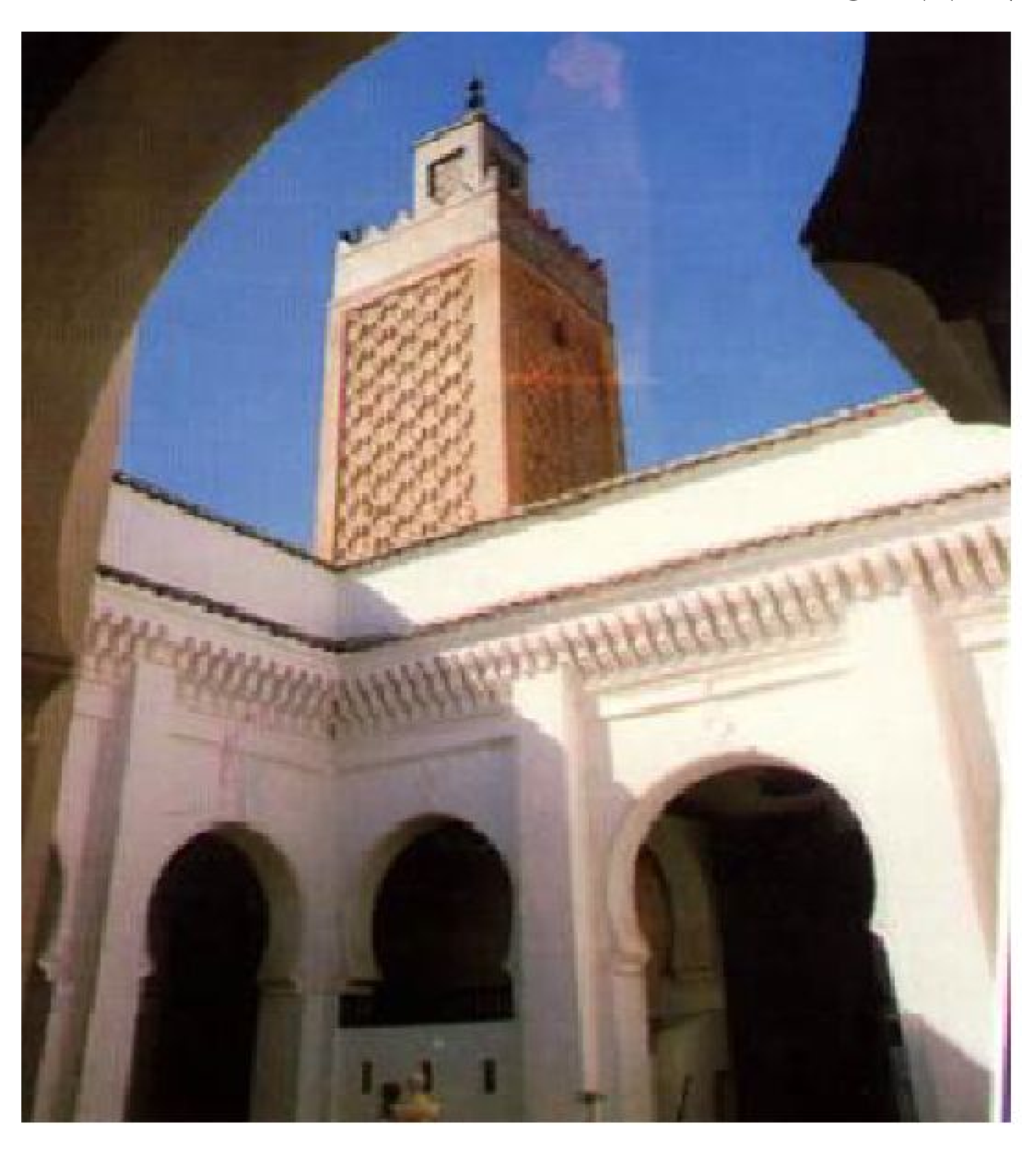
صومعة المنصورة بتلمسان



سكاكو مريم : المجالس العلمية و السلطانية ، ص 220

ملحق رقم 9 :

مسجد العبادبتلمسان



نصر الدين بن داود : بيتوتات العلماء ، ص 317

ملحق رقم 10 :

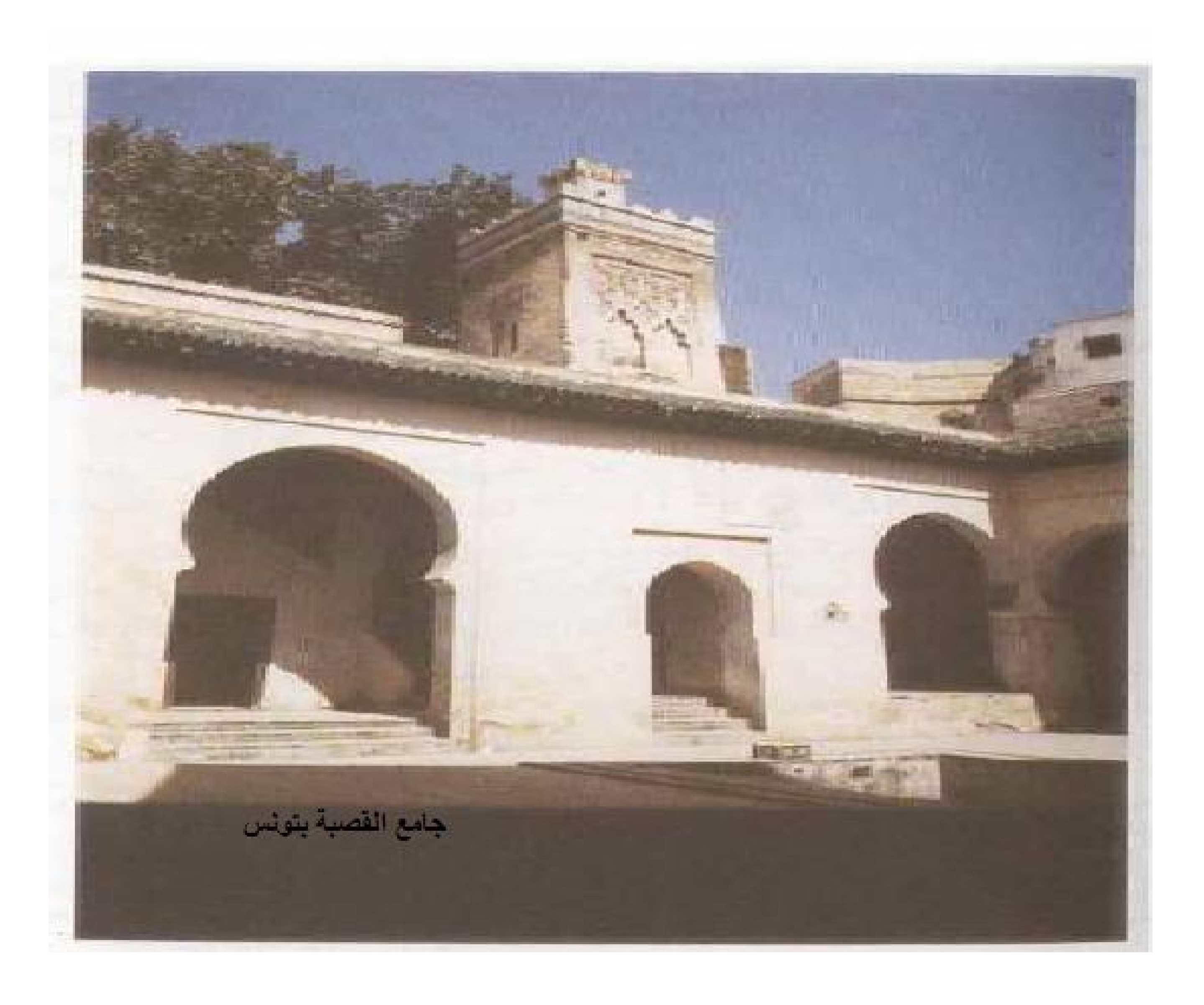
مدرسة العباد بتلمسان



نصر الدين بن داود : بيتوتات العلماء ، ص 317

ملحق رقم 11 :

جامع القصبة بتونس



سكاكو مريم : المجالس العلمية السلطانية لبلاد المغرب ، ص 218

ملحق رقم 12 :

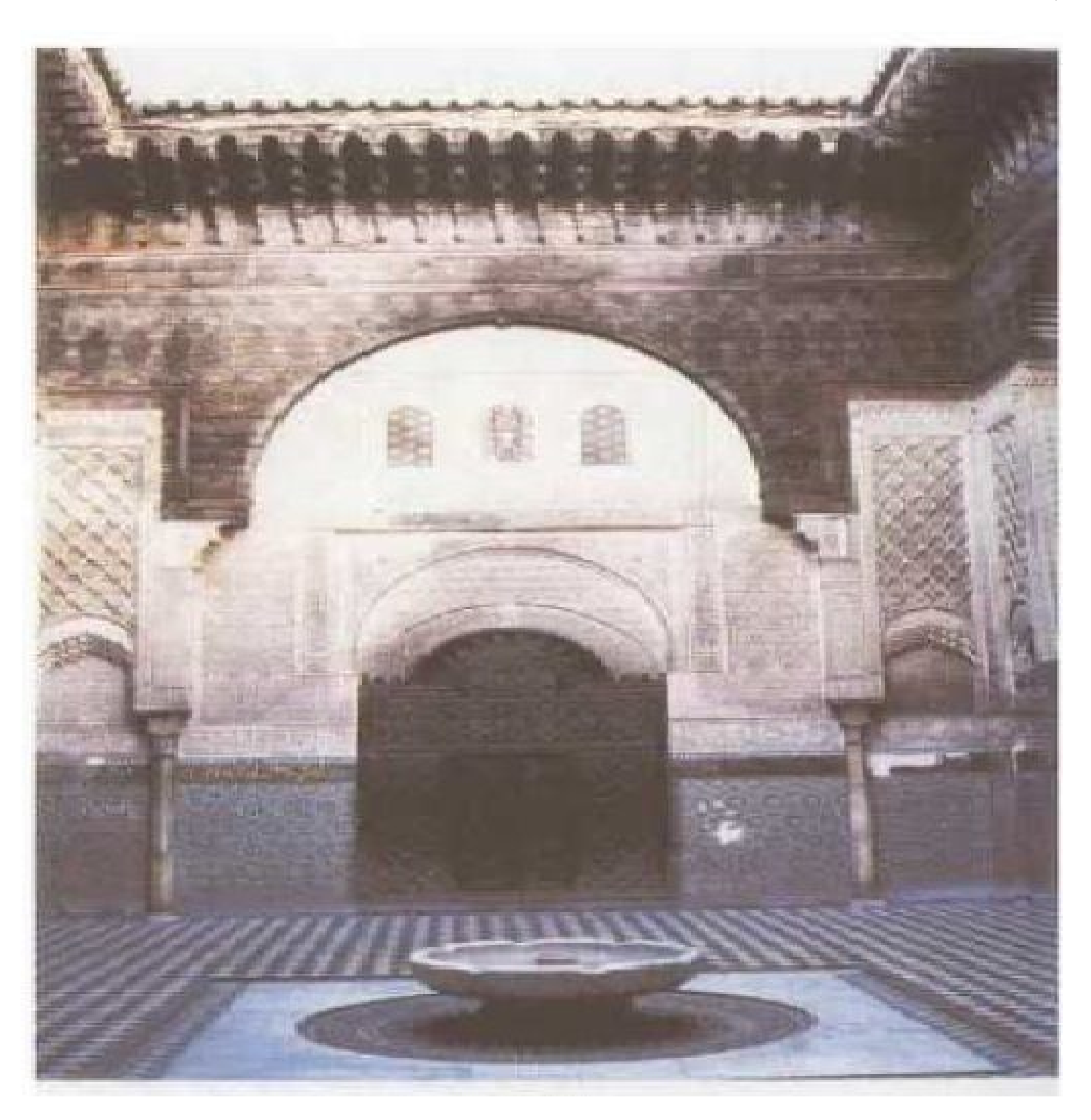
ضريح الولي أبي مدين شعيب بتلمسان



نصر الدين بن داود : بيتوتات العلماء ، ص 318

ملحق رقم 13 :

بهو مدرسة العطارين بفاس



سكاكو مريم : المجالس العلمية السلطانية ، ص 222

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

***القرآن الكريم.**

1/ابن الأبار أبو عبد محمد بن عبد الله بن أبي بكر البلنسي(كان حيا سنة 894هـ/1489م):الحلة السيراء، تح حسين مؤنس، ط2، دار المعارف، القاهرة،1985.

2/ ابنالأحمرأبوالوليدإسماعيل(ت:807هـ/ 1404 م)،تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان ،تح هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية،بورسعيد،ط1421 1هـ/2001م.

3/ ابنالأثيرأبوالحسنعليبنأبيالكرم(ت:630هـ/ 1238 م)،الكاملفيالتاريخ،تح أبوالفداءعبداللهالقاضي،دارالكتبالعلمية،بيروت،1987 .

4/الإدريسي أبوعبداللهالشريف(ت: 560هـ/ 1164م)،المغربوأرضالسودانومصر والأندلس،مأخوذمنكتابنزهةالمشتاقفياختراقالأفاق،مطابعبريل،لبدن،1865.

5/ ابن أبي أصيبعة

6/ ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار ، تحقيق عبد الهادي التازي ، أكاديمية المملكة المغربية ، المغرب ، 1997م .

7/ البكري أبوعبيدالله(ت: 487هـ/ 1094م))المغربفيذكربلادإفريقيةوالمغرب وهوجزءمنكتابالمسالكوالممالك،،بغداد،مكتبةالمثنى.

8/ التنبكتي أبو العباس أحمد بن أحمد(ت1036هـ/1624م): نيل الابتهاج بتطريز الديباج، مطبعة الفحامين،مصر،1351هـ.

9/ التنسي أبوعبداللهبنالجليل(ت 779 هـ): تاريخبنيزيانملوكتلمسان،مقتطفمننظمالذروالعقبان،تح : محمودبوعياد،المؤسسةالوطنيةللكتاب،الجزائر.

10/ التيجاني، أبو محمد عبد الله بن محمد أحمد: رحلة التيجاني، تقديم: حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، تونس، 1981.

11/ الجوهريإسماعيلبنحماد (ت393هـ): الصحاح- تاجاللغةوصحاحالعربية.

12/ ابن الحاج النميري: فيض العباب وإفاضة قداح الأدب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، دراسة وإعداد محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي،بيروت،1990.

13/ ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، تح: محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة،القاهرة،196621.

14/ الحموي شهاب الدين أحمد أبو عبد الله محمد (ت626هـ/1228م): معجم البلدان، دار صادر، بيروت.

15/ ابن حوقل (ت367هـ/977م): صورة الأرض، دار صادر ، بيروت، 1928.

/16

أبوحموموسالزياني:واسطةالسلوكفيسياسةالملوك،تحقيقوتعليقمحمودبترعة،دارالنعمانللطباعةوالنشر،دارالشيماء،الجزائر،2012 .

17/ الحميري محمد بن عبد المنعم: الروض المعطار في خبر الأقطار، تح إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975.

ابن الخطيب لسان الدين:

18/ ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب،ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة،1980.

19/ الإحاطةفيأخبارغرناطة،تحقيق،محمدعبداللهعنان،ط 02 ،مكتبةالخانجي،القاهرة، 1973 .

20/ ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب،ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة،1980.

21/ كناسة الدكان بعد انتقال السكان،تح محمد كمال شبانة،ط1،مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2003.

* ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ/1405م) :

22/ المقدمة، ط1، دار الهيثم،القاهرة،2005.

23/المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية ، بيروت، 2003.

24/ ابن خلدون يحيي : بغية الرواد في دكر الملوك من بني عبد الواد ، ج2 ، تحقيق عبد الحميد حاجيات ، عالم المعرفة للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2011م .

25/ الذهبي شمس الدين: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح بشار عواد معروف،ط973 1 الغرب الإسلامي،بيروت،13 2003.

26/ الرازي ابنأبيبكر ،مختارالصحاح،مكتبةلبنان، لبنان. 1986 .

27/ ابنرشد،فتاوىابنرشد: تقديموتحقيقوتعليق،المختاربنالطاهرالتليلي،ط 01 ،دارالغربالإسلامي،بيروت، 1987.

28/ ابنرضوانالمالقي:الشهباللامعةفيالسياسةالنافعة،تحقيقعليساميالنشار،دارالثقافة،الدارالبيضاء،المغرب، 1984.

/29

ابنأبيزرعالفاسي:الأنيسالمطربروضالقرطاسفيأخبارملوكالمغربوتاريخمدينةفاس،دارالمنصورللطباعةوالوراقة،الرباط 1973.

30/ الزركشي أبوعبداللهمحمدبنإبراهيم كانحياسنة(894 هـ/1488 م):تاريخ الدولتينالموحديةوالحفصية،تح : محمدماضود،المكتبةالعتيقة،تونس، ط193322.

/31

ابنفارسأحمدبنالحسن:معجممقاييساللغة،تحقيقوضبطعبدالسلاممحمدهارون،المجمعالعلميالعربيالإسلامي،دارا لفكرلطباعةوالنشر.

32/ ابن فرحون براهيمبننورالدينالمعروف (ت 799 هـ):الديباجالمذهبفيمعرفةأعيانعلماءالمذهب،دراسةوتحقيقمأمونبنمحيالدينالجنان،دارالكتبالعلمية -بيروت –لبنان،الطبعةالأولى 1417 / 1996 .

33/ السراج الأندلسي : الحلل السندسية في الأخبار التونسية ، مطبعة الدولة التونسية ، تونس ، 1987م.

34/ ابنسعيدالغرناطينورالدينأبوالحسنعليبنموسى(ت 976 هـ 2179 م):كتابالجغرافيا،تح : إسماعيلالعربي،ط1 ،ديوانالمطبوعاتالجامعية،الجزائر،1971.

35/ ابنالشمّاع(كانحياسنة 861 هـ 1457م)،الأدلّةالبينيةالنورانيةفيمفاخر الدّولةالحفصية،تح : الطاهربنمحمدالمعموري،الدارالعربيةللكتاب.

36/ ابنصاحبالصلاةعبدالملك(ت : بايةق6 هـ/ 12م)،المنبالإمامة – تاريخبلاد،المغربوالأندلسفيعهدالموحدين،تح :عبدالهاديالتازي،دارالغربالإسلامي،ط198733.

37/ العبدريالبلسني(ت :اواخرق7 هـ/ 13م)،الرحلةالمغربية،مؤسسةبونةللبحوث والدراسات،الجزائر، 2007

38/ ابن عذاري أبو العباس أحمد المراكشي(كان حيا سنة 712هـ/ 1312م) : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح ج.س. كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت،ط 140022هـ/1980م.

39/ الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد (704هـ/1314م):عنوان الدراية فمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: عاد نويهض، ط 2، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت ،1979م.

40/ ابنالفراء أبو علي الحسين بن محمد(ت458هـ):رسلالملوك ومن يصل للرسالة والسفارة، تح صلاح المنجد، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1366هـ/1947م.

41/ ابن القاضي أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي: جذوةالاقتباسفيذكرفي منحلمنالأعلام بمدينةفاس،الرباط،دارالمنصور،ط1: 1973.

42/ القلقشنديأبوالعباسأحمدبنعلي (ت:821هـ/ 1418 م)،صبحالأعشفي صناعةالإنشا،المؤسسةالمصريةالعامة،مصر،(ب.ت.)

43/ القلصادي علي بن محمد بن محمد القرشي الأندلسي (ت:841هـ/1486م): تمهيد الطالب ومنتهى الراغب في أعلى المنازل المعروفة برحلة القلصادي، تح محمد أبو الأجفال، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978.

*ابن قنفد القسنطينيأبي العباس أحمد بن الخطيب (ت: 810 هـ/ 1407 م)

44/الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تح: محمد الشاذلي النيفر و عبدالمجيد التركي، الدار التونسية للنشر. 1948.

45/الوفيات،تع وتح : عادل نويهض، ط4،دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1984

46/ ابن مخلوف محمد بن محمد : شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، الطبعة السلفية، القاهرة، 1349هـ.

47/ ابن مريم أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد :البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، المطبعة الثعالبية، الجزائر،1908م.

48/ ابن منظور: لسان العرب، مج6 : 55،طبعة دار المعارف.

49/ مارمولكربخال:إفريقية،ترجمةمحمدحجيوآخرونمكتبةالمعارف،الرباط،المغرب، 1984 .

50/ الماوردي:نصيحةالملوك،تحقيقمحمدخضير،مكتبةالفلاح،الكويت،ط1 1983.

51/ المراكشيابنعذاري،(ت:أواخرق7 هـ 13 /م) البيانالمغربفيأخبارالأندلسوالمغرب – قسمالموحدين،تح : محمدإبراهيمالكتانيوآخرون،دارالغربالإسلامي، .بيروت،198

52/ المراكشي عبدالواحد(ت: 647هـ/ 1249 م) ،المعجبفيتلخيصأخبارالمغرب،تح : محمدسعيدالعريانالمجلسالأعلىللشؤونالإسلامية،القاهرة1963 .

53/ ابن مرزوق الخطيب أبوعبداللهمحمدالتلمساني(ت:781هـ/ 1379 م) :المسند الصحيح، تر: ماريا الصمد هيكل، مطبعة الابتكار، الاسكندرية،1991.

54/ المقدسيأبوعبداللهمحمدبناحمد(ت: 378هـ/ 988 م) ،أحسنالتقاسيمفي معرفةالأقاليم،دارالكتبالعلمية،بيروت،2003

المقري أحمدبنمحمدالتلمساني(ت: 1041 هـ/ 1632 م):

55/ نفحالطيبمنغصن الأندلسالرطيب،تح : إحسانعباس،دارصادر،بيروت،1988

56/ أزهار الرياض في أخبار العياض، تح: سعيد أحمد أعراب، عبد السلام الهراس، مطبعة فضالة، المحمدية،1980م.

/57

مؤلفمجهول،الإستبصارفيعجائبالأمصار،نشروتعليقسعدزغلولعبدالحميد،دارالشؤونالثقافية،العراق،دت.

58/ الناصري أبو العباس خالد السيلاوي: الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح وتع جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء.1954.

59/ النيسابوري: أبو مسلم: صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط5: 2000.

60/ الوزانبنمحمدالحسن(المعروفبليونالإفريقي(ت :بعد957 هـ/ 1550 م) ،وصفإفريقيا،تر : محمدحجيومحمدالأخضر،دارالغربالإسلامي،بيروت،ط198322.

الونشريسيأبوالعباسأحمد(ت 914 هـ 1511م)

61/المعيارالمغربوالجامع المغربعنفتاوىعلماءإفريقيةوالأندلسوالمغرب،تح : محمدحجي،وزارةالأوقاف والشؤون الإسلامية،الرباط،1983.

62/أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر،تح حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1416هـ/2008م

❖ **المراجع:**

63/ أشباخ يوسف: تاريخالأندلسفيعصرالمرابطينوالموحدين،ترجمة،محمدعبداللهعنان،ط 02 ،مكتبةالخانجيالقاهرة، 1996 102.

64/ بلعربيخالد،الدولةالزيانيةفيعهديغمراسن،دراسةتاريخيةوحضارية(633-681هـ/1235 - 1282م)، دارالألمعيةللنشروالتوزيع،قسنطينة.

بلغيث محمد الأمين:

65/ الأندلسيون وآثارهم بفحص الجزائر ومتيجة، دراسة مهداة إلى الأستاذ موسى لقبال، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر.

66/ فصول في التاريخ والعمران بالمغرب الإسلامي، ط1، الجزائر،2007.

67/ بوتشيش إبراهيمالقادري:تاريخالغربالإسلامي،قراءاتجديدةفيبعضقضاياالمجتمعوالحضارة،ط 99601 الطليعةللطباعةوالنشر،بيروت، 1994 .

68/ جمالطه: الحياةالاجتماعيةبالمغربالأقصىفيالعصرالإسلامي،(عصرالمرابطينوالموحدين) : 99401 الوفاء، الاسكندرية، 2004.

69/ حبش محمد :الإسلام والدبلوماسية، قراءة في القيم الدبلوماسية في الإسلام، 1434هـ/2013/ .a pire

70/ حتاملة محمد عبده: موسوعة الأندلس والمغرب العربي الأندلسي التاريخ والحضارة والمحنة دراسة شاملة، دار المدار، البليدة،ط2009 1.

71/ حساني مختار: تاريخ الدولة الزيانية،2الأحوال الاقتصادية والثقافية ، ج2، منشورات الحضارة الجزائر العاصمة، ط2009.

72/ الحجي عبد الرحمن علي :التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، دار القلم، بيروت.

73/ الحريري محمد عيسى: تاريخ المغرب الإسلامي والأندلسي في العصر المريني(610-769هـ/1213-1465م)9 27، دار القلم ، 1987.

74/ حسن أحمد محمود و أحمد ابراهيم الشريف: العالم الإسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي، بيروت، ط5.

75/ حسنعليحسن: الحضارةالإسلاميةفيالمغربوالأندلسعصرالمرابطين والموحدين : 01 ،مكتبةالخانجي،مصر،1980.

76/ حسن محمد: المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس الأولى،1999.

77/ الخزاري بديعة: تاريخ الكنيسة النصرانية في المغرب الأقصى، ط 01 ، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2007.

78/ الخطابي محمد العربي: الطب والأطباء في الأندلس، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

79/ الدوري عبد العزيز: النظم الإسلامية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1: 2008.

80/ الرحيلي سليمان: السفارات الإسلامية إلى الدولة البيزنطية، مكتبة التوبة، الرياض ، 1414هـ.

81/ رزوق محمد: دراسات في تاريخ المغرب، افريقيا الشرق،1991.

82/ روباربرنشفيك: تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن13إلى اية القرن 15م، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي بيروت ، ط51 1988.

83/السائح الحسن: الحضارة الإسلامية في المغرب، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء ، المغرب، 1986.

84/ سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر،الشركة الوطنية للكتاب والتوزيع، الجزائر،1981.

84/ سعيدانعمر:علاقاتإسبانياالقطلانيةبتلمسانفيالثلثينالأولوالثانيمنالقرن 14 ممنشوراتثالة،الجزائر، 2011.

سعيدوني ناصر الدين:

84/ -- دراسات أندلسية، مظاهر التأثير الأيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر،ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،2003.

85/ -- دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر(الفترة الحديثة والمعاصرة)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،2 1985.

86/ --الأوضاعالاقتصاديةوالاجتماعيةوالثقافيةلولاياتالمغربالعثمانية،(الجزائر –تونس –طرابلس. الغرب) منالقرنالعاشرإلىالرابععشرالهجريمنالقرنالسادسعشرحتىالقرنالتاسععشرالميلادي،مجلس . النشرالعلمي،جامعةالكويت 1431 هـ/ 2010 م

87/ -- الأوقاف الأندلسية بالجزائر من خلال وثائق الأرشيف الجزائري، الندوة الثانية للجنة العالمية للدراسات المورسكية، تونس، 1983.

88/ شاوش محمد بن رمضان: باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر،1991.

89/ صالح بن قربة: المئذنة المغربية والأندلسية في العصور الوسطى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988.

90/ الصلابي محمد علي: صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الإفريقي والدولة الموحدية،دارالبيارق،عمان.

91/ الطمار محمدو: الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج،المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، 1983.

92/ الطوخ أحمدأمين :مظاهرالحضارةفيالأندلسفيعصربنيالأحمر،مؤسسةشبابالجامعة،الإسكندرية.

93/ الطيبي أمينتوفيق: دراساتوبحوثفيتاريخالمغربوالأندلس،الدارالعربيةللكتاب،تونس1997 .

94/ بن عبد الله عبد العزيز: الفن المعماري بالمغرب والأندلس، الأخذ والعطاء، مطبوعات أكاديمية.

95/عبد العزي ابن عبد الله: التراث الحضاري المشترك بين إسبانيا والمغرب، مطبعة أكاديمية المملكة المغربية،الرباط،1992.

96/ عز الدين أحمد موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، مكتبة المهتدين، ط11 1983م.

97/ عزاوي أحمد:العلاقاتبينالعالمينالإسلاميوالمسيحيفيالعصرالوسيطمنخلالنصوصعربيةللمراسلاتواتفاقياتالسلموالتجارة، ط1 ،مطبعة .الرباط،المغرب، 2011 .1 .

98/ بوعزيز يحيى: الموجز في تاريخ الجزائر، الجزائر القديمة والوسيطة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 22 22009 .

99/ عطااللهشحا محمدريه:اليهودفيبلادالمغربالأقصىفيعصرالمرينيينوالوطاسين،ط 01 ،دارالكلمةللطباعةوالنشروالتوزيع،سوريا– دمشق،1999

100/ بوعمامة فاطمة: اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين(7-9هـ/13-15م)مؤسسة كنوز الحكمة الأبيار الجزائر العاصمة،2011.

101/ عمر عز الدين أحمد موسى: دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي،دار الشروق، ط1: 1983م.

102/ عنان عبد الرحمن: السفارة ودورها في تدعيم العلاقات الدولية، رسالة ماجستير في الشريعة والقانون، قسم الشريعة، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 1429-1430هـ/2008-2009م

103/ عنان محمد عبد الله: دولة الإسلام في الأندلس،العصر الثالث، عصر المورابطين والموحدين،مكتبة الخانجي بالقاهرة،ط2: 1411هـ/1990م.

104/ فيلالي عبد العزيز: تلمسان في العهد الزياني(دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية)، موفم للنشر، الجزائر،2002 .

105/ فاروق عمر فوزي: تاريخ النظم الإسلامية، دار الشروق،عمان،2009.

106/ فلاق محمد : المشهد العلمي و الثقافي في زوارة و تلمسان في القرنين السابع و الثامن الهجريين دار الأمل للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر ، 2011م .

107/ قاسمخضيرعباس: المبادئالأوليةفيالقانونالدبلوماسي،دارالرافدينللطباعةوالنشروالتوزيع،بيروت،ط 11 2009.

108/ قاسمعبدهقاسم:اليهودفيمصر،ط 01،دارالشروق،القاهرة، 1993 .

109/ قريان عبد الجليل: التعليم بتلمسان في العهد الزياني ، جسور للنشر و التوزيع، الجزائر ، 2011م.

110/ بولطيف لخضر:فقهاءالمالكيةوالتجربةالسياسيةالموحديةفيالغربالإسلامي،دارالصديقللنشروالتوزيع،الجزائر، 2015 .

111/ ماهرسمك: اليهودفيالمغرب / 01،دارالحريةللصحافةوالنشروالتوزيع،مصر،1998.

112/ محمود آغا بوعباد: جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن ال9هـ/15 98 1 19821 1.

113/ المدني أحمدتوفيق:حربالثلاثمائةسنةبينالجزائروإسبانيا " 1492-1792 92 11- دارالبصائر،الجزائر، 2007 .

114/ مرعي ابتسامخلفالله:العلاقاتبينالخلافةالموحديةوالمشرقالإسلامي(524-936هـ)دارالمعارف.

115/ كواتي مسعود :اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، معهد التاريخ جامعة الجزائر،1411-1412هـ/1990-1991م.

الرسائل الجامعية:

116/ أحمد جواد شعيب الكر عاوي: العلماء الأندلسيون ودورهم السياسي والاداري في الأندلس في القرن(6هـ/12م)، رسالة ماجستير ، معهد الدراسات العربية. 1433هـ/2012م.

117/ الأخضر عبدلي: الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان(633-962هـ/1236-1554م)،أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ ، جامعة أبي بكر بلقايد،تلمسان،1425-1426هـ/2004-2005م.

118/ آمال سالم عطية: السفارات في المغرب الإسلامي خلال القرنين 7-8هـ/13-14م، أطروحة دكتوراه علوم، في تخصص تاريخ الغرب الإسلامي تاريخ وحضارة، جامعة مصطفى اصطنبولي معسكر، الجزائر، 1436-1437هـ/2015-2016م.

119/ بغداد غربي: العلاقات التجارية للدولة الموحدية، أطروحة دكتوراه علوم، قسم التاريخ جامعة وهران، 1435 - 1436هـ/ 2014-2015

120/البكري العيد: العلاقات الثقافية بين الأندلس ودول المغرب ما بين ق(7-9هـ/13-15م) مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم التاريخ والآثار، جامعة العقيد الحاج لخضر، 2015.

121/ بوحسون عبد القادر : العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تلمسان، 2007-2008.

122/ حمزة عبد الصمد : أهل الذمة في الدولة الزيانية ، دراسة سياسية واقتصادية و اجتماعية وثقافية، أطروحة دكتوراه في الحضارة الاسلامية، قسم التاريخ، جامعة وهران1 أحمد بن بلة،1437-1438هـ/2016-2017م.

123/حناش فهيمة: العلاقات بين المغرب الأوسط والأندلس خلال القرنين (5-6هـ/11-12م)،رسالة ماجستير، قسم التاريخ جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية،قسنطينة،1432-1433هـ/ 2011-2012م.

124/ حنيفيهلايلي: الموريسكيونالأندلسيونفيالمغربالأوسطخلالالقرنين،ماجستيرفيالتاريخالحديث والمعاصر، جامعة وهران، غير منشورة.

125/ حيمي عبدالحفيظ: نظامالشرطةفيالغربالإسلامي،مذكرةمكملةلنيلشهادةالدكتوراهفيالتاريخالوسيط،قسمالتاريخ،كل يةالعلوم .الإنسانيةوالعلومالاجتماعية،جامعةوهران، 2015 .

126/ بوخاوش مريم : آثارسقوطالأندلسعلىبلادالمغربالأوسط،دكتوراهغيرمنشورة،قسمالتاريخ،المدرسةالعلياللأساتذةبوزريعة، 2015.

127/خشاب صادق: تأثير الفن الاندلسي على نظيره المغاربي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الفنون الشعبية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان،2000-2001.

128/ بوعامر مريم: الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأدنى ودورها في الازدهار الحضاري ما بين القرن 7-9هـ/13-15م، رسالة ماجستير، قسم التاريخ والآثار، جامعة أبي بكر بلقايد، 1430-1431هـ/2009-2010.

129/ خليفي رفيق:البيوتات الأندلسية في المغرب الأوسط من نهاية القرن الـ3هـ إلى نهاية القرن الـ9هـ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ وحضارة المغرب، قسم التاريخ، جامعة الامير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة،1428-1429هـ/2007-2008م.

130/ بنداودنصرالدين :بيوتاتالعلماءبتلمسانمنالقرن7 هـ 13 /مإلىالقرن10هـ16 /م ،أطروحةمقدمةلنيلشهادةالدكتوراهفيالتاريخالوسيط،تلمسان،2009-2010.

131/ بودواية مبخوت: العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان، أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه دولة في التاريخ، قسم التاريخ ، جامعة أبي بكر بلقايد،1426-1427هـ/2005-2006.

132/راكة

عمر :علاقاتالدولةالموحديةبالإماراتالإسلاميةوالممالكالمسيحيةفيالأندلس،رسالةماجستيرغيرمنشورة،جامعةأب وبكربلقايد،تلمسان، 2010-2011 .

133/كنتور رابح: أوقاف البليدة وفحصها (1206-1290هـ/1791-1873م)، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة الجزائر،2001-2002.

134/ قدور عبد المجيد: هجرة الأندلسيين إلى المغرب الأوسط ونتائجها الحضارية خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)،رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير ، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة.

135/ سعداني محمد: الأندلسيون وتأثير ـم الحضارية في المغرب الأوسط(7-9هـ/13-16م)،أطروحة دكتوراه علوم، 1436-1437هـ/2015-2016م،قسم التاريخ جامعة وهران.

136/ سكاكو حورية: التحوّلاتالاقتصاديةفيبلادالمغرببدايةمنالقرنالسادس الهجريحتىأواخرالقرنالعاشرالهجري(12-16م)،أطروحة دكتوراه علوم قسم التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 1438-1439هـ/2017-2018م.

137/ سكاكومريم:المجالس العلمية السلطانية لبلاد المغرب الإسلامي ودورها في التواصل الفكري من القرن (7-9هـ/13-15م)،أطروحة دكتوراه علوم ،تخصص تاريخ وسيط،جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان)1438-1439هـ/2017-2018م.

138/ بوشامة عاشور: علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب والأندلس(626-981هـ/1288-1473م)رسالة ماجستير، كلية الأداب، جامعة القاهرة،1991.

139/ شرقي نوارة:الحياةالاجتماعيةفيالمغربالإسلاميفيعهدالموحدين(524 - 667هـ/1126-1268م)-

أطروحةلنيلشهادةالماجيستيرفيالتاريخالإسلاميالوسيط، كليةالعلومالإنسانيةوالاجتماعية،قسمالتاريخ،جامعة ، الجزائر،2007/2008.

140/عمارة سيدي محمد: هجرة الأندلسيين إلى المغرب الأوسط (7هـ/13م)ودورهم الثقافي، مذكرة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ ، جامعة وهران، 1422-1423هـ/2012-2013م.

141/ عمر الأمين: البناء وتقنياته بالمغرب الاوسط خلال القرنين(4-9هـ) رسالة ماجستير ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر.

142/ نميش سميرة: دورأهلالذمةبالمغربالأوسط خلالالعهدالزياني من القرنين(7-10هـ/10-13م)، رسالة ماجستير في تاريخحضارةالمغربالإسلاميفيالعصرالوسيط ، قسمالتاريخوعلمالآثار، كليةالعلومالإنسانيةوالعلومالاجتماعية، جامعةأبيبكربلقايدتلمسان1434-1435هـ/2013-2014م.

143/أهل الذمة ودورهم الحضاري في المغربين الأدنى والأقصى(6-10هـ/12-16م)،أطروحة دكتوراه في التاريخ،قسمالتاريخوعلمالآثار، كليةالعلومالإنسانيةوالعلومالاجتماعية، جامعةأبيبكربلقايدتلمسان 1438-1439هـ/2017-2018م

144/ الهرفي سلامة محمد سليمان: الأحوال السياسية وأهم مظاهر التطور الحضاري لدولة المرابطين، في عهد علي بن يوسف بن تاشفين(500-537هـ رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1406هـ/1986م.

145/سكاكو مريم :المجالس العلمية السسلطانية لبلاد المغرب الإسلامي ودورها في التواصل الفكري من القرن(07-09هـ/13-15م) ،أطروحة مقدة لنيل شهادة دكتوراه علوم تخصص تاريخ المغرب الإسلامي جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان ،2017-2018

❖ **الكتب الأجنبية المترجمة:**

146/ جواتياين:دراساتفيالتاريخالإسلاميوالنظمالإسلامية،تحقيق،عطيةالقوصي،ط01 ،وكالةالمطبوعات، الكويت 1970.

147/حاييمالزعفراني :يهودالمغربوالأندلس،ترجمة،أحمدشحلان،مطبعةالنجاحالجديدة،الرباط، 2000 . 01 14

148/ دوزيرينهرت :**المسلمونفيالأندلس**،تر :حسنحبشي،الهيئةالمصريةالعامةللكتاب،القاهرة، 1990 .

149/ وليم جورج مارسي: المعالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان، تر :مجموعة من الأساتذة، شركة الأصالة للنشر والتوزيع،الجزائر،ط2011 1:

150/ هوبكنز ج. ف: النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى، تر أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا،تونس،1980.

الدوريات والمجلات :

151/أرحو محمد:" دوراليهودفيالجنوبالمغربيفيتجارةالقوافلالصحراوية"،مجلةمتخصصةتعنىبقضاياالدين ،والمجتمعوالتجديدالعربيالإسلامي،العددان34 - 35،السنةالتاسعة، 1997 .

■ بوباية عبد القادر:

152/ إسهام العلماء الأندلسيين في الحركة العلمية ببجاية من خلال كتاب عنوان الدراية،مجلة عصور الجديدة، ع18،عدد خاص بقسنطينة،1436هـ/2015م.

153/ -- إسهام العلماء الأندلسيين في الحركة العلمية بتلمسان خلال القرن السابع الهجري(13م)،مجلة عصور الجديدة، ع2، عدد خاص بتلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية،1432هـ/2011م.

154/ بشير عبدالرحمان:اليهودفيبلادالمغربالعربي،(22-462هـ/662-1070م) ط2، عين للدراسات والبحوث الانسانية والانسانية، مصر،2001.

155/ بن داود حفيظة ود.قدور وهرانيهجرة يهود الأندلس إلى المغرب الأوسط في اية العصر الوسيط، مجلة العبر للدراسات التاريخية والاثرية في شمال افريقيا، ع1، جانفي 2018.

156/ بلبشير عمر: مساهمة في دراسة النشاط الصناعي والحرفي في المغرب الإسلامي من خلال النصوص النوازلية والجغرافية، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، ع04، جوان 2013.

--حاجيات عبد الحميد:

156/ دراسات حول التاريخ السياسي والحضاري لتلمسان والمغرب الاسلامي، عالم المعرفة للنشر ، الجزائر،ط2011 1.

157/ -- تطور العلاقات بين تلمسان وغرناطة في العصر الوسيط، مجلة عصور الجديدة، جامعة وهران، ع22011.

158/ حارث علي عبد الله: هجرة سكان الأندلس إلى بلاد المغرب وتأثيرهم في الجوانب السياسية والفكرية والمعمارية خلال القرن7-9هـ13-15م)مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية،مج2720192 5.

-- حنيفيهلايلي:

159/ القضية الموريسكية في الفضاء الجزائري العثماني، الحوار المتوسطي، مجلة الدراسات الإنسانية والاجتماعية والفكرية، مخبر البحوث والدراسات الاستشراقية في حضارة المغرب الإسلامي، ع6،مارس 2014، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر.

160/ حمزة عبدالصمد:الحضورالسياسيلأهلالذمةفيالمغربالأوسطخلالالعهدالزياني،مجلةالحكمةللدراساتالتاريخية،العدد 12جامعةوهرانأحمدبنبلة،ديسمبر 2017 .

161/ خالد بلعربي: مساهمة الجالية الأندلسية في الحركة العلمية بتلمسان خلال العهد الزياني.مجلة دراسات،مج3 : 1.

162/ خليفيرفيق: حرفيو السك النقدي في المغرب الزياني، أسرة ابن الملاح نموذجا(633-718هـ/1236-1318م) مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، ع04،جوان2013.

163/ طوهارة فؤاد: جوانب من الحركة العلمية والثقافية في حاضرة فاس خلال العهد المريني(646-869هـ/1248-1465م)، مجلة دراسات تاريخية، ع28، حزيران2020.

164/ -- الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأوسط(السياق التاريخي والمجال الجغرافي)،مجلة حوليات التراث، ع15.2015

165/ فرحات محمد إبراهيم بكار: الهجراتالأندلسيةإلبلادإفريقيةفيالعهدالحفصي625 "-932هـ/1222-1474م))مجلةالعلوموالدراساتالإنسانية،العدد 27 ،جامعةمحمدبنغازي،ليبيا، 2016.

166/ فيلالي عبد العزيز: الصلات الثقافية والفكرية بين تلمسان وقسنطينة، مجلة أفكار وآفاق، العدد3،الجزائر،2012.

167/ قدور عبد المجيد: الهجرة الأندلسية إلى المغرب الإسلامي ونتائجها الاجتماعية والحضارية الجزائر كنموذج، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة منتوري قسنطينة، ع20، ديسمبر 2003.

168/ ساحدشريفةطيان:" ملابسالمرأةوأزياؤهافيالعهدالعثماني"،مجلةالدراساتالتاريخية،العدد 15 ،معهد الآثار، جامعة الجزائر2012 2-2013.

169/ ساحلي آسيا :المشيخة الأندلسية في بجاية ودورها تنشيط المعرفة التاريخية خلال القرن ال7هـ/13م.

170/ شقرونفريدة: قراءة تقييمية للأثر المعماري الأندلسي والمدجن على الفن المعماري للمغرب الأوسط، مجلة الإمارات للبحوث الأندلسية، ع2312018.

171/ عبد الوهاب الهاشمي ود. أحمد البحري: الحياةالاجتماعيةوالثقافيةفيبجايةمنخلالكتاب" : عنوانالدرايةفيمنعرفمنالعلماءفيالمائةالسابعةببجاية " للغبريني، مجلة الحوار المتوسطي، مج11 " :12 سبتمبر 2020.

172/علال عمر: الحركة العلمية وبيوتات العلماء في مدينة قسنطينة من القرن ال7ه الى 10ه/ 13-16م) ، مذكرة ماجستير في التاريخ الاسلامي، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة،2010-2011م.

173/ عليقنبرإلياس:" بنوميمونقادةالأسطولالمرابطيوالموحدي(508-599ه/1115-1202م) مجلة أبحاث التربيةالأساسية، ع 02 ،كليةالتربية،جامعةالموصل، 2010 01 .

174/مبخوت بودواية" : الحياةالاقتصاديةبالمغربالأوسطفيالعهدالزياني" ،فيمجلة:

قرطاسالدراساتالحضاريةوالفكرية،عتجريبي،جامعةتلمسان،ديسمبر.2008 .

175/ ميموديزهرة: الرحلاتالبحريةودوراليهودفيتنشيطالتجارةالساحليةللمغربالأوسطخلالالعصرالوسيط " ،المجلةالجزائريةللبحوثوالدراساتالتاريخيةالمتوسطية،العددالثالث،جامعةعبدالحميدمهري،قسنطينة،رمضان 1437ه،جوان 2016 .

176/ نصيرة عزرودي: الدولة الزيانية ودورها في تفعيل النشاط الحرفي بالمغرب الأوسط.مجلةالناصرية،مج 4 : 1.

177/ هادي جلول:الحركةالعلميةفيحاضرةتلمسانوعنايةالسلطةالزيانية ا(ق9 -8 ه 15 - 14 / م)، المجلة الأكاديميةللدراساتالاجتماعيةوالإنسانية، قسمالعلومالاجتماعية، جامعة الشلف، العدد 19 جانفي2018.

❖ **الكتب الأجنبية:**

178/ DE GENIVAL :L'égli e cheétienne de Marrakech au 13eme iecle, He peri .

179/ Dhina (A) , Le état De L'occident mu ulman au 13 , 14 , 15 , iècle , o . p .u , Alger , 1984

180/ Ma Latrie : relation et commerce de L'Afrique eptentrionale au Maghreb avec le nation chrétienne , pari 1886.


فهرس الأعـــلام

ا-

ع-

فهرس الأماكن

-أ-

-ب-

فهرس القبائل والمذاهب

-ل

-م

-ن

-ي


فهرس الموضوعات

ملخص

الوفود بالمغرب الإسلامي وأثرها في الحياة الاقتصادية والاجتماعية مابين القرون السادس والعاشر الهجرية

تحتل قضية إنتقال الوفود ببلاد المغرب الإسلامي أفرادا وجماعات حيزا مهما في مجال الهجرة ،والإنتقال ونقل الثقافة ومعالم الحضارة المتحركة ، وما ينجم عنها من تأثير إجتماعي وإقتصادي وثقافي ، وقد كانت بلاد المغرب الإسلامي ملاذا آمنا ومحببا لكثير من الأفراد والأسر والشخصيات وحتى الجماعات الوافدة عن طريق التجارة أو الرحلة أو الهجرة الطوعية أو التهجير القصري الذي فرضته الظروف السياسية والأمنية في بعض المناطق كالأندلس.وقد كانت الكيانات السياسية والدول التي قامت ببلاد المغرب الإسلامي كالزيانية ، والحفصية، والمرينية ،يولون أهمية وعناية فائقة بإستقبال الكفاءات من العلماء والأدباء والفنانين ويزينون بهم بلاطهم وأفادوا كثيرا من خبراتهم ومهاراتهم السياسية ، والإدارية ، والعلمية والفنية والهندسية .

إن إتقان اليد العاملة الأندلسية الوافدة لصنعتهم في ميادين الزراعة والحرف جعلهم ينتشرون في النسيج الإجتماعي والإقتصادي للمغرب الإسلامي .وظهر تأثيرهم في كثير من الميادين الإجتماعية والإقتصادية والعلمية وحتى السياسية والعسكرية بشكل كبير.

الكلمات المفتاحية: – الوفود – الهجرة – الرحلة – الجماعات – العلماء– الفن – المعمار – التجارة

Abstract:

The Arrivals into Islamic Maghreb and their impact in social and economical life between 6th and 10th century AH.

The movements of the Arrivals in the land of Islamic Maghreb as individuals or groups consists major part of immigration history and transportation of culture and signs of civilization , and what results of social and economic and cultural impacts , the Islamic Maghreb land was a safe shelter for many individuals , families and personalities , and caravans travelling for trades expeditions, or voluntary immigration , or as forced migration imposed by political conjectures and security conditions is some parts of Andalusia.

political dynasties settled across the land of Islamic Maghreb , such as Zyyanids, Hafsids , Marinids , attached great important and care to host skillful scientists , writers and artists , who brought their impact and experience in political practice , administration , sciences , art and architecture.

The skillful hands of Andalus migrants in the field of agricultural and handcrafts make them parts of social and economic structure of Islamic Maghreb. And there influence was obviously important in different field either social, economic or in Sciences even politically and Military.

Keys word : Arrivals - migration - expedition - groups – Scientists – Architecture – trade **.**

Résumé :

L'arrivée au Maghreb islamique et son influence sur la vie économique et sociale entre le 6ème et 10ème siècle hejri l'affaire de l'arrivée des personnes et groupes jouit d'une grande importance sur le transfert de la culture et la civilisation et ce qui résulte d'une influence sociale économique et culturel alors le Maghreb était confiant et estime tous les membres familiales et personnalités et même les groupes arrivants par le biais du commerce excursion ou migration exigées par les circonstances politiques et sécuritaires dans quelques endroits somme l'Andalousie et même les pays et états qui a vécu au Maghreb islamique comme les zianides hafsis, merinides donnent une grande importance pour la réception des capacités de la part des savants et littéraire et artiste et les embellissement et ont jouit d'une grande valeurs de leurs expériences politiques administratives scientifiques et artistiques

La performance de la main d'œuvre andalouse reçue par les arrivistes en agriculture et artisanat se répartissent dans les tissus urbains sociaux et économiques du Maghreb et son influence appéreuse sous les domaines économiques et scientifique et même la politique et armement d'une façon générale.

Mots clés :

Arrivée – migration – excursion - collectivités – les savants – l'art – urbanisme et commerce.